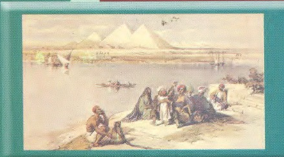
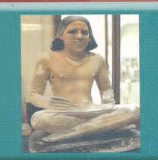




مختصر

موسوعة مصر القديمة

تأليف الدكتور سليم حسن

إعداد عريان لبيب حنا




الجزء الثاني



مختصر الجزء الثاني

موسوعة مصر القديمة

تأليف : الدكتور سليم حسن

إعداد : عريان لبيب حنا



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٨

حسن/ سليم .
مختصر الجزء الثانى موسوعة مصر القديمة/ سليم
حسن. ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٨.
٢٧٢ ص ؛ ٢٤ سم .
تدمك ٣ ٢١٢ ٤٢٠ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ مصر القديمة ـ موسوعة .
(أ) ـ العنوان .

رقم الإيداع بدار الكتب ٣١٦٣/ ٢٠٠٨

I.S.B.N -978- 977 - 420 - 212 - 3

ديوى٠٣٢, ٩٣٢

الإهداء

إلى أرواح أصدقاء العمر فى جنة الخلد

١ - المرحوم بسيم محرم

٢- المرحوم محمود الشريف (ابن القنطرة شرق)

٣- المرحوم محمد طاهر السعيد

عريان لبيب حنا

تصميم الغلاف : صبرى عبد الواحد

الإخراج الفنى : مادلين أيوب فرج

شكــر

إننى أشكر أولاً الأستاذ الكبير أنيس منصور فهو صاحب فكرة المختصر الذى يحتاجه الطالب والقارئ العادى غير المتخصص لكى يلم بالأفكار الرئيسية لموسوعة مصر القديمة بصورة تختلف عن العرض المتخصص الذى قدمه شيخ المؤرخين. كما أشكر كل القائمين على الهيئة العامة للكتاب بدءًا برئيسها الدكتور ناصر الأنصارى ومديرة النشر الشاعرة إيمان بكرى وكافة العاملين الذين يعتمد عليهم نجاح رسالة الكتاب. كما أشكر كل من تفضل وبعث لى بالاقتراحات المفيدة سواء تليفونيًا [منزل ٢٤٥٧٢٨٦٣ أو المحمول ٠١٢٤٥٨٥٣٥٢ أو كتابة عبر ص. ب. ٥٩ شبرا].

لقد أسعدنى مشاركة الأساتذة المتخصصين والأساتذة المهتمين بتاريخ بلادنا بإرسالهم اقتراحاتهم البناءة والتى ساعدتنى كثيرًا على تلافى أى قصور. بل أمدونى بوقائع معينة من مختلف المراجع وأرجو أن يستمر فضلهم علىَّ بإرسال ما يفيد البحث الذى بدأه العلامة الكبير حتى يمكننى استكمال المعلومات التى يجب أن تضاف منذ توقف البحث الخالد عن نهاية الأربعينيات فأملى أن يستمر العاشقون لتاريخ بلادنا أن يستكملوا باستمرار البحوث ليقدموها لأحفادنا ويقولوا لهم «تعلم يا بنى.. لكى تستعيد أمجاد أجدادك الذين تعلم منهم كافة الشعوب من طب وهندسة وعلوم وفنون وتشريع، بل وفن الحياة والأخلاق والمثل العليا الخالدة ومجالات أخرى وأهمها الحكمة».

إهداء خاص

للجزء الثانى من المختصر

إن المرأة المصرية هى رمز الترابط الأُسرى الذى حافظ لمصر على وحدتها وتماسكها أمام المصائب التى تعرضت لها البلاد من جراء فقدانها لاستقلالها بعد أن احتلها الأعداء .... ولولا هذا الترابط والتماسك لضاعت هوية البلاد مثلما حدث لبابل وآشور.

إن مجتمعنا مدين على مر العصور لهذه الخلية الأولى للمجتمع وهى الأسرة. ورغم احتلال البلاد فترة تربو على ألفين وخمسمائة عام فإننا لم نفقد عاداتنا وتقاليدنا وأخلاقنا وقيمنا الراسخة داخل نفوسنا. إن حضارتنا الأخلاقية قامت على دعامتين أساسيتين:

(١) العلاقة بين الشعب والخالق فالمصرى كان ولا يزال متدينًا بالفطرة.

(٢) العلاقة الأسرية المتمثلة فى امرأة مخلصة متعاونة متفانية تحافظ على الرباط المقدس، وتكافح مع زوجها من أجل تربية جيل صالح متماسك له انتماؤه القومى واعتزازه بأنه سلالة العظماء الخالدين ويعلمون أن «غدًا .. القيامة» .. حيث لا ينفعهم سوى أعمالهم الصالحة.

تقديم الجزء الثانى من المختصر الخاص بـ «موسوعة مصر القديمة»

وهو الخاص بالأجزاء الأربعة الثانية

بقلم عريان لبيب حنا

لقد تضمن الجزء الأول من المختصر نصوص الأهرام والخاص بمصير الملوك فى الآخرة دون أبناء الشعب، ثم تناول الثورة الشعبية الدينية الاجتماعية ضد احتكار الملوك للخلود. ونتج عن نجاح الثورة أن تغلبت ديانة الشعب (وهى ديانة أوزيريس) على الديانة الرسمية (وهى ديانة رع الخاصة بالملوك) فظهرت «متون التوابيت» بدلاً من نصوص الأهرام، وزاد نفوذ أوزيريس أى الديانة الشعبية فى الدولة الوسطى. وظهر فى الدولة الحديثة كتاب الموتى وهو فى الحقيقة مجموعة التعاويذ التى ظهرت وتزايدت والتى تم جمعها.

ونلاحظ صور المحاكمة التى ظهرت على البردى أو جدران المقابر ونجد فيها أوزيريس وأمامه ميزان العدل وعلى إحدى الكتفين[1] الريشة أو الإلهة «ماعت» وعلى الكفة الأخرى قلب المتوفى. وهنا نجد الديمقراطية الدينية.. لا فرق بين أمير وخفير.. والفيصل هو أعمال المتوفى وهى التى تحدد طريق الشخص فى الآخرة.. فإما إلى الجنة أو النار.. إننا نجد العدالة السماوية متمثلة فى الميزان يوم المحاكمة ونجد العدالة الأرضية متمثلة فى وجود «ماعت» فى الشعائر التى يؤديها الكاهن فى الصلوات اليومية وقد تناولت موضوع الخليقة والخالق الأعظم الذى خلق نفسه من ذاته.

وفى كتاب الموتى ظهر نص واضح يزيل أى لبس وهو أن «رع هو أوزيريس.. وأوزيريس هو رع» أى أن الخالق هو الديان والديان هو الخالق، وأوضحت أن الديانة المصرية القديمة احتفظت بفكرة الإلـه الأعظم – نترعًا –

---

(١) الكفتين.

وهو الخالق الأعظم وهو نفسه الديان الأعظم مع وجود الآلهة المحلية التى هى تمثل صفات هذا الإلـه الأعظم. ورغم اختلاف التسمية من مدرسة لاهوتية إلى أخرى فإن الفكرة العامة هى هى.

ومن هنا نجد أن فكرة التوحيد كانت موجودة منذ الأسرة الأولى، وقد تناول هذه النقطة المهمة معظم العلماء. وفى هذا المختصر الثانى يظهر إخناتون وكان متعصبًا للإلـه الواحد «آتون» وهو يمثل إلـه الشمس أيضًا ولكنه يصوره بأشعة الشمس تنتهى بأيدى آدمية فهو الذى يعطينا الصحة والعافية، وهو الذى يرعى الكون والإنسان والحيوان وسأتناول ديانة إخناتون؛ لأن هناك من فهم بأنها الديانة الوحيدة الخاصة بالتوحيد. لقد منع إخناتون أية ديانة أخرى تختلف عن ديانته التى ذهب بها إلى «تل العمارنة» ليبتعد عن نفوذ كهنة آمون فى طيبة.. وكان الصراع على أشده بين أنصار إخناتون وكهنة آمون ذوى النفوذ الكبير فى عاصمة الإمبراطورية «طيبة» (الأقصر). ونلاحظ أنه لم تقم أية حرب أهلية بسبب العقيدة بل صراع بين أنصار إخناتون وكهنة آمون ولم يتعد تشويه الصورة فقط.

لقد كانت ديانته تعتمد أساسًا على إخناتون فى مدينة «إختاتون» (تل العمارنة بمحافظة المنيا بالقرب من ملوى) ولما كان هو ابن آتون.. فبموته ضعفت قوة ونفوذ هذه الديانة وتغير اسم «توت عنخ آتون» إلى «توت عنخ آمون»[1] والذى انتقل إلى طيبة (الأقصر) وترك «تل العمارنة» وعادت ديانة آمون رع إلى سالف قوتها بسبب ثرائها الكبير ونفوذها العريض.

لقد تعرضت البلاد لخطر انهيار الإمبراطورية المصرية بسبب تقاعس إخناتون عن مساعدة أعوانه من الحكام المحليين فى سوريا والشام لصد الهجمات التى شنها أعداء الوطن، واستمر هو شخص حالم متأمل يتغنى بأناشيد إلـهه الجديد «آتون» أى أنه ورط البلاد فى فوضى داخلية .. ولولا وجود «حور محب» المنقذ لضاعت البلاد تمامًا. وهناك أربعة ملوك يقترن كل منهم بصفة مهمة

---

(١) آمون.

فإخناتون يقترن بصفة الملك المنادى. بالتوحيد و«حور محب» بصفة الحاكم المنقذ للبلاد وقبلهما مينا الملك الموحد للبلاد و«أحمس» الملك المحرر.

وإن ظهور عبادة آتون هى فى الحقيقة عودة إلى عبادة الشمس، أى عبادة رع وفى الأسرة الخامسة ظهر معبد الشمس الذى لا توجد فيه تماثيل لأن الإلـه يملؤه بأشعته ولقد أجاب إخناتون على أحد السؤالين الخاصين بالخليفة وهو[1] من أين أتينا؟ أى مَنْ الذى خلقنا؟ أما السؤال الثانى إلى أين نذهب بعد الموت؟ فلم يتناوله إخناتون .. وكلنا نريد أن نطمئن إلى مصيرنا بعد الموت. لذلك كان بعض الناس يعبدون أوزيريس سرًا حتى لا يصطدموا بكهنة الديانة الآتونية الذين تحدثوا عن إشراق آتون.

لقد تحرر الوعى تمامًا وظهر التدين الانفرادى والإلهام الباطنى بين الله وعامة خلقه، وذلك يعنى التحنف والتعبد لإصلاح النفس والروح وتحليتهما بالأخلاق الفاضلة عن طريق العبادة والورع والزهد والتنسك وهو ما يعرف بالتصوف عندنا الآن. ولنأخذ فقرات من الأناشيد لدى إحساس الإنسان بالإلـه (وهنا آمون رع) يا «آمون» أنت يا مخرج القطعان فى الصباح ومرشد المتألم إلى المرعى.

وكما يقود الراعى القطعان إلى المرعى تفعل فأنت كذلك يا «آمون» إرشد المتألم إلى الطعام لأن «آمون رع» يرعى من يتكل عليه.

يا «آمون رع» إنى أحبك وقد ملأت قلبى بك.

وستنجنى من أفواه الناس فى اليوم الذى سيفترون فيه علىّ بالكذب لأن رب الحق يعيش فى الحق.. [لا تنس يا صديقى إن إحساسنا بالخالق موجود داخلنا[1]
وفى مقطع آخر يخاطب أتوم قائلاً:

«تعال إلىّ يا «أتوم» إنك أنت الإلـه السامى، وإن قلبى يتطلع نحو عين شمس، ونفسى سعيدة وقلبى منشرح» .

---

(١) هذا تعليقى الشخصى.

إن التماساتى تسمع وكذلك تضرعاتى اليومية (لديك)، وإن صلواتى بالليل وأدعيتى التى لا ينفك فمى يرددها تسمع اليوم.

ونلاحظ تكرار التضرعات مثل: «وبأنى أناديك عندما أكون فى ضنك» وإنك تأتى حتى تنجينى .. وحتى تعطى النفس لمن أصابه البؤس. «وإنك آمون» رب طيبة .. الذى ينجى حتى من فى العالم السفلى.. لأنك أنت الرحيم. فإذا ناديتك فإنك أنت الذى تأتى من بعيد. هذه عينة من الصلوات اليومية التى كان يرددها الناس.

إنك أنت الواحد الأحد الذى خلق كل الكائنات وإنك الواحد الأحد الذى صنع كل ما يوجد وسأخصص أحد الملاحق لإخناتون لكى أتناول موضوعه من كافة الزوايا. وقد سبق أن أشرت فى المختصر الأول صفحة (٣٣) بأن الأستاذ / فيرمان أظهر فى أحد المتون بأن فكرة التوحيد كانت موجودة عند قدماء المصريين منذ الأسرة الأولى (انظر ص٧).

ما بين بداية الدولة الحديثة ونهايتها

كان الجيش المصرى تحت إمرة أحمس الأول عام ١٥٨٠ جيشًا وطنيًا متحمسًا يحارب جيش أجنبى (الهكسوس) احتل البلاد وطرده خارج البلاد.. وقضى عليه تمامًا تحتمس الثالث عندما زحف على فلسطين أما فى نهاية الأسرة العشرين عام ١٠٨٥ فكان الجيش يعتمد على المرتزقة وهم خطر داخلى كامن داخل البلاد. كانت مصر الفتية متحدة خلف بطل قومى ومع انتهاء الأسرة العشرين كان شرخ كبير فى الانقسام بين حاكمين الكاهن حريحور فى طيبة والملك سمندس فى تانيس. لقد أنهت الانقسامات الوحدة والنظام فى البلاد وحل محلها الفوضى. لقد عانت البلاد من التمزق ومن الفساد ومن الفقر والسرقة والنهب والقلاقل الداخلية وكانت هناك أخطار خارجية تمثلت فى الحيثيين وتصدى لهم رمسيس الثانى وخطر اللوبيين وتصدى لهم مرنبتاح وتسلل الأسيوى «أرسو» إلى كرسى الحكم فتصدى له رجل وطنى مخلص هو «ستنخت» [والد رمسيس

الثالث]، ثم تعرضت البلاد لخطر أجنبى طاغ متمثلاً فى أقوام البحر والليبيين الذين وصلوا إلى أرض الدلتا وكان لهم بالمرصاد آخر بطل وطنى «رمسيس الثالث» وحاربهم برًا وبحرًا وسد فى وجههم مصبات النهر ولولا وجود هذا البطل فى ذلك الوقت لتعرضت البلاد لكارثة أخطر من كارثة الهكسوس فى فترة الاضمحلال الثانى.

وبعد كل صفحات المجد والبطولة وجدنا البلاد ترزح تحت عبء الانهيار الاقتصادى وقامت أول ثورة عمالية فى مقابر طيبة وقامت السرقات والتعدى على حرمة الموتى ونهبت ثروات المقابر التى كانت لها قدسيتها واشترك الكهنة والعمال والحراس فى هذا الأمر المخزى .. وكما يقول المثل «الجوع كافر» فالإنسان ينسى المثل العليا وتمتد الأيادى إلى ما تجده أمامها.

الكهنة الصالحون والكهنة الفاسدون

ومثلما كان هناك الكهنة الصالحون الذين قاموا بدورهم النبيل فى إخفاء الثروات والموميات فيما عرف بخبيئة[1] الدير البحرى بعيدًا عن أيدى اللصوص فكان هناك الفاسقون الذين شاركوا اللصوص فى أعمالهم الدنيئة واشتركوا فى النهب والسلب.

ولم تكن الانقسامات بين الطوائف المختلفة فقط بل كانت داخل الأسرة الحاكمة وتعرض البطل الذى حمى أرض الكنانة من جحافل أقوام البحر ليجد مؤامرة أسرية اشترك فيها ابنه بنتاور وزوجته!!

والإمبراطورية التى كانت تمتلك القناطير المقنطرة من الذهب عانت من العوز والفقر ومرت البلاد بأيام صعبة مثل عام الضباع.

---

(١) خبيئة الدير البحرى.

استنفاذ موارد البلاد

أسرف رمسيس الثانى فى أموال الدولة ومواردها إلى حد بعيد لإشباع شهواته التى كانت لا تقف عند حد فى إقامة العمائر الدينية ونحت التماثيل الضخمة له ولإلهه، حتى ملأ بها البلاد وحشدها فى المعابد وقد أفضى إلى نضوب أموال الدولة فى نهاية حكمه حتى اضطر فى آخر الأمر إلى نحت تماثيله وإقامة مبانيه من المواد الرخيصة. وحتى «رمسيس الثالث» واجه أول ثورة عمالية بسبب الفقر. ولم يكن لديه ما يكفى لإعطائهم رواتبهم وهم يعملون فى وادى الملوك لإقامة المبانى والرسوم والتماثيل والنحت.. وهو البطل الذى هزم أقوام البحر وأنقذ البلاد من أكبر خطر تعرضت له البلاد بل والمنطقة كلها.

انتشار عبادة الحيوانات

وكانت الظاهرة الملفتة للنظر هى زيادة عبادة الحيوانات وعلى وجه الخصوص الكبش والعجل «منفيس» وعجل «أبيس» وعجل «بوخيس» وعبادة الثور وتساءل الكثير عن سبب هذه الظاهرة وفسر البعض بأن الكهنة قد شجعت هذا. فلقد كان قيام قوة كهنوتية فى الدولة الحديثة وكأنها دولة داخل دولة هى من ضمن عوامل الانقسام والفساد وانتهى بهم الأمر بالقبض على زمام الحكم.

خط سير اليهود إلى فلسطين

وحاول الدكتور سليم حسن تفسير معنى البحر «واليم» فى قصة خروج بنى إسرائيل من مصر وخط سيرهم من مصر إلى فلسطين واقترح بأن هناك رياحًا شديدة تهب بين بلطيم والفنار.. فتبدو الأرض جافة.. وهى مجرد محاولة تفسير من جانبه لكى يوفق بها جاء فى الكتب الدينية بخصوص هذا الموضوع.

بعض المعابد المهمة

وستتضمن الملاحق فكرة عن بعض المعابد مثل الرومسيوم ومعبد هابو ومعبد أبو سمبل ومعبد حتحور ومعبد الأقصر ومعابد الكرنك.

كما تتضمن الملاحق أيضًا موضوع الأساطير التى أرجأت الحديث عنها إلى ما بعد الحديث عن الديانة المصرية القديمة وعلى وجه الخصوص إخناتون والوحدانية وهى ملازمة للفكر الدينى، ولكن بعد تناول فترات التشكك وبعد تناول كل الكتب الخاصة بالحياة الآخرة وبعد تناول العدالة الاجتماعية والمساواة أمام ميزان العدالة بعد نجاح الثورة الشعبية عقب الدولة القديمة ومساواة الجميع سواء ملكًا أم خفيرًا أمام الديان الأعظم يوم المحاكمة وبعد ظهور مناجاة الخالق فى الصلوات، فإننى أقدم ملحق الأساطير وستكون واضحة أكثر بعد مناقشة العبادات والخليقة ويوم الحساب، وقال رندل كلارك: إن المصريين أدركوا أنه لا يوجد فى الواقع إلا إلـه واحد. وقال العالم «سيث» إن فكرة التوحيد كانت موجودة عند قدماء المصريين منذ الأسرة الأولى. أما مترجم كتاب الموتى وهو العالم «بدج» فإنه يمتدح هذا الشعب العظيم الذى أدرك خلود الروح.

وقبل أن أنهى التقديم أود أن أشير إلى بعض النقاط السياسية: فالأسرة التاسعة عشر أنقذت البلاد من الفوضى الداخلية التى ورطها فيها إخناتون. وملوك الأسرة العشرين خلصت البلاد من أيدى الطوفان الأجنبى – أقوام البحر – والآسيوى الغاصب «أرسو» الذى تصدى له والد رعمسيس الثالث «ستنخت» ثم تصدى ابنه آخر بطل قومى محارب فى القضاء على جحافل القادمين من البحر، بالإضافة إلى فترات مهمة عندما امتدت يد الآثم إلى مقابر الفراعنة فى أواخر عصر (الرعامسة) ومعظم السرقات حدثت فى عهدى رمسيس التاسع ورمسيس الحادى عشر. وسأتناول عصر النهضة (عهد تجديد الولادات) وعام الضباع وحرب الأنجاس والتى قام فيها من الجنوب بطل وطنى «أوساريف» يقود جيشًا وطنيًا لمقاتلة هؤلاء الأنجاس – أعداء الوطن – القادمين من آسيا ونعرف من ورقة «أبوت» أن عصر النهضة مكث على أقل تقدير سبع

سنوات وستتعرف على المحاكمات الجنائية فى مصر القديمة عند تناول التحقيقات والمحاكمات فقد كان هناك أعضاء التحقيق والمجرمين والشهود والمدعى عليه.

وينتهى المختصر بتناول الانقسامات الواضحة التى مزقت البلاد فى الأسرة الحادية والعشرين وسيكون موضوع التركيز فى تقديم المختصر الثالث على تحليل عوامل الضعف والفوضى والانقسامات فى حين سيركز تقديم المختصر الرابع على العصر البطلمى حيث عانت البلاد من الاحتلال والقهر بالرغم أن الناس رحبوا بالإسكندر الأكبر كمحرر للبلاد من الحكم الأجنبى وطرد الفرس... ولكن هيهات أن يأتى الخلفاء مثله ولا يرى الحكام الأجانب إلا حقيقة واحدة وهى أنهم أصبحوا السادة.

ويصبح الجيش غير وطنى ويمنع الوطنيون من حمل السلاح فهو القوة الحامية لأبناء الوطن وهو الذى يعطيهم القوة.. لا يوجد أجنبى يرغب فى ترك السيطرة لأبناء البلاد حتى لا يهبوا ويطالبوا بحقهم فى حكم أنفسهم واستمر هذا الوضع للأسف حتى القرن التاسع عشر عندما قام هذا الألبانى العظيم [محمد على الكبير] الذى أحب مصر وكوّن أول جيش وطنى مصرى ومحمد على باشا هو بانى مصر الحديثة.

وفى العصر البطلمى لم يحس الجندى المصرى بالعزة الوطنية إلا عندما اشتركت فرقة وطنية عام ٢١٧ ق.م فى معركة غزة لصد الأعداء القادمين من الشرق فاستعان البطالمة بهذه الفرقة الوطنية التى حاربت بقوة لتدافع عن أرض الوطن ولذلك لم يكرر أحد من الحكام هذه التجربة مرة أخرى. حفظ الله لنا وطننا وحفظ الله لنا جنودنا الأعزاء حتى يستمر علم الحرية والرقى والتقدم يرفرف عاليًا.

ولقد كانت الصدفة المحضة هى التى دفعت إلى يدى بكتاب رائع لأستاذ جامعى فنان يتناول تاريخ الفن فى العالم القديم. فقد كنا نحن المرشدين السياحيين مجتمعين فى دورة تجديد التراخيص وكانت المحاضرة عن الفن المصرى

القديم والمحاضر هو الأستاذ الدكتور على رضوان وكان يحمل فى يده نسخة من كتابه وكان عددنا نحو مائة وخمسين دارسًا فرفع كتابه وقال «لدى هذه النسخة وسأعطيها لأكبركم سنًا» فوقفت فورًا لأننى قاربت سن السبعين وفعلاً تكرم وأعطانى الكتاب وأحسست أن العناية الإلـهية هى التى أوجدتنى فى هذا الوقت. ولما قرأت الكتاب وكنت مزمع أن أكتب المختصر الخاص بموسوعة الدكتور/ سليم حسن وكان موضوع الفن المصرى فى ذهنى فقلت هناك فارق كبير بين تناولى لهذا الموضوع كدارس عاشق لتاريخ مصر القديمة وبين الدراسة الأكاديمية للفن التى سجلها أستاذ فنان. ولأننى أريد عمل كل إضافات ممكنة تساعدنى على عرض المختصر للجمهور المتلهف لمعرفة تاريخ أجدادنا ففكرت فورًا بالاستعانة بهذا المرجع.

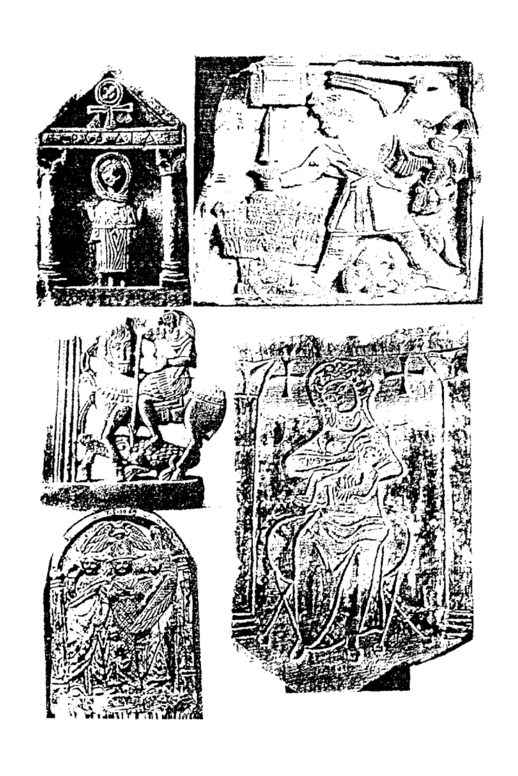
ووجدت أن هذه الدراسة الفنية هى إضافة حقًا. ولو كانت أمام الدكتور سليم حسن وقتها لضمنها لموسوعته بدون تردد. وهأنذا أعتز بهذه الإضافة من فنان جعلنا نحس بكل ملاحظاته عن الفن المصرى. ولقد قمت باقتطاف بعض الصور والتعليق عليها ضمن المختصر لتعم الفائدة للقارئ العادى بل وللمتخصص. فمن ينظر للتعليق على تمثال الأمير «رع - حتب» وزوجته «نفرت» فلن ينسى هذا وهو يمر بالحجرة بالمتحف المصرى بالدور الأرضى وهو يمر بين تماثيل الدولة القديمة. وعند دخول القارئ حجرة الملكة «حتب حرس» والدة «خوفو» ويرى فيها تمثال الملك «خوفو» العاجى وهو حوالى ٧.٥ سم ويقرأ تعليق الدكتور على رضوان فستزداد معرفته ببانى الهرم الأكبر أحد عجائب الدنيا السبعة فى العالم القديم — ونفس الشيء عن الملك خفرع ومنقرع. وسيدرك المشاهد معنى بريق العينين المطعمتين لتمثال «كا - عبر» المعروف بتمثال «شيخ البلد» وهكذا بالنسبة لبقية التماثيل فهو يرى ويتعلم ويعرف عن فن النحت بالإضافة للمعلومات المهمة عن التماثيل المعروضة.

وعندما يقف الزائر عند تمثال حاملة القرابين فى الدور الثانى بالمتحف المصرى بميدان التحرير فى الجزء الخاص بـ «مكت - رع» سيلاحظ ما كتبه الدكتور على رضوان عن «التطابق والتناسق بين ألوان الصدرية وأسورة المعصم

وسوار القدم (الخلخال) مع ألوان الثوب». وفى مقصورة (البقرة والملك) والخاصة بالإلهة حتحور فى صورة بقرة وأمنحت الثانى وهو فى رعاية حتحور - فى حجرة الدولة الحديثة بالدور الأول بالمتحف - كما سيعرف عن الملكة «نفرتيتي» وعن إخناتون وغيرهم فى [ملحق رقم ٢].

استخدم الفنان المصرى مواد مختلفة للتماثيل فنجد حجر الستياتيت مستخدمًا فى عمل تمثال رأس الملكة «تي» (أم الملك إخناتون) من معبد حتحور فى سيناء والموجود فى القاهرة وفى تمثال آخر لنفس الملكة نجد الفنان يستخدم خشب الأبنوس (وهذا التمثال موجود فى متحف برلين) وهناك كرسى الأميرة «سات آمون» (شقيقة إخناتون) - خشب مذهب - من وادى الملوك - القاهرة. أما رأس الملكة نفرتيتى (زوجة إخناتون) فمصنوعة من حجر جيرى ملون - تل العمارنة - متحف برلين . وشارات المُلك (صولجان الحقا ومذبة النخاخا) لتوت عنخ آمون - برونز وذهب وزجاج - وادى الملوك - القاهرة. وتمثال مريت آمون - الابنة الأثيرة لرمسيس الثانى فهو من حجر جيرى - طيبة الغربية - القاهرة - وهناك إناء له مقبض على هيئة غزال يصعد إلى حافته ويظهر زخارف محزوزة ومطروقة - ذهب وفضة - تل بسطة - الأسرة التاسعة عشر - القاهرة.

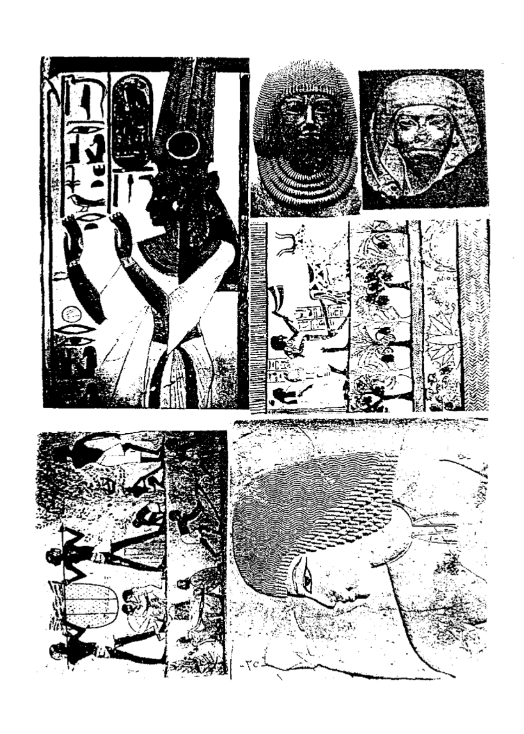
وقد تناول الدكتور على رضوان التأثيرات المصرية القديمة على الفن المروى والفن القبطى. كما تناول التطور فى أوضاع تماثيل الإشراف من القرفصاء (تمثالان لحتب وسنوسرت سنت إف نى - الأسرة الثانية عشرة) إلى أوضاع التعبد والتقدمة فى الدولة الحديثة وحتى الأسرة الخامسة والعشرين وقد أظهر سيادته التطور فى النحت فى عصر ما بعد العمارنة (توت عنخ آمون) إلى رمسيس الثانى - العائلة الملكية فى تل العمارنة ومعها الملكة الأم «تي» فى جلسة أسرية مع تناول الشراب. كما أشار سيادته إلى روائع فنون الدولة الحديثة - منظر حياة الحقول (الأسرة ١٨) - نقش - يظهر رأس أحد الأشراف - رأسان لموظفين من أواخر أيام الأسرة ١٨ - الملكة نفرتارى (زوجة رمسيس الثاني) متعبدة - سنجم وزوجته فى حقول النعيم (الرعامسة فى دير المدينة).



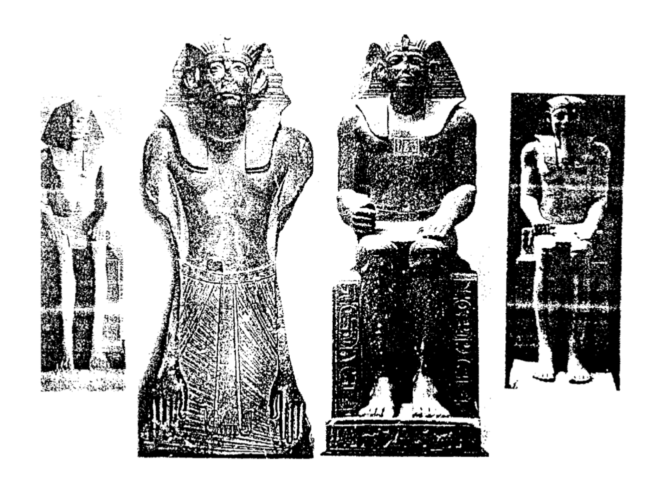
التأثيرات المصرية القديمة على الفن المروى والفن القبطى.



التطور فى أوضاع تماثيل الأشراف من القرفصاء (تمثالان لحتب وسنوسرت سنب اف نى – الأسرة الثانية عشرة) إلى أوضاع التعبد والتقدمة فى الدولة الحديثة وحتى الأسرة الخامسة والعشرين



من روائع فنون الدولة الحديثة – منظر حياة الحقول (الأسرة ١٨) – نقش – يظهر رأس أحد الأشراف – رأسان لموظفين من أواخر أيام الأسرة ١٨ – الملكة نفرتارى (زوجة رمسيس الثاني) متعبدة – سننجم وزوجته فى حقول النعيم (الرعامسة – من مقبرته فى دير المدينة)

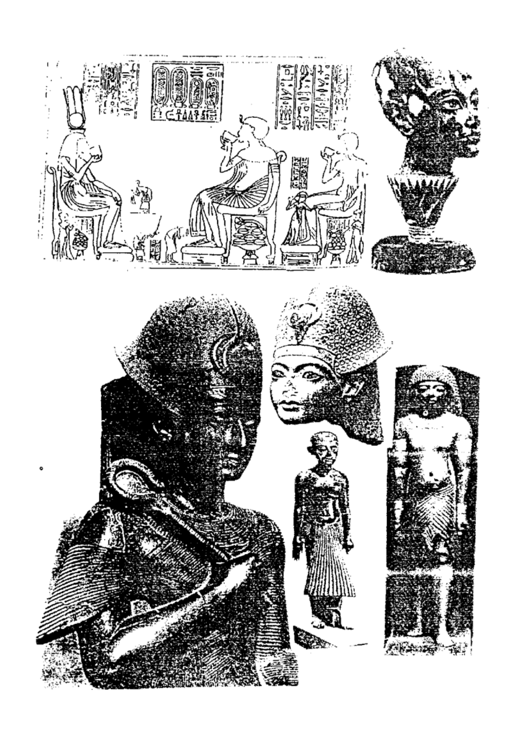


تماثيل ملكية توضح مدارس الفن الثلاثة فى الأسرة الثانية عشرة:

سنوسرت الأول: (المدرسة المثالية) .

سنوسرت الثانى: (المدرسة الكلاسيكية).

سنوسرت الثالث وأمنمحات الثالث (المدرسة الطبيعية).



تطور فى النحت فى عصر ما بعد العمارنة (توت عنخ آمون) إلى رمسيس الثانى ‖ العائلة الملكية فى تل العمارنة ومعها الملكة الأم تى فى جلسة أسرية مع تناول الشراب



- تمثال من مجموعة توت عنخ آمون
خشب مذهب وادى الملوك
القاهرة



واحد من تماثيل الأوشبتى (المجيبات)
لتوت عنخ آمون خشب
مذهب وملون وادى الملوك القاهرة



شارات الملك (صولجان الحقا ومذبة
النخاخا) لتوت عنخ آمون برونز
وذهب وزجاج وادى الملوك
القاهرة

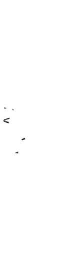
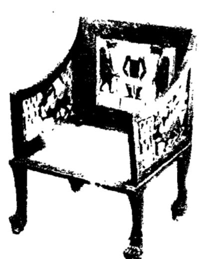


- قطعة صغيرة من الحجر الجيرى عليها
نقش ملون لسمنخ كارع (؟) ومريت
آتون (؟) تل العمارنة متحف برلين

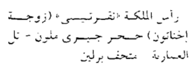



رأس الملكة «تي» (أم الملك إخناتون)
حجر الستياتيت من معبد سرابيط الخادم
في سيناء القاهرة

رأس الملكة «تي» (أم الملك إخناتون)
خشب الأبنوس متحف برلين

كرسي الأميرة «سات امون» (شقيقة
إخناتون) خشب مذهب من وادي
الملوك - القاهرة



رأس الملكة «نفرتيتي» (زوجة
إخناتون) حجر جيري ملون - تل
العمارنة متحف برلين



- مريت آمون - الابنة الأثيرة لرمسيس الثاني - حجر جيري - طيبة الغربية - القاهرة



- إناء له مقبض على هيئة غزال يصعد إلى حافته ويظهر زخارف محزوزة ومطروقة ذهب وفضة - تل بسطة - الأسرة التاسعة عشرة - القاهرة



- نفرتاري (زوجة رمسيس الثاني) بصاحبة وشفاعة إيزيس أمام المعبود «خبري» - وادي الملكات.

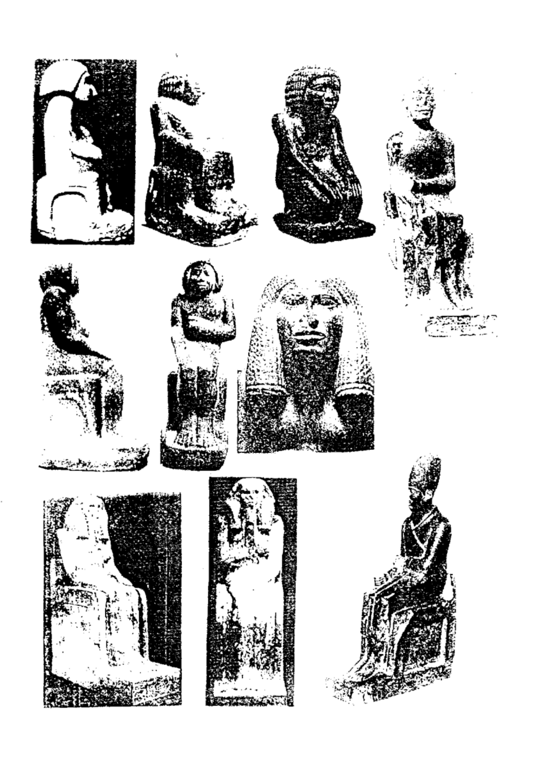
- رمسيس الثالث يحرق البخور أمام بتاح ويتبعه ابنه الأمير حاملا المروحة، ثم يقابل بالترحاب من الربة إيزيس - مقبرة الأمير «آمون (حر) خبش إف» بوادي الملكات.



أما عن مدارس الفن الثلاثة فى الأسرة الثانية عشرة وهى (المدرسة المثالية) و(المدرسة الكلاسيكية) و(المدرسة الطبيعية) فقد اختار لها الدكتور على رضوان تماثيل ملكية ثلاث: الأول لسنوسرت الأول ويمثل المدرسة المثالية، والثانى لسنوسرت الثانى ويمثل المدرسة الكلاسيكية، والثالث لسنوسرت الثالث وامنحات الثالث ويمثلان المدرسة الطبيعية.

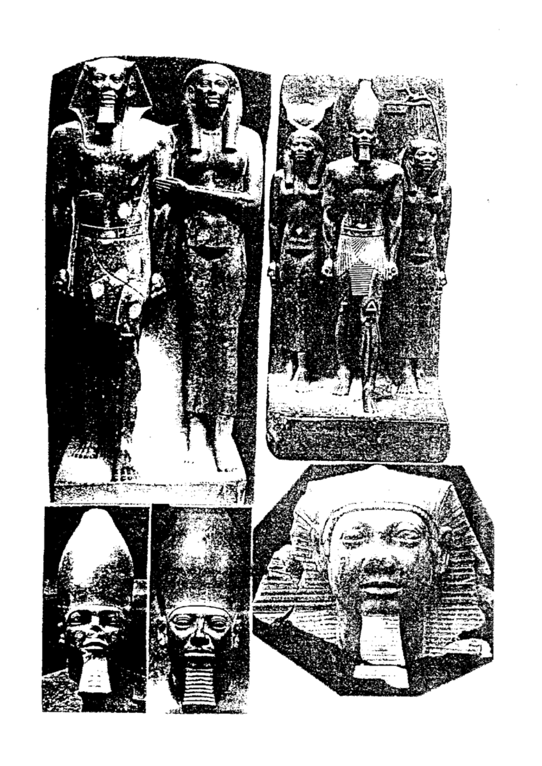
ولقد تناول كتاب تاريخ الفن فى العالم القديم نماذج مختلفة للفنون مع عمل مقارنات متعددة زيادة فى التوضيح. من ذلك مثلاً نماذج لفن العمارنة، وروعة الفن فى عصر الازدهار فى الأسرة الثامنة عشرة حيث نجد مثلاً حلقة أو وليمة فيها الطرب والشراب. وحتى التحول من التقدم الفنى فى الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة إلى التدهور فى عصر الاضطراب الثانى إلى التجديد والجمال فى الأسرة الثامنة عشرة. وحتى التماثيل فإنها نماذج مختلفة، فهناك نماذج لتماثيل من نهاية الأسرة الثالثة عشرة (عهد أمنحات الثالث: خرتى حتب) مع أخرى من الأسرة الثالثة عشرة (جبو وسبك أم ساف والمكان حور ونفر حتب!) وتمثال المهندس المعمارى أمنحتب بن حابو للمقارنة (الأسرة الثالثة عشرة).

أما عن فن النحت فهناك أمثلة من روائع فن النحت فى الدولة القديمة حيث الرءوس البديلة والتمثال النصفى للأمير عنخ حاف (الأسرة الرابعة) والباب الوهمى للموظف نفر سشم بتاح - هناك أيضًا تماثيل خشبية من مقبرة الموظف كاعبر (شيخ البلد) بالإضافة إلى تمثال الخادم وآخر لخادمة (الأسرة الخامسة)، كما يعرض الكتاب نماذج لفنون النحت من أيام الملك منكاورع مع عقد مقارنة بين مدرسة الدولة القديمة على أيامه مع ملامح تمثال للملك سنوسرت الأول (الأسرة الثانية عشرة) وحتى من الدولة القديمة فهناك نماذج من تماثيل الأسرتين الثانية والثالثة حيث يلاحظ وجود هيئة الكاهن الراكع من الأسرة الثالثة وباروكة الأميرة رججى ويقارن تمثال زوسر بتمثال خع سخم.

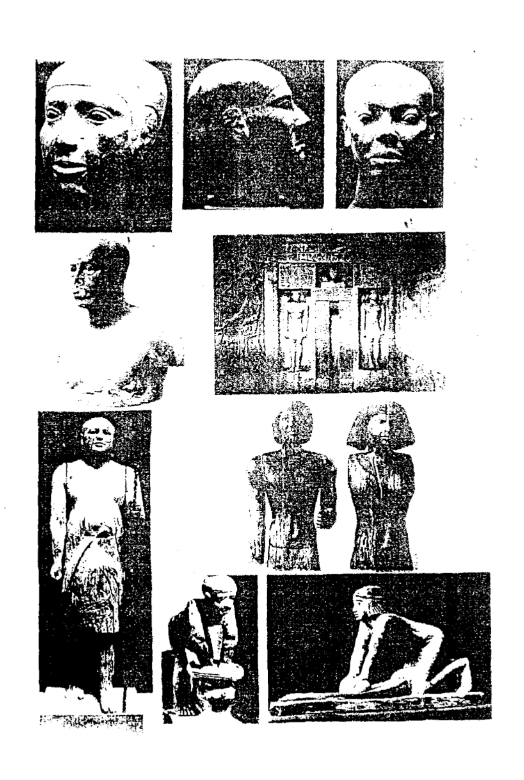


نماذج من تماثيل الأسرتين الثانية والثالثة: يلاحظ وجود هيئة الكاهن الراكع من الأسرة الثالثة وباروكة الأميرة رججى

ويقارن تمثال زوسر بتمثالى خع سخم



نماذج لفنون النحت من أيام الملك منكاورع مع عقد مقارنة بين مدرسة الدولة القديمة على أيامه مع ملامح تمثال للملك سنوسرت الأول (الأسرة الثانية عشرة)



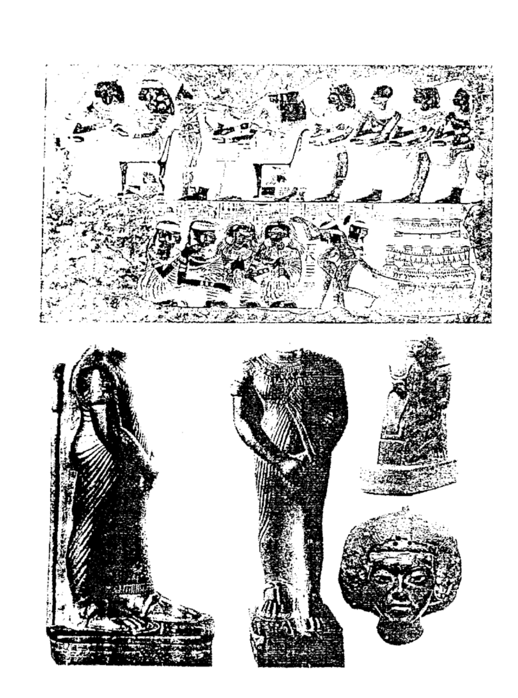
من روائع فن النحت فى الدولة القديمة: الرءوس البديلة - التمثال النصفى للأمير عنخ حاف (الأسرة الرابعة) - البا
الوهمى للموظف نفر سشم بتاح - تماثيل خشبية من مقبرة الموظف كاعبر (شيخ البلد) - تمثال لخادم وآخر لخادمة
(الأسرة الخامسة)



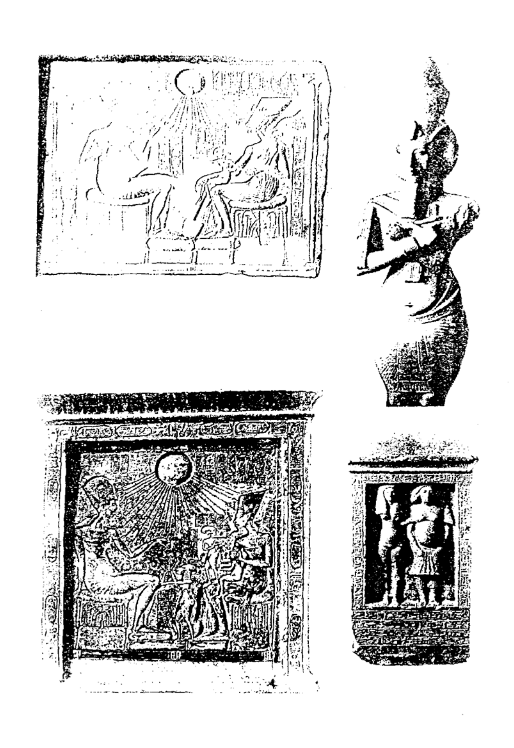
التحول من التقدم الفنى فى الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة إلى التدهور فى عصر الاضطراب الثانى إلى التجديد والجمال فى الأسرة الثامنة عشرة



نماذج لتماثيل : من نهاية الأسرة الثانية عشرة (عهد أمنمحات الثالث: خرتي حتب) مع أخرى من الأسرة الثالثة ء (جبو وسبك أم ساف والملكان حور ونفر حتب!) وتمثال المهندس المعماري أمنحتب بن حابو للمقارنة (الأسرة ال عشرة).



روعة الفن فى عصر الأزدهار فى الأسرة الثامنة عشرة (حفلة أو وليمة فيها الطرب والشراب - تمثال المهندس المعمارى سننموت - تمثال الملك أمنحتب الثالث بامتلائه للجسم تذكر بفن العمارنة - رأس للملكة تى زوجته).

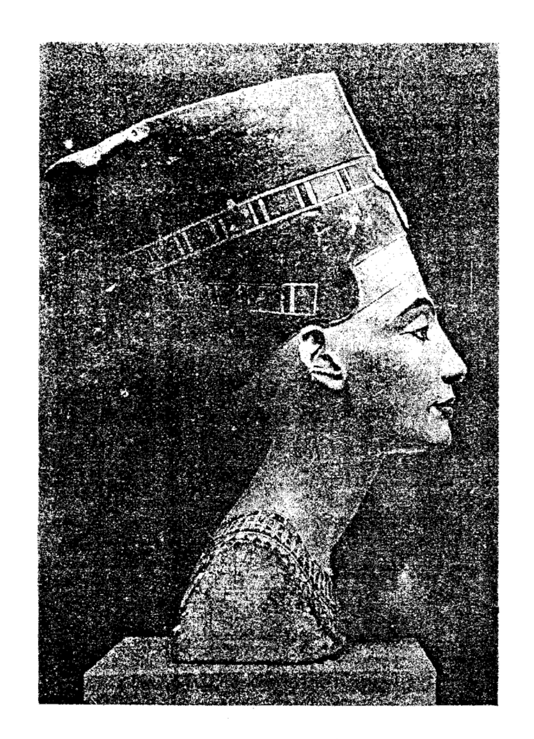


نماذج لفن العمارنة (يلاحظ ناووس أحد الموظفين الذى يظهر ومعه زوجته بأساليب فن العمارنة)

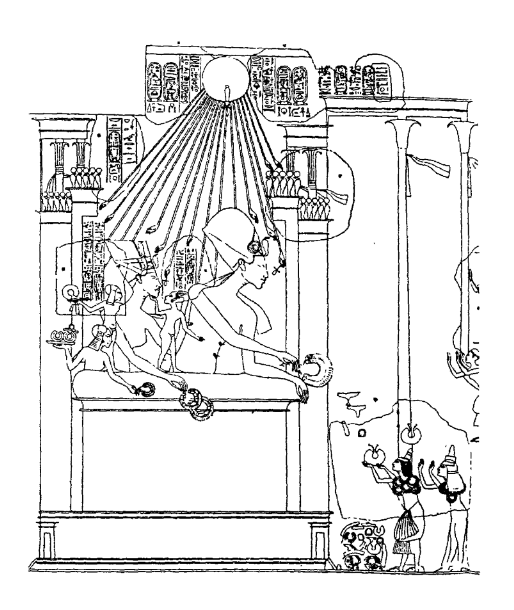
إن الإضافة العظيمة التى يقدمها هذا الكتاب الرائع هو جهد فنى لفنان اختار المنهج العلمى الأكاديمى للفت نظرنا إلى أهمية الفن فى العهود التاريخية لمصر القديمة فإذا كان اهتمامنا بالآثار والفنون بما نراه من رسوم ونحت وعمارة وفن يترك فنيًا إحساسًا جميلاً بعظمة أجدادنا، فإن الدراسة تبرز مزايا لا ندركها كمشاهدين عاديين.فعين الفنان الناقدة والتى تحس بالجمال من واقع الدراسات والمقارنات هى التى تعطينا دروسًا إضافية لنتذوق الجمال والروعة والعظمة التى يعرفها الفنانون من مختلف أنحاء العالم. وهم يقدرون حضارتنا بما تشمله من كافة أنواع الفنون ولنا أن نستعيد الكلمات التى غنتها وقالتها أم كلثوم فى جملتها الخالدة - «وبناة الأهرام فى سالف الدهر كفونى الكلام عن التحدي». ونستطيع إضافة فقرة مهمة: وصُنّاع التماثيل والنحاتون والرسامون وكافة الفنانين تركوا لنا الجمال والعظمة والابتكارات الفنية عند التحدى أيضًا.



تمثال إخناتون [اللوفر]



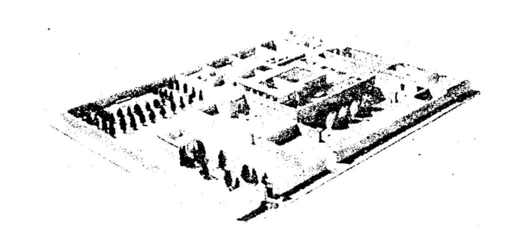
رأس نفرتيتي [متحف برلين]



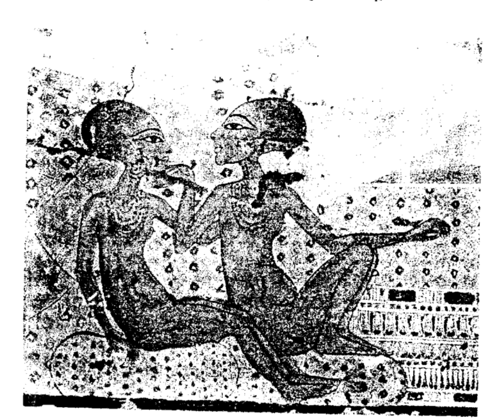
إخناتون ونفرتيتي في نافذة التجليات [مقبرة أي بالعمارنة]



إحدى بنات إخناتون ونفرتيتي [اللوفر]



ـ أحد منازل العمارنة [متحف المعهد الشرقى]



ابنتان لإخناتون ونفرتيتى [متحف الأشمولين]

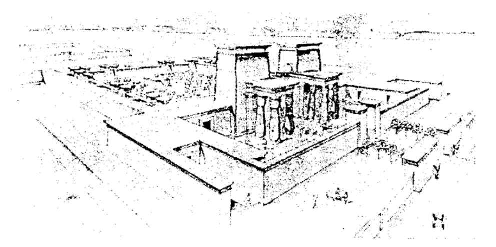


الأسرة الملكية بالعمارنة [المتحف البريطاني]

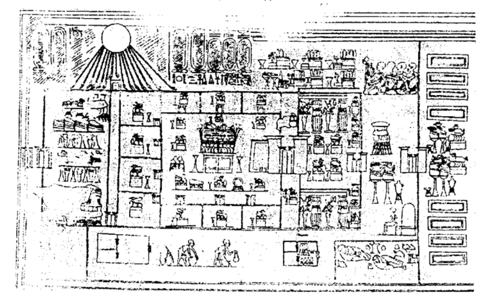




رءوس من العمارنة [متحف برلين]



ـ (أ) معبد آتون بالعمارنة

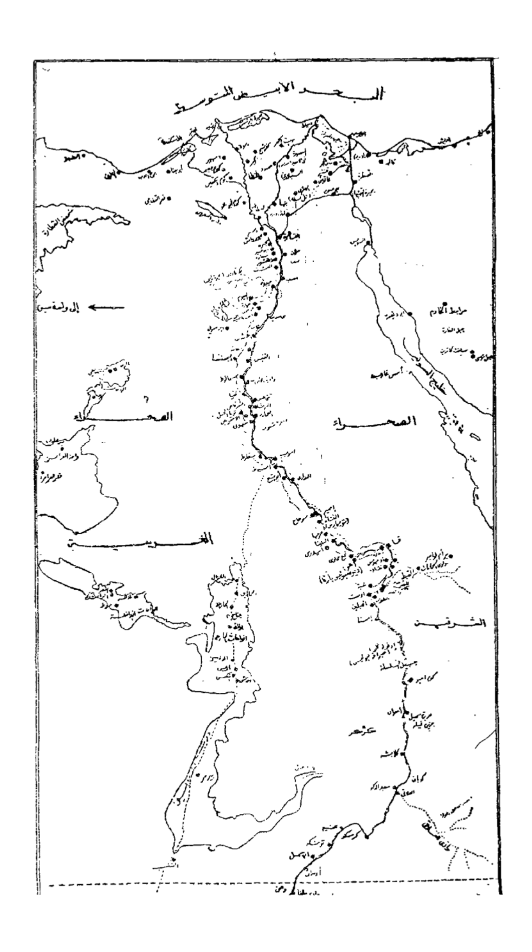


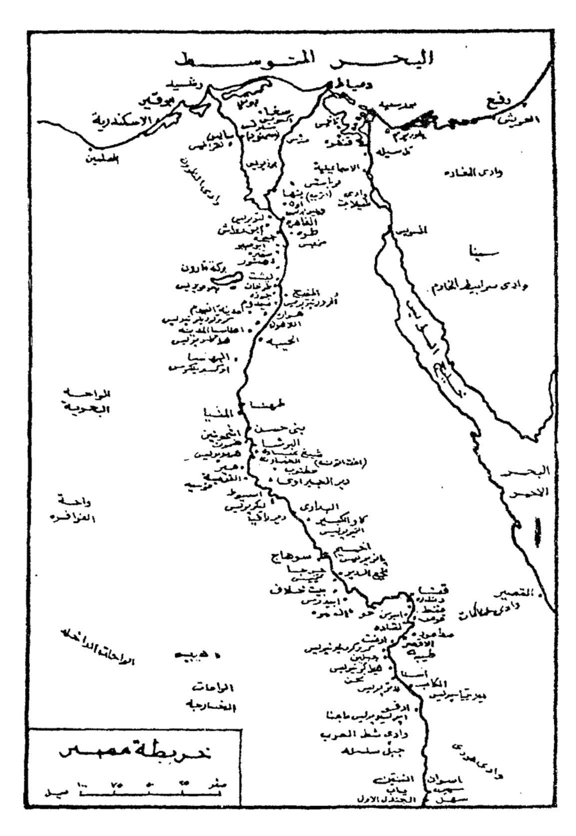
(ب) المعبد كما يبدو فى رسم بمقبرة مرى رع

أما عن المنهج الذى يناسب هذا الجزء من المختصر فسيتنوع حسب الموضوعات المختلفة، فالمنهج العلمى التحليلى القائم على الاستقراء والاستنباط والنقد فهو يناسب الدراسة التاريخية الموضوعية والمرحلية، وعند تناول الأحداث وإصدار أحكام فالمنهج السببى سيساعد فى البحث عن جذور أية ظاهرة مما يبرز أسباب الأزمة وطريقة معالجتها. وعند دراسة المجتمع فى تلك الحقبة المعينة وعند التحليلات فإن المنهج الذى اتبعه المقريزى هو يحس باهتمامه بأحوال البلاد الاقتصادية والاجتماعية.

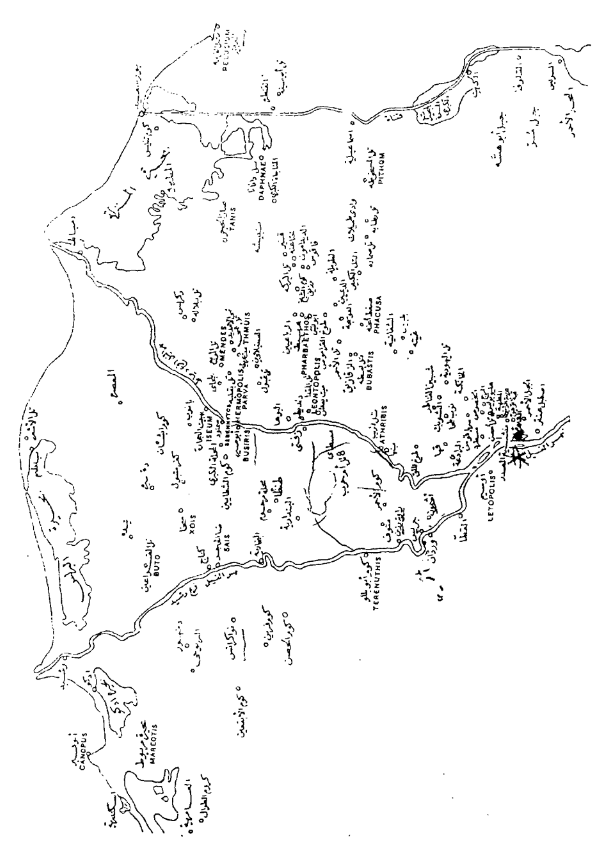
وحيث إن الكتاب يتناول التاريخ فإن الطريقة الحولية التى سار عليها الطبرى تفيد فى إظهار التسلسل للأحداث. كما أن منهجه فى الاهتمام بأحوال البلاد الاقتصادية والاجتماعية أعطتنا معلومات عن حياة المصريين الاجتماعية وعاداتهم واحتفالاتهم الدينية. والدكتور/ سليم حسن تناول فى موسوعته النواحى الإنسانية، وكمثال تناول العلاقة بين الفرعون الذى اهتم بصحة الموظف المخلص الذى تعرض للغيبوبة بسبب الإرهاق.

والموسوعة تبين أن تاريخ الشعب هو التاريخ الحقيقى.

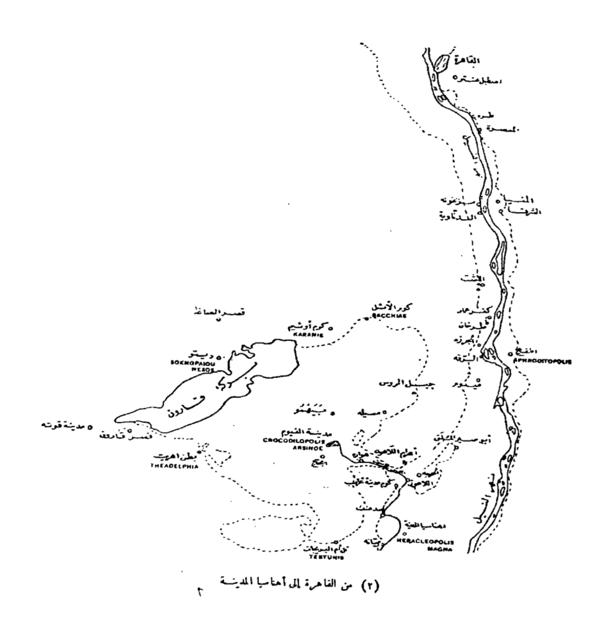

البحر الابيض المتوسط
إلى واحة سيوة
الصحراء
الصحراء
الغربية
الشرقية
خليج السويس
اسنا
أسوان



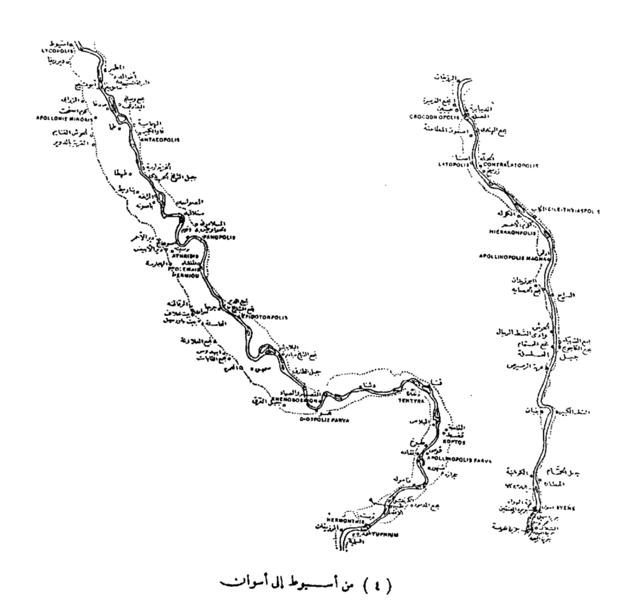
خريطة رقم (١)



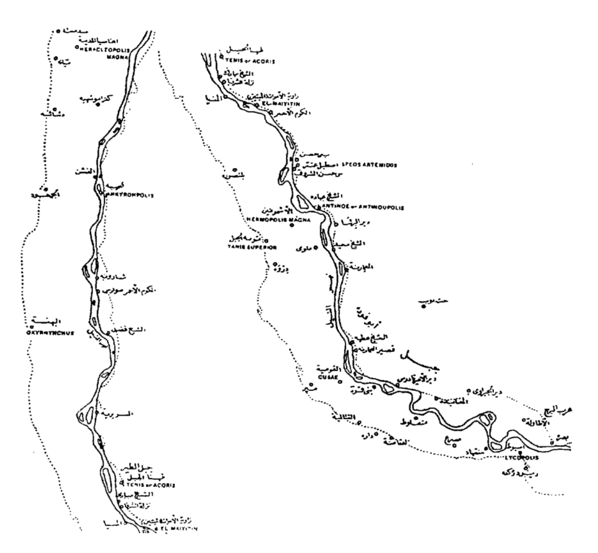
خريطة الوجه البحرى



(٢) من القاهرة إلى أهناسيا المدينة



(٤) من أسيوط إلى أسوان



(٣) من أهناســية المدينة إلى « درسكه »

الجــزء الخــامـس

تمهيد:

يعتبر المؤرخون «أمنحتب الثاني» آخر أبطال فراعنة مصر الذين امتشقوا الحسام من الأسرة الثامنة عشرة. ولا نزاع فى أن عهد خلفه «تحتمس الرابع» كان باكورة مرحلة جديدة فى حياة الشعب المصرى، فالممالك المجاورة تدين لمصر بالطاعة وتحمل إليها الهدايا تارة، والجزية تارة أخرى سواء من بلاد سوريا وفلسطين شمالاً أو من بلاد النوبة و«كوش» جنوبًا يجلبون إلى بلادهم من خيرات تلك البلاد. والواقع أنهم غرقوا فى بحبوحة الثراء، ودب فى نفوسهم وأرواحهم الرخاوة التى تسببها الثروة الوفيرة، والأرزاق الكثيرة، والبطالة المضللة، والفراغ المغرى، حتى فسدت أخلاقهم وذهبت عنهم ريح البطولة الحربية وحب الفتح والمغامرة، خصوصًا أن الممالك المجاورة كانت لدنة العود لم تبلغ من القوة والبطش ما كانت عليه مصر وقتئذ. فعقدوا المحالفات معهم وأحكموا أواصر المصادقة والمهادنة والمصاهرة.

كان «تحتمس الرابع» هو أول من اتبع هذه السياسة فتزوج أميرة متنية، وكان بذلك أول من ضرب بالتقاليد الفرعونية عرض الحائط.

وقد انتفعت مصر من تبادل الصناعات والفنون والعلوم والثقافات، كما أخذت الدول عن مصر الشيء الكثير من ثقافتها وحضارتها. ولكن عندما رأى أمراء الأمم المجاورة أن مصر قد أصبحت متهاونة، وأن جيوش الفرعون أصبحت لا يحفل بقوتها ولا يعتد ببطشها، وأن عوامل الإخلال كانت تسرى فى دمها بسرعة مدهشة وشاءت الأقدار أن يتربع على عرش مصر بعد «امنحتب الثالث» فتى فى مقتبل العمر - إخناتون - ولم تكن تهْمه السياسة كما يهمه مذهبه الدينى الجديد - الذى يتمثل فى قرص الشمس (آتون). ويعتبر إخناتون أول شخصية فى التاريخ أبرز فكرة التوحيد فى معناه الحقيقى كما نفهمه، فقد كان يسير على أسس قوامها أن الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى برأ ما فى السموات والأرض لا شريك له.

بالإضافة إلى سياسة المصادقة والمهادنة والود التى مكنت «تحتمس الرابع» من توثيق علاقاته بالدول المجاورة بالمصاهرة فإن هناك علامات واتجاهات فى الفكر لتيارات خفية تسير ببطء وعلى مهل مبشرة بقيام انقلاب إصلاحى دينى سام غرضه القضاء على الوثنية والاعتراف بإلـه واحد فرد صمد.



تحتمس الرابع (١٤١٥ – ١٤٠٥) ق . م

من ثلاث لوحات اكتشفتها الجامعة المصرية حول معبد «أبو الهول» نعرف أن أميرًا يدعى «أمنمأبت» ترك لنا اسمه فى مكانين على اللوحة أخطأهما عدوه الذى كان يزيل اسمه، بأنه على ما يظهر كان أخًا أصغر لـ «تحتمس الرابع» ومن اللوحة الجرانيتية التى بين يدى «بو الهول» نجد الحديث عن رؤية صادقة للأمير «تحتمس» يعده فيه الإلـه بمُلْك مصر عندما يزيل رمال المحراب. وكانت هذه هى حيلة «تحتمس الرابع» فى الاستيلاء على الحكم والواضح أنه لم يكن من حقه. فلو كان من حقه، لما ادعى قصة الرؤية والوعد.

كان «تحتمس الرابع» هوأول من حارب كهنة آمون وأراد القضاء عليهم وعلى نفوذهم، وسار على نهجه «أمنحتب الثالث» ثم «إخناتون» وفى عهدهم ظهر قرص الشمس بأجنحته المنتشرة والمكتنف بصلّين قد زوّد بذارعين ويدين آدميتين ممسكتين بطغراء عظيمة كأنهما تحميانه. ويدل فن عهد «تحتمس الرابع» على أنه عصر فن جديد ينزع فى صوره إلى محاكاة الطبيعة والواقع. كما أنه يعتبر عهد إعادة عبادة الإلـه «رع» وفى صورته الجديد.

حروب تحتمس الرابع:

تدل الوثائق التى لدينا على أن «أمنحتب الثاني» لم يقم بحروب بعد حملته الثانية المؤرخة بالسنة التاسعة من حكمه. ولما تولى «تحتمس الرابع» الحكم قام بحملة على شمالى بلاد سوريا (نهرين)، ثم قامت الثورات فى الجنوب فى بلاد «واوات» فقضى على عصيان أهل بلاد«كوش» .

آثار تحتمس الرابع:

بقى «تحتمس الرابع» فى استغلال مناجم شبه جزيرة سينا. وفى الكرنك نقش مناظر أضيفت للبوابة الرابعة، كما عُثر له على تماثيل فى «الكرنك» وترك لوحات عديدة فى «الأقصر»، «القرنة» وذكر اسمه فى «الفنتين»، «أمدا»، «حلفا»، معبد

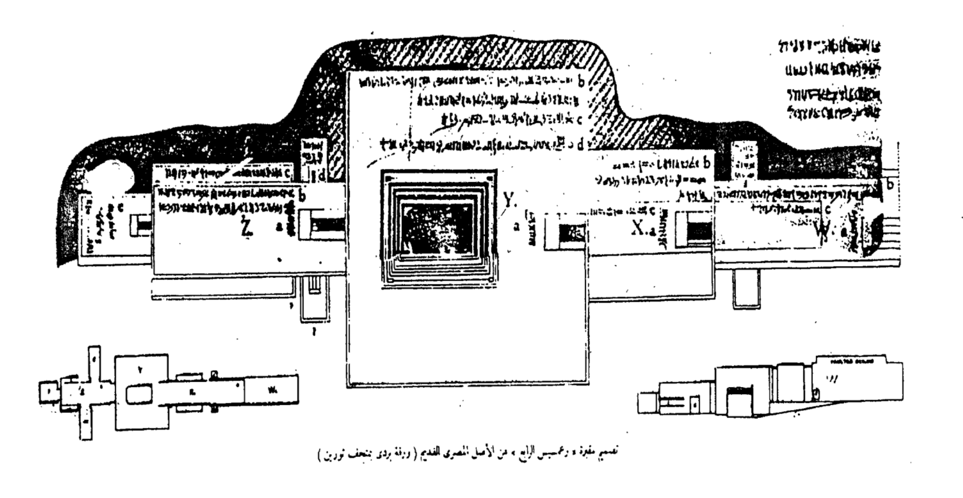
«بوهن»، وأماكن أخرى فى النوبة. أما جعارينه فيوجد منها عدد عظيم. وتعتبر الأعمال الخاصة التى عُملت فى هذا العهد أدق صُنعًا من الآثار العامة الباقية.

بناتــه:

ترك هذا الفرعون عدة بنات عُرف منهن تسع جاءت أسماؤهن على بطاقات من الخشب.



مومية « رعمسيس الرابع »



تصميم مقبرة « رعمسيس الرابع » عن الأصل المصري القديم (ورقة بردى بمتحف تورين)

وفاة تحتمس الرابع:

والظاهر أن آخر عمل صالح قام به «تحتمس الرابع» هو إقامة مسلة جده «تحتمس الثالث» التى نقشها وبقيت ملقاة فى مكانها خمسة وثلاثين عامًا. وكانت مدة حكمه لا تزيد على ثمانية أشهر وتسعة أعوام كما ذكر لنا «مانيتون» وقد دفن فى مقبرته التى أعدها لنفسه فى وادى الملوك. ثم نقل منها فى عهد الفوضى التى حدثت فى نهب قبور الملوك والعظماء فى أثناء البحث عن الكنوز فى عهد «رمسيس التاسع» ، وقد أودع هو وابنه العظيم وغيرهما من الفراعنة العظام فى قبر «أمنحتب الثاني» وبقى فى هذا المكان إلى أن كشف العالم «لورية» عن قبر الأخير فى عام ١٨٩٨م. أما قبره هو فكان أول سلسلة من القبور الملكية التى كشف عنها «تيدور ديفيز» وفتح فى عام ١٩٠٨. وكان بطبيعة الحال قد نهب فى الأزمان القديمة. ولكن مع ذلك وجد فيه قطع أثاث لها أهميتها وبخاصة عربة حربية التى كُسى جزؤها الخشبى بالكتان ووضع عليه طبقة من الجص نقش عليها مناظر حرب بالنقش الغائر.

وتعد من أحسن القطع الفنية التى ورثناها من عهد الإمبراطورية المصرية، وبخاصة رسم أول موقعة حربية عرفناها من عهد الإمبراطورية. وفى عهده بدأت سياسة التحالف التى عقدت بين «مصر» وبلاد «متني» ، وهى التى قد وطدت أركانها بزواج الفرعون من أميرة «متنية» الأصل، وهذه أول مرة نعرف فيها أن ملكًا مصريًا تزوج من أميرة أجنبية.

علاقات مصر بالدول المجاورة

كانت المراسلات التى تدور بين مصر والأمم التى حولها مفعمة بالمحبة الخالصة والود الصادق، حتى أن فرعون مصر كان يخاطب أنداده كما يخاطب الأخ أخاه والصديق الحميم حتى ارتفعت بينه وبينهم كل التكاليف الرسمية.

ولقد كانت هذه المجاملات بين الفرعون وأصدقائه من ملوك الأمم الأخرى مرعية لدرجة عظيمة جدًا، حتى أن ملك بابل المسمى «بورنابورياش»

عتب على «أمنحتب الرابع» وعلى زوجته «نفرتيتي» فى رسالة مظهرًا ألمه الشديد لإهمالهما السؤال عنه وهو طريح الفراش.

المصاهرة:

كان ملوك مصر يستحلون لأنفسهم الزواج من بنات الملوك حلفائهم، وفى الوقت نفسه يحرمون بناتهم على الأمراء الأجانب، ونعلم أن «أمنحتب الثالث» احتفظ بين نساء قصره بعدة غادات من الأميرات الأجنبيات، وتزوج من أخت ملك بابل المسمى «كاداشما نخرب» ، وكذلك تزوج من أخت ملك متنى «دوشرتا»، ثم تزوج من بنت ملك «أرزاوا» المسمى «تارخونداراب» وهو أحد أمراء سوريا. وعلى الرغم من إسرافه فى التزوج بأجنبيات لم يرض أن تكون واحدة منهن ملكة شرعية على عرش البلاد. بل تزوج من إحدى بنات الشعب (وهى الملكة «تي») وفضلها على كل الأجنبيات متخذًا أياها ملكة شرعية على عرش مصر. وكان الذهب الذى تزخر به مصر هو السلاح الذى استخدمه الفراعنة فى عمل علاقات مع الملوك. وكان ملك «آشور» يطلب الذهب ليستعمله فى زخرف مبانى قصره وتزيينه، أما ملك «الأشيا» (قبرص)، فكان متواضعًا فى طلباته لأنه كان يعدّ نفسه من أتباع الفرعون، ولذلك كان يطلب إليه فضة، ثم يلح فى طلب زيت لشدة حاجته إليه فى بلاده، وفضلاً عن ذلك كان تيار تبادل الهدايا بين ملوك «آسيا» و «مصر» لا تنقطع أسبابه، ونعلم أن «بابل» كانت مختصة بإرسال «اللازرد الأزق» الذى كان المصرى يعدّ الحصول عليه مغنمًا عظيمًا لندرته فى بلاده. وكانت مصر تبادل المنتجات مع معظم جيرانها.

الموظفون والحياة الاجتماعية فى عهد «تحتمس الرابع»

ومن المناظر المرسومة على جدران مقابر الموظفين نعرف الكثير عن الحياة الاجتماعية فى هذه الفترة، بل وحتى الدينية. ففى مقبرة «أمنحتب ساس» نرى أن اسم «آمون» قد محته شيعة «آتون» وكذلك صور الكاهن «سم» وفى نفس المقبرة نشاهد وليمة أقيمت خارج المنزل و «أمنحتب» نفسه يدخل بعربته من باب

البيت يتقدمه سائسان ويتبعه أربعة خدم حاملين أمتعته الشخصية، ولأن «أمنحتب» نُصب كاهنًا ثانيًا فى معبد «آمون» كان لزامًا عليه بعد ذلك أن يفحص مصانع ضياع «آمون» إلـهه فنشاهده يشرف أولاً على وزن المعادن الثمينة التى كانت تُسلم للصناع الذين يشاهدونه منهمكين فى صياغة مختلفة. وفى جهة أخرى نجده يفحص أعمال صُناع العربات والسرج. ونعرف عن كيفية منع السرقة التى كانت تحدث غالبًا بين الحقل والمخزن بأن يأخذوا نسبة محصول قطعة صغيرة من الأرض ثم يُقاس عليها وبذلك كان يعرف مقدار المحصول الذى لابد أن يورد إلى مخزن الإلـه، وأخيرًا كان يكال الحَب الذى حُصد ويسجله كُتاب.

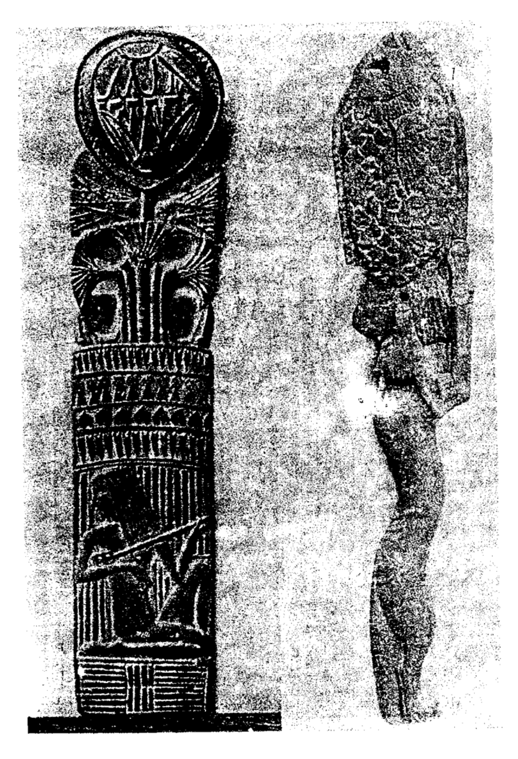
ومن مقبرة «نب آمون» نعرف أنه كان يشغل وظيفة «ياور» الفرعون فى كل حملاته فى الجنوب والشمال ثم رُقى إلى «قائدًا بحريًا» ثم رئيس الرماة (قائد المشاه) ثم رئيس الشرطة فى طيبة الغربية، رغم وجود وشاية ضده. ونعرف تسلمه رمز وظيفته والوثيقة بتعينه بأن نراه واقفًا وبيده عصاه ذات الطابع الخاص من التى نشاهدها فى أيدى قبائل البدو. وقد تقبل «نب آمون» باحترام «علم الغزال» وهو رمز شرطة طيبة الغربية ثم براءة تعيينه التى كانت موضوعة فى أسطوانة صغيرة عمود فى صورة نخلة. وفى منظر آخر نراه يقدم طاقة أزهار للفرعون وأمامه خادمان يحملان رموز وظيفته وهى (بلطة) وحزام وحزمة أعشاب ومروحة. ومنظر آخر يقدم الأسرى والجزية للملك.

عمل رجال الشرطة:

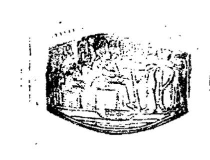
ومن المناظر النادرة التى رُسمت فى المقبرة ..موظفًا جالسًا تحت شجرة وبيده غصن يرمز به للعيد أو الفرح، وقد أتى إليه أخوه «ترى» (أى أخو «نب آمون») رئيس الشرطة فى الحى الواقع غربى «طيبة» ومعه رجلان فبلغ «تري» عن الحالة قائلاً: «إن الحى الجنوبى والحى الشمالى يسود فيهما النظام»، ثم يضيف إلى ذلك رجاله ويحتمل أنهم رجال (الدورية) «إن المكان أمان والنظام فيه جيد جدًا» . ولا شك فى أن هذا هو التقرير الذى كان يقدم كل مساء بانتظام من رجال الشرطة «طيبة» كذلك نرى بيت «نب آمون» ويوجد فى أصل سقفه المنبسط (ملقفان)

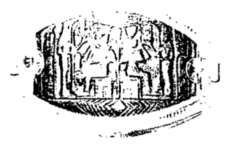
لتوصيل هواء الشمال والجنوب إلى داخل المنزل.

ومن قبر «ثانني» نرى عرض عسكرى وعملية اقتراع الجنود الجُدد ولدينا منظر آخر من هذا القبر نشاهد فيه عرض الخيل والثيران أمام «ثانني» ومن قبر الكاتب الذى يحص الحَبْ فى مخزن غلال القربان المقدسة «للإلـه آمون» ويدعى «زسر – كا – رع – سنب» نرى مناظر الحصاد. فنراه واقفًا عند حقل الغلال متكئًا على عصاه وأمامه رجل يحرث الأرض وخلفه صبى يبذر البذور وبعد ذلك نجد رجلين يقومان بعزق الأرض بفأسيهما ومتجهين نحو شجرة معلق عليها سلتان تحتويان طعامًا وجرة ماء ليبرد ماؤها بظلها الظليل.



صناديق للعطور مصنوعة من الخشب [المتحف البريطانى]





مجوهرات امنحتب الثالث [متحف المتروبوليتان للفن]



[illegible] ـ كأس من الخزف
[متحف متروبوليتان للفن]

وبعد الحصاد نشاهد بضع فقراء القوم يلتقطون ما ترك وراء الحاصدين من سنبل كما هى العادة حتى يومنا هذا فى زمن الحصاد. ونرى بعد ذلك رجلين يحملان السنبل فى سلات ضخمة لأجل الدرس حيث تدور عليها الماشية حتى تفصل الحَبْ عن القشور، ثم يأتى دور التذرية بآلات خاصة تشبه المراوح أو المذراة فى أيامنا هذه.

ومما يلفت النظر فى الوليمة التى رُسمت على جدران قبره أن الفتيات اللائى كن يقمن بخدمة السيدات المضيفات عاريات الأجسام اللهم إلا من حزام ضيق يستر عوراتهن. وتدل شواهد الأحوال على أن صور طائفة السيدات الرشيقات والفتيات المغنيات والراقصات اللائى كن يقمن بخدمة المضيفات قد نقلها الفنان القديم نقلاً أمينًا عن مقبرة «أمنحتب ساس» .

ومن نقوش محبرة صنعت من الخشب وهى الآن بالمتحف البريطانى لشخص يدعى «مرى رع» نصادف فى الأدعية والصلوات المصرية ما يقصد منه غير الأشياء المادية كالشراب والطعام أو طول العمر ولذلك جاءت هذه الأدعية بطلب العلم والمعرفة من الأشياء الطريفة فى بابها.

الفرعون أمنحتب الثالث (١٤٠٥ - ١٣٧٠ ق. م)

صورت ولادة أمنحتب الثالث على جدران معبد الأقصر. وقد احتال فى إيجاد حجج ترفعه إلى عرض الملك أمام أعين الشعب الذين كانوا ينظرون إلى الفرعون نظرة الإله. وأنه من دم إلـهى خالص، أو بعبارة أخرى كان يعد ابن الشمس والظاهر أن الملكة «موت مويا» والدة «أمنحتب الثالث» لم تكن من دم ملكى خالص مما دعاه إلى تمثيل ولادته على جدران معبد «الأقصر» ليظهر للملأ أنه هو ابن الإلـه «رع» ، ولذلك نراها فى المنظر الذى على جدران معبده بالأقصر «تجتمع » بالإلـه «آمون» وتحمل منه فى الملك «أمنحتب الثالث» وذلك جريًا على عادة الثالوث فى المعابد المصرية أى أن الإلـه يجتمع بالإلـه زوجه التى معه فى المعبد وبذلك يعقبان ذكرًا يكون هو الابن وثالث ثلاثة. وتدل كل الشواهد على

أن «أمنحتب الثالث» هو ابن الملك «تحتمس الرابع» .

حروبه فى السودان:

لم يقم بحرب غير حملة واحدة فى بلاد «كوش» والظاهر أنه قامت ثورة فى بلده «أبهت» بعد الشلال الثانى فكلف الفرعون نائبه فى أقطار الجنوب وابن الملك المسمى «مرمس» بجمع جيش من النوبيين من بلاد النوبة السفلى والزحف به لقمع الثورة بمساعدة الجيش المصرى الذى كان بقيادة الفرعون نفسه. وبعد أن أحرز الفرعون النصر على هؤلاء العصاة أوغل فى بعض الوديان الواقعة على ضفتى النهر وكانت مأوى لقبائل الصحراء الذين تعودوا الانقضاض على الأماكن المعمورة من وقت لآخر لسلبها ونهبها. وفى «المتحف البريطاني» لوحة تشير إلى حروب «أمنحتب الثالث» فى بلاد النوبة وتدعى (لوحة سمْنه) أما الأرض الاسيوية فإن قدم «أمنحتب الثالث» لم تطأها قط، على الرغم مما ذكر فى نقوشه.

إمبراطورية «أمنحتب الثالث» وملاهيه

والواقع أن «أمنحتب الثالث» كان آخر فرعون حكم الإمبراطورية المصرية من أقصاها إلى أقصاها. والظاهر أن الروح الحربية التى كانت تتأجج فى نفوس رجال الشعب المصرى قد انطفأ مصباحه عندما أخذت عيشة الترف والبذخ والبدعة تدب فى الشجعان الذين كانوا يقودون جيوش مصر إلى ساحة النصر والفخار.

وكان السلام شاملاً والأمور تجرى فى مجراها الطبيعى، فقام «أمنحتب الثالث» بالأعمال السلمية التى كانت تتجلى مظاهرها فى تقدم الفن والعمارة والأدب.

أما عن زواج الملك من «تي» قبل السنة الثانية من سنة حكمه، فهو زواج عن طريق الحب والمعاشرة، إذ لابد أن «تويا» أم «تي» التى كانت تحمل لقب الوصيفة الملكية ومغنية الإلـه «آمون» كانت على اتصال بأمنحتب الثالث فى طفولته. وهنا

نشأت أواصر الحب بينهما وانتهت بزواجه منها، ولقد استطاعت بنت الشعب هذه بما أوتيت من ذكاء وسحر أن تستأثر بلب زوجها وتستهوى قلبه.

«أمنحتب » والصيد والقنص:

تمكن الفرعون من صيد ستة وتسعون ثورًا بريًا. وقتل «اثنان ومائة من الأسود المفترسة» فى السنوات العشر الأولى من حكمه.

مبانى أمنحتب الثالث

أقام المعابد للآلهة المحلية فى «طيبة» نفسها مقر الإلـه العظيم «آمون رع» فأقام معبدًا للألـه «منتو» إلـه الحرب وآخر للإلـهة «موت» زوج الإله «آمون رع» فى معبد الكرنك أيضًا، وأقام معبده الجنائزى على الضفة اليمنى للنيل ولم يصل لنا من أطلاله ما يدل على فخامته وعظمته إلا التمثالان المعروفان بتمثالى «ممنون» . ومن حسن الصدف أن «أمنحتب الثالث» بعد أن أتم إقامة هذا المعبد العظيم أقام فى ردهته الكبرى لوحة عظيمة من الجرانيت الأسود نقش عليها نقوشًا جاء فيها كل ما كان يحتويه المعبد من أثاث فخم، وزخرف بهيج، وقد إغتصب الفرعون «مرنبتاح» هذه اللوحة بعينها وهى المعروفة بلوحة «بنى إسرائيل» وذكر لنا «أمنحتب الثالث» التماثيل التى أقامها فى هذا المعبد وقد نحتها من كل الأحجار النادرة، وكذلك الأوانى والأشياء التى صنعها من الذهب كما أشار إلى تمثالى «ممنون» القائمين أمام «بوابة المعبد» وكذلك ذكر لنا وجود مسلتين. ثم ذكر لنا وضع مزولة ليعرف بها الكهنة سير الشمس فى السماء.

وتقول الأسطوة أن ممنون كان يهاجم أهالى «طروادة» هو وجيش من الأثيوبيين ضد الإغريقيين، وقد قتله «آخيل» البطل الإغريقى، غير أن أمه «ايوس» التقطت جثته من ساحة القتال، ودعت الإلـه «زيوس» أن يمنحه الأبدية وقد نال تمثال ممنون شهرة عالية ذلك أنه حدث زلزال فى عام ٢٧ ق. م فكُسر التمثال نصفين. وبعد التصدع بزمن قصير كان المارة يسمعون فى الصباح المبكر عند طلوع الشمس صوتًا موسيقيًا ينبعث من التمثال المكسور.

وأقام «أمنحتب الثالث» قصرًا له فى الجهة الغربية من طيبة وهو المعروف الآن بمدينة هابو، وبنى قبره فى أبواب الملوك، أما فى طيبة الشرقية فقد أقام طريق الكباش والبوابة الثالثة بالكرنك بالإضافة إلى سفينة الإلـه «آمون» فى الكرنك أيضًا ويبلغ طول سفينة «آمون» ٢١٤ قدمًا. وأقام معبد آخر للإلـه «منتو» وبنى أمامه بوابة ومسلتين وفى النهاية الجنوبية من الكرنك بنى معبد الإلهـة «موت» زوج «آمون».

وأقام معبد الأقصر بالإلـه «آمون» . واحتفل بعيد «سد» (الثلاثيني) مدة حكمه ثلاث مرات. وترك فى أماكن كثيرة جعارين له وللملكة «تي» حتى فى «قبرص» و«سينا» كما ترك تماثيل ضخمة منها اثنان فى طيبة، ومجموعة من أربعة تماثيل فى قطعة واحدة من الحجر. وله تمثالان من التماثيل العادية فى المتحف المصرى وتمثال من الجرانيت الأسود فى المتحف البريطانى، وينسب لعهده تماثيل للإلهة والإلهات وبخاصة تماثيل الإلهـة «سخمت» المصنوعة من الجرانيت الأسود، كما يوجد تمثال واقف للإلـه «بتاح» من الديوريت فى «تورين» وآخر جالس من الحجر الجيرى الأبيض فى تورين أيضًا.

عبادة أمنحتب الثالث:

نشاهد منظر على لوحة لكائن بمعبد «أمنحتب الثالث» يتعبد فيها للإلـه «أوزير» والإلهـة «إيزيس» و«أمنحتب الثالث» والملكة «تي» وفى الكرنك نقرأ على تمثال صيغة القربان المعلومة تتلى للإلـه «سكر» والإلـه «نفرتم» ثم الإلـه «سخمت أى ثالوث» «منف» ثم للفرعون «أمنحتب الثالث» وكذلك نجد منقوشًا على صخور «بجه» صورة «أمنحتب» كاتب الفرعون يتعبد له.

نهاية حكمه:

يعد «أمنحتب الثالث» على ما يتضح أعظم ملك قام بأعمال البناء والتعمير فى عهد الأسرة «الثامنة عشرة» ، وكان النشاط والاهتمام اللذان بذلهما الملوك السابقون له فى الحروب الطاحنة، قد استغلهما هو فى تصميم المبانى التى أراد أن

يزين بها بلاده، وفى زيادة ثراء معابد الآلهة فى الوجهين القبلى والبحرى وبخاصة فى «طيبة» وفى «السودان» والواقع أن البذخ والترف وعيشة الاستهتار التى كانت تتميز بها حياة هذا الفرعون وأفعاله، والتى تنبئ عنها بقايا قصره فى مدينة «هابو» لأُكبر دليل على ما أصابه فى أواخر أيامه من وهن الصحة وترهل فى الجسم على الرغم من صغر سنه.

الموظفون فى عهد «أمنحتب الثالث» والحياة الاجتماعية فى عصره

ونرى كاتبًا يدعى «أمنحتب بن حبي» يترقى بسبب نبوغه ومجهوداته وما امتاز به من الصفات العالية والخلق العظيم، ترقى أولاً إلى وظيفة «كاتب الملك» ثم إلى رتبة «كاتب الملك الحقيقي» أى أحد السكرتاريين الخصوصيين، وقد أضاف إلى وظائفه أعمال المدير العظيم لبيت الفرعون ورئيس الخزانة ومهندس البناء، وقد كانت زوجته مغنية الإله «آمون» وعُثر فى قبره على محبرة كتابية نموذجية من المرمر موجودة الآن بمتحف اللوفر، ومحبرة أخرى نموذجية من المرمر بمتحف «متروبوليتان»، ومحبرة أخرى بمتحف «فلورنس» بالإضافة إلى قضيب مكعب ولوحة من الحجر الجيرى وهرم صغير من الجرانيت الرمادى، وإناءان منقوشان من المرمر ولكنها بمتحف «فلورنس» وأشياء أخرى غير ما ذُكر.

وهناك شخص آخر يدعى «أمنحتب» وكان وزيرًا للفرعون «أمنحتب الثالث» ترك آثارًا قليلة: قاعدة تمثال، ولوحة ثم محراب ولوحة محفوظة الآن بالمتحف البريطانى وقد خلفه على كرسى الوزارة «رع موسى» الذى يحمل الكثير من الألقاب الإدارية والقضائية وألقاب الكهانة، وهناك موظف فى يده أقوات البلاد ويدعى «خع إمحات» ومن مقبرته نعرف عن الخطوات التى تتبع من أول حرث للأرض وخزن الحبوب وتقديم القربان للألهة «رنوتت» إلهة الحصاد بالإضافة إلى منظر سطح الأرض، واللوحة التى تفصل حدود حقل عن حقل، أو بعبارة أخرى كانت توضع تأمينًا لفصل أملاك الأفراد بعضها عن بعض، ولعدم التعدى، كانت أمثال هذه اللوحة تختم وتسجل فى مصلحة المساحة، ومثل هذا التسجيل ضروريًا للفصل فى المنازعات.

ومن بين مناظر مقبرة هذا العظيم مشهد غير عادى يظهر فيه أسطول سفن نقل مصرى قد رسا على الساحل فى ميناء أجنبية، ومن منظر الحبوب السنوى عُرف أن الملك كان يكافئ موظفيه لما قاموا به من مجهود محمود بأنهم زادوا محصول الحصاد فى هذه السنة المباركة فيعطيهم «ذهب الجدارة»، أما الحج إلى «العرابة المدفونة» كذلك نشاهد بدلاً من المومياء كرسيًا خاليًا قد كدست عليه الأزهار موضوعًا فى محراب صغير يشبه الجوسق.

المدينة فى باكورة الأسرة الثامنة عشرة

إن الحرب التى شنت على الهكسوس لم تقم بها الأمة عن بكرة أبيها لمناهضة السيادة الأجنبية، بل قام بها فى الواقع ملوك «طيبة» الشجعان، وهم الذين قد هزتهم النخوة الوطنية والعزة القومية وآزرهم فى ذلك أهل الجنوب، وبخاصة جنودهم الذين اتصفوا بالشجاعة والإقدام وحُب الكفاح. وبعد ما قضى «أحمس» على أفراد المقاطعات، وجمع السلطة كلها فى يده وَحَّدَ كلمة البلاد. وقد ساعده على ذلك الجيش المدُرّب والموظفين الأكفاء من طبقات الشعب الفقيرة.

وكانت أرض الكنانة المقسمة نظريًا إلى قسمين – الوجه القبلى والوجه البحرى – طرأ عليها تغيير طفيف: فالوجه القبلى الذى ينسب إليه أمراء «طيبة» كان يمتد من الفنتين حتى «أسيوط» و«القوصية» وكان هذا الإقليم بعينه مقسمًا قسمين، شمالى «طيبة» وجنوبها. أما الجزء الشمالى من البلاد الذى كان يمتد من الأشمونين حتى ساحل البحر الأبيض المتوسط، وهو الجزء الذى كان يسيطر عليه الهكسوس، فكان تحت إدارة وزير آخر يقطن «منف» .

مهام الوزير:

كانت تصل إليه التقارير عن عمل كل الموظفين المسئولين أمامه، وهو الذى كان يفصل فى الأمور الحكومية كلها، وعلى ذلك كان هو قاضى القضاة. وتُرسل إليه كل الأحكام التى كانت تصدرها المحاكم المحلية المختلفة، ويجلس رجال مجلسه على كلا جانبيه وهم «عظماء الجنوب» ، ثم يؤتى أمامه بأصحاب المظالم

والشيكات والمذنبين فيفصل فى أمورهم. وكل الوصايا لا تنفذ إلا إذا أجازها الوزير ووقع عليها بخاتمه أو كان الوزير يسير فى أحكامه على نهج الحياد التام.

الحياة الاقتصادية:

كانت ثروة البلاد ثروة زراعية من قديم الزمان واستمرت كذلك فى عصور التاريخ المصرى كلها فى أساسها. حقًا قد لعبت المعادن الثمينة فى اقتصاد البلاد دورًا مهمًا. إذ كانت تستعمل فى صورة حلقات من النحاس من المحصولات على حساب مراتب الموظفين.

المدارس والتعليم:

والظاهر أن المدارس فى عهد الدولة الحديثة كانت درجتين فالأولى تعادل بوجه عام ما نسميه نحن «المدرسة» ويسميها المصريون «بيت الحياة» وفيها كان يتعلم الأولاد الكتابة والأدب القديم. ولما كان التلميذ يتخطى هذا الدور الابتدائى من التعليم كان يقيد كاتبًا فى إدارة ما ثم يستمر فى تحصيل العلم هناك على يد موظفين كبار. ومن وثيقة نعرف دور الكاتب الذى أراد أن يعلم التلميذ العلوم كافة فيقول التعليم التى تجعل الفرد أديبًا، وتعلم الجاهل علم كل كائن، وكل ما صنعه «بتاح» وما سجله «تحوت» والسماء ونجومها والأرض وما عليها وما تخرجه الجبال، وما تجود به البحار، وما له علاقة بكل الأشياء التى تضيئها الشمس وكل ما ينمو على الأرض.

ومن وثيقة «أمنموبي» التى كانت الخطوة الأولى نحو فكرة تكوين قاموس، نجد أن الترتيب الذى وُضعت به ينم عن ترتيب منطقى مميز. ومن «ورقة أنستاسى الأولي» يرى القارئ فى المناقشة الأدبية أن الموظف وإن كان فى الإصطبل الملكى كان فى قدرته أن يكون معلمًا ماهرًا. وقد كانت مهنة التدريس مغلغلة فى نفوس الموظفين الذين يحسنون الكتابة لدرجة أنهم كانوا يباشرونها فى وسط أعمالهم.

سلطة الفرعون فى داخل البلاد وخارجها:

كان الفرعون يكنز القناطير المقنطرة من الذهب فى خزائنه، وكانت توضع

ثروة كل أسرة فى قوائم يدون فيها عدد أفرادها وحالتهم. وعندما كانت تشتد الحاجة إلى الأيدى العاملة كان أولو الشأن يستخدمون أسرى الحرب والأفراد الذين يجلبون إلى البلاد بصفة جزية لإنجاز هذه الأعمال وكانت مصر تستورد منتجات البلاد الأجنبية، وبخاصة أخشاب بلاد «لبنان» اللازمة للبناء وصُنع السفن المقدسة والأسطول، ومصنوعات بلاد «سوريا» ومحاصيل مناجم بلاد «النوبة» و«شبه جزيرة سينا»، أما أهم هذه المحاصيل وأعظمها لتسيير أمور الدولة فكان ما تخرجه مناجم جبال بلاد النوبة من الذهب جزية سنوية تُدفع إلى مصر.

لقد تطورت الثقافة والحالة العالمية وطرق المعيشة تطورًا عظيمًا فى الدولة الحديثة. وكانت مصر الدولة العظمى التى تقود ثقافة العالم، ومع ذلك بقيت فى عظمتها وعزلتها فى أحوالها الداخلية مثلاً لم يسمع به عن أى دولة أخرى فى العالم. وكان الإلـه «آمون» رب «طيبة» إلـه الدولة الأول، وأنه موحد مع الإلـه «رع» المسيطر على العالم. وتكونت فى البلاد ملكية خاصة بالآلـه ذات نظام ثابت يشبه نظام الحكومة، فكان لها خزائنها ومخازنها ومصانعها وموظفوها الآخرين بطبيعة الحال أملاك خاصة مثل الإلـه «أتوم» صاحب «هليوبوليس» والإلـه «بتاح» رب «منف» والإلـه «تحوت» رب «الأشمونين» والإلـه «أوزير» صاحب العرابة المدفونة، وحقيقة الأمر أن نظام الكهانة هذا قد أوجد حكومة داخل الحكومة المصرية، وكان خطأ ملوك الدولة الحديثة فى قيام قوة كهنوتية قبضت فى نهاية الأسرة على زمام الحكم.

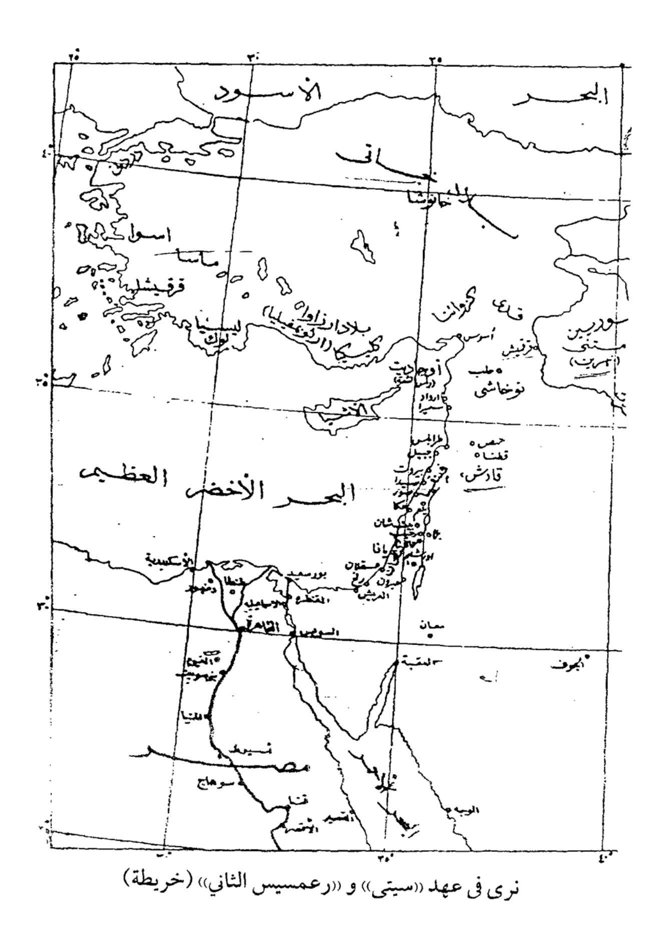
إدارة السودان

لقد ساعدت أموال النوبة مصر فى بناء مجدها فى آسيا، وقد عين الفرعون لها حاكمًا أطلق عليه لقب «ابن الملك» حاكم البلاد «النوبة» فكان بحكم موضعه «نائب الفرعون» والظاهر أن هذه الوظيفة قد أنشئت فى عهد «أمنحتب الأول» وبقيت حتى الأسرة الحادية والعشرين، وقد كان آخر من لقب بهذا اللقب هو «بى عنخي» ابن الفرعون «حريحور» وقد جدد لقب «نائب الملك» ثانية فى عهد الأسرة الثالثة والعشرين ولكنه أصبح لقبًا شرفيًا.

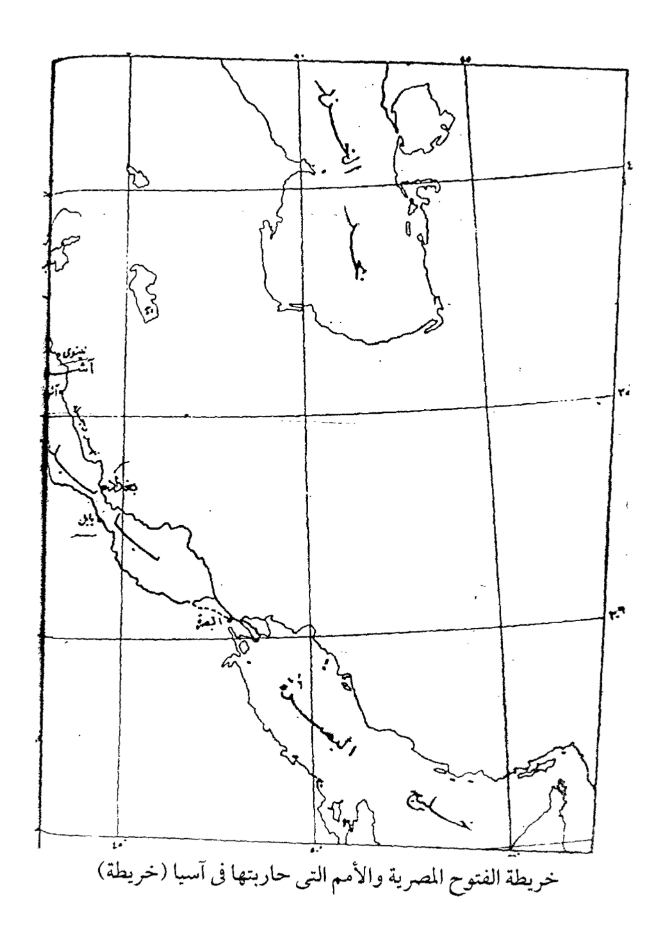
مكانة نائب كوش وحدود وظيفته:

شغل وظيفة «ابن الملك صاحب كوش» عدد من نواب الملك من المصريين ثم عدد من أبناء البلاد أنفسهم آخرهم (بانحس) (أى العبد) وخلفه «حرى حور» فى نيابة كوش الذى تمكن فيها بعد من اغتصاب العرش من آخر الرعامسة الضعفاء، وكان يحمل الألقاب التالية قبل توليه العرش: رئيس كهنة «آمون رع» وابن الملك صاحب «كوش» والمشرف على مخازن الدولة، والرئيس الأعلى للجيش، مدير كل أعمال آثار جلالته، وحامل المروحة على يمين الفرعون.

ونستطيع مما لدينا من الوثائق المنقوشة على الآثار أن نقرر أن الأقطار السودانية قد تمصرت تمصيرًا تامًا فى خلال الخمسين والأربعمائة سنة التى تولى نواب الملك فيها إدارة السودان، إن الفرعون حينما كان يعين نائبًا له فى «بلاد السودان» كان أهم ما يرمى إليه من اختياره أن يكون رجلاً إداريًا حازمًا يمكنه أن يجمع له الضرائب والمحاصيل، ولذلك كان ينتخبه من أقرب المقربين إليه ممن اشتهروا بحكم الإدارة والذكاء والإخلاص فى العمل لشخصه، فلا يقوم بأية دسائس ضده أو يحاول أن يمتص دماء الأهلين بفرض الضرائب الفادحة عليهم لمنفعته الشخصية، كان كل نائب للملك فى السودان يعينه الفرعون بنفسه، لهذا لم يجعل الوظيفة وراثية.



نرى فى عهد «سيتى» و «رعمسيس الثاني» (خريطة)



خريطة الفتوح المصرية والأمم التى حاربتها فى آسيا (خريطة)

الإمبراطورية المصرية فى آسيا

الواقع أن الإمبراطورية المصرية فى آسيا كانت نتيجة مباشرة لطرد الهكسوس الغزاة من وادى النيل، وكانت تنحصر فى مد نفوذها وأخذ الجزية، ويعتبر «تحتمس الثالث» هو مؤسس الإمبراطورية باستيلائه على «غزة» و«مجدو» والأماكن الحصينة الأخرى فى فلسطين والجزء الجنوبى الأقصى من سوريا، ويشمل معظم «فينيقية» مع وضع حاميات لاحتلال المعاقل الرئيسية. وكانت الأقاليم يدير شئونها حكام من أهل البلاد نفسها نصبهم الفرعون برضا منه لولائهم له. كان للجيش المصرى الحق فى أن يسير حرًا فى الأقاليم الخاضعة له ويفرض الضرائب على القرى والمدن التابعة له وكانت الممالك العظمى الأخرى المتاخمة له تحترم حقوقه المطلقة مثل مملكة «بابل» «الكاسية» ودولة «متني» وبلاد «آشور» وبلاد «خيتا» وكان الجيش المصرى يقوم بحملات تأديبية فى جهات مختلفة من هذه الأقاليم السورية الشمالية.

ولقد تدهورة الإمبراطورية المصرية من بداية حكم إخناتون. ورسخت الدولة المجاورة أقدامها أكثر من مصر. وتراجعت مصر بسرعة خاطفة إلى أفريقيا وظهرت المنتجات السورية بكميات كبيرة والبضائع القادمة من بحر إيجه. وأخذت بعض الآراء والأفكار الأجنبية تتسرب وتنمو فى التربة المصرية وكذلك نما العتاد الاجتماعى بسرعة وراجت سوق الترف بدرجة لم يسبق لها مثيل وذلك لازدياد فى الرزق وسعة فى العيش، وتبع مظاهر هذا الثراء المضطرد كثرة استخدام الجنود الأجنبية المرتزقة لحماية مصالح الوطن مع التراخى فى استخدام الجنود المصريين.

لقد تدفقت على أرض الكنانة خيرات الجزية وأموال عديدة عن طريق التجارة مع سوريا وبلاد بحر إيجه. أما عن الثقافة المصرية فلم يكن لها إلا أعوان قلائل فى سوريا، ولم يقيم فى سوريا من المصريين إلا النزر اليسير، فكان معروفًا

عن المصرى أنه لا يحب مغادرة مسقط رأسه، ولا يميل للمغامرات والسير فى الأرض للتجارة واكتساب العيش، لذلك بقيت الثقافة المصرية داخلية، وكان لاعتماد مصر على الجنود المرتزقة أثره فى انهيار الإمبراطورية، فحتى طرد الآشوريين من مصر تم على يد الجنود المرتزقة وفيما بعد اعتمد بسماتيك (الأسرة ٢٦) على الإغريق لطرد الفرس. وكان اعتماد مصر على «كوش» و«شردانا» من سكان جزر البحر الأبيض فى استقدام الجنود المرتزقة.

ومن المناظر المنقوشة فى المقابر نرى علاقة مودة ومبادلة الهدايا بين الحكومات كما كانت الحال بين مصر و«قبرص» و«متني» و«بابل» ، «آشور» ، «خيتا» واستمرت التجارة مع النوبة والسودان. وينقسم وادى النيل نفسه حتى «نباتا» ، «الشلال الرابع» إلى منطقتين وهما منطقة «واوات» التى يطلق عليها بلاد النوبة السفلية وتنتهى عند الشلال الثانى أو المنطقة الثانية هى بلاد «كوش» وتشمل وادى «دنقلة» حتى «نباتا» وكانت كلتاهما فى قبضة الدولة المصرية يسيطر عليها ابن الملك صاحب «كوش» وكان محصول الجزية منظمًا. وكان يرد من هذه الأقاليم العبيد والثيران ذات القرون القوية التى كانت تستعمل مقابض لآلات مثبتة فى خشب، وكذلك الذهب فى هيئة حلقات وقُضب، وخشب الأبنوس وسن الفيل وجلود الفهد، وبيض النعام وريش النعام وغيرها من المنتجات المحلية.

ولم يرد ذكر الجزية التى تأتى من بلاد «تحنو» [لوبيا]، أما الواحات فكان لها حاكم خاص منذ الأسرة الثامنة عشرة، وكان حاكم العرابة هو المشرف على الواحات، ويلاحظ أن الجزية التى كانت تأتى من «سوريا» و«واوات» و«كوش» أما الروابط التجارية فكانت مع «قبرص» و«بنت» والعالم الإيجى.

الحياة الدينية

صار الإلـه «آمون» إلـه العاصمة الجديدة، ورأس جماعة الآلهـة فى العالم المصرى وبذلك أخذ مكانة الإلـه «رع» ووقع على عاتق أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة إعادة النظام إلى ربوعه بعد الخراب الذى حاق بالبلاد فى عهد الهكسوس. فكان عليهم أن يعيدوا إقامة المعابد والشعائر الدينية الخاصة لها. وكان أول من خرج على التقاليد القديمة فى بناء قبره هو «أمنحتب الأول» ثم «تحتمس الأول» فقد أقام قبره فى واجهة صخرة فى الوادى الصحراوى المعروف بوادى الملوك، وبذلك حتم عليه أن يفصل معبده الجنائزى عن القبر الذى يثوى فيه جسمه، وعندما أخذ أمراء الإقطاع يستقلون بالحكم فى مقاطعاتهم فى أواخر الأسرة الخامسة بدأ استعمال المقابر المنحوتة فى الصخر وقام الأشراف بتطوير مقابرهم فنشاهد المتوفى يقيم الولائم لأسرته وأقاربه، ويشرف على حقوله ومحصولاتها كما نراه يذهب للصيد والقنص فى عربته أو مع أفراد أسرته فى البطاح والبرك. ونشاهده يقوم أحيانًا بفحص الجزية الواردة للفرعون من البلاد الأجنبية وبخاصة من سوريا وبلاد كوش.

المعابد فى عهد الأسرة الثامنة عشرة

كان اهتمام الفراعنة ببناء المعابد للإلـه «آمون» شغلهم الشاغل. فقد كان الفرعون أحيانًا يفضل إقامة معبد للإلـه «آمون» أو غيره من الآلهة على إقامة معبد جنائزى له. وكانت المعابد الضخمة لم تقم فى مصر إلا فى الأسرة الخامسة عندما كانت عبادة إلـه الشمس قد بلغت قمتها وسادت البلاد ثم أخذت البلاد تسقط فى مهاوى الفوضى والضعف. ولما عادت للبلاد وحدتها واستردت عظمتها فى عهد الأسرة الثانية عشرة أقامت معابد للآلهـة فى طول البلاد وعرضها وبخاصة معبد الإلـه «آمون» الذى أقيم فى «الكرنك» وكذلك المعبد الذى أقامه

«سنوسرت الأول» للإلـه نفسه هناك. وأقيمت للإلـه «بتاح» فى «منف» ومعبد الإله «ست» الذى أقامه الهكسوس فى «أورايس» (تانيس). وقد كانت كلها معابد صغيرة الحجم إذا ما قيست بها أقيم من معابد فى عهد الأسرة الثامنة عشرة.

ولا نزاع فى أننا نجد فى عهد الأسرة الثامنة عشرة أن الفكرة الدينية التى كانت قد ظهرت فى عهد الأسرة الخامسة قد أخذت تنمو وترقى بدرجة كبيرة وقد نال نصيب الأسد من الغنائم التى استولى عليها الفرعون إلـه الدولة الأعظم «آمون» رب «طيبة» ونجد «تحتمس الثالث» وغيره من الفراعنة قد نقشوا على جدران معابدهم قوائم مطولة بأسماء الأقوام الذين قهرهم والبلاد التى فتحها، كما رسم لنا النباتات التى أحضرها من «سوريا» ونقوش حتشبسوت فى الدير البحرى تعطينا تفاصيل الرحلات البحرية التى قام بها الأسطول المصرى إلى بلاد «بنت» . وكان أول تصوير وصل إلينا من موقعة حربية قام به «تحتمس الرابع» . وقد شُيِّدت المعابد المصرية لإقامة الأعياد الإلهيـة وما يتبعها من مواكب وحفلات.

وتتشابه الشعائر المصرية بالشعائر المسيحية فى أن حرق القرابين كان غريبًا عن كل منهما، وهذا يخالف ما نعرفه عن كثير من العقائد الأخرى التى كان من شعائرهم حرق القرابين.

الحساب فى الآخرة:

إن الوعى بالمسئولية الخلقية فى الحياة الآخرة كان حاضرًا فى أذهان بناة الأهرام، غير أنه كان منحصرًا فى ذلك الوقت فى مطالبة المتوفى بالمثول أمام إله الشمس بصفة كونه قاضيًا، ولما صار المصرى يشعر بسلطان ذلك الوازع القلبى شعورًا كاملاً. أخذ يُلبْس كلمة «القلب» معنى أدق وأوفى حتى صارت أوسع بكثير مما كانت عليه فى عصر الأهرام حتى صارت تزن كلمتنا «الضمير» والحساب فى الآخرة. وأصبحت قاعة المحاكمة والميزان سائدة. وصار مذهب «أوزير» قوة عظيمة فى انتشار العدالة بين الناس وكان بابه مفتوحًا على مصراعيه ليدخله كل الناس.

تأثير السحر فى الأمور الدينية:

وكان انتشار الاعتقاد فى نفع قوة السحر وتأثيرها فى الحياة الأخروية لا يزال مستمرًا، فانتشر استعمال الرقى والتمائم السحرية الغريبة مثل «يا قلبى لا تقم شاهدًا على لكى يهرب من الحساب .. وبهذا الأسلوب غير الأخلاقى تفتحت أبواب الكسب والارتزاق للكهنة الفاسقين»

مبادئ انحلال الإمبراطورية وعهد إخناتون

كان «أمنحتب الثالث» الذى تسلم زمام الملك نحو سنة ١٤٠٥ ق. م يغترف من فيض اللذة والنعيم يمضى يومه من الصيد وليله بين الغوانى فقد كان مولعًا بالنساء وورث ابنه إخناتون – الذى كان يسمى فى بادئ الأمر أمنحتب الرابع – عن أبيه حبه للنساء وولعه بالأجنبيات بالرغم من أنه قاد الانقلاب الدينى الكبير.

ولما أنهكت الشهوات الأب وألزمته الفراش أشرك ابنه «إخناتون» فى حكم البلاد عجزًا منه عن القيام بأعبائه، ورغبة فى أن ينتفع لإرضاء شهواته.

مكث «إخناتون» يدير الملك مع والده أكثر من تسع سنوات ثم ما لبث والده أن دفع صحته وشبابه ثمنًا لملذاته وأهوائه فمات ولم يتجاوز الخمسين من عمره، وأنفرد «أمنحتب الرابع» (إخناتون) بالملك بعد موت والده، وكان قد تزوج من «نفرتيتي» أخته بنت «تي» .

ولدينا من الحقائق التاريخية ما يجلعنا نعتقد أن الانقلاب الدينى الذى أحدثه لم يتم بغتة. وأن مقدماته قد ظهرت منذ عهد «تحتمس الرابع» جد «إخناتون» فلما تولى «إخناتون» عرش البلاد وجد الأمور مهيئة بعض الشيء لعبادة إلـه الشمس وحده، ورمز له بقرصها الذى سماه «آتون» وقال عن معبوده: «إنه القوة الكامنة وراء هذا القرص، وأنه واحد لا شريك له» .

إن هذا الملك كان سديد الرأى صائب النظر فيما اتخذه من إصلاح دينى

يتمثل فى توحيد الإلـه، وتمجيد ذاته مما يدل على عقل راجح، ونفس صافية، وتفكير عميق، وكان قائدًا لثورة دينية حقيقية وكان الغريب هو زواجه من ابنته الثالثة «عنخس إن با آتون» التى أصبحت زوجة «لتوت عنخ آمون» فيما بعد، كما تلمس خشونته فى تحوله عن حبه لزوجته الجميلة (نفرتيتي) وسوء معاملته لها. ولقد أحاطت به بطانة سيئة مرتشية، ولم يجد «إخناتون» هذه البطانة المخلصة فتزلزلت أركان إمبراطوريته وهو لا يدرى عن ذلك شيء. وقضى هذا الرجل نحبه بعد أن حكم ثمانية عشر عامًا.

عرش مصر بين «سمنخارع» و«نفرتيتي»

تولى «سمنخارع» واستقر هو وزوجته «مريت آتون» بنت إخناتون فى طيبة، وأراد رجال البلاط وعلى رأسهم الكاهن «آي» الذى كان أكبر مشجع لـ «إخناتون» نشر مذهبه الجديد لتستقر الأمور، ولكن «نفرتيتي» كانت لهم بالمرصاد. واستنجدت بملك «خيتا» وطلبت منه أحد أبنائه ليكون زوجًا لها ووارثًا لعرش مصر. وهنا وثب الثوار على ابن ملك «خيتا» وقتلوه فى الطريق غيلة فتعقد الموقف ثم انفرج باعتلاء «توت عنخ آمون» بن «أمنحتب الثالث» عرش البلاد، ومعه زوجه «عنخس إن با آتون» بنت «إخناتون» و«نفرتيتي» .

التدرج فى عبادة آتون:

تم العثور على جعران من عهد الملك «تحتمس الرابع» عليه نقوش تبين أن الانقلاب الدينى الذى قام به «إخناتون» يضرب بأعراقه إلى عهد «تحتمس الرابع» كما عُثر فى حفائر الجامعة المصرية على لوحة لـ «تحتمس الثالث» يتعبد لقرص الشمس وتتدلى منه الأيدى التى يمتاز بها «آتون» معبود «إخناتون»

أفق آتون:

تدل كل أعمال «إخناتون» على أنه لم يقم دفعة واحدة بالانقلاب الدينى الذى كان يختلج فى صدره. فقد سار على نهج أسلافه فى تعظيم شأن «رع»

ولقد رأى بثاقب فكره التناقض الغريب بين تعاليم كهنة «عين شمس» وتعاليم كهنة «آمون» والآلهة الأخرى «فآمون» كان يُصوْر فى صورة كبش، وأضاف كهنته اسم إله الشمس «رع» ليجعل له مكانة الإله «رع» الذى يسيطر على العالم كله بضوئه وأشعته منذ فجر التاريخ المصرى.

وكان أول عمل قام به «إخناتون» هو بناء معبد لإله الشمس فى «الكرنك» وهى المدينة المقدسة للإله «آمون» وقد سمى إله هذا المعبد «رع حور آختي» [أى رع هو حور الأفق] وحدث صدام وصراع بينه وبين كهنة الإله «آمون» خصوصًا بعد تقديم الديانة الحقة للشعب ووصف الإله بأنه هو «آتون» الحى العظيم الذى يضيء الأرضين وسيد السماء والأرض وأخذ يقيم المعابد لإلهه فى كل أنحاء القطر فى «الأشمونين» و «منف» و«عين شمس» وكان يظن فى بادئ الأمر أن عبادة الشمس فى صورة «آتون» التى تعبر عن صورته الحقة وهو قرص الشمس ستقضى على الديانة القديمة. وكانت الأزمة على أشدها فى العام السادس من حكمه عندما أراد أن يقيم لنفسه مدينة خاصة لعبادة إلهه «آتون» وأطلق جنوده ليخربوا المعابد ومحو اسم الإله «آمون» ولم يترك الجنود إلا أسماء الآلهة الشمسية مثل «آتوم» و«حور» حيث إن اسم الآلهة بالجمع تتنافى مع الوحدانية.

مدينة «تل العمارنة»

كان الدافع لنقل العاصمة إلى «تل العمارنة» هو إفساح مأوى أمينًا «لآتون» وأقام فى سوريا مدينة خاصة بعبادته وفى النوبة كانت مدينة «جم آتون» بالقرب من الشلال الثالث هى مركز لعبادة إلهه.

موقع مدينة إخناتون:

تقع البقعة التى أقام فيها «إخناتون» مدينته الجديدة «إخناتون» (أفق آتون) على مقربة من مدينة ملوى.

أسرة إخناتون:

تتكون من زوجه نفرتيتى وبناته ((مريت آمون)) و((مكت آتون)) و((عنخس إن بآتون)) ورزق ببنات ثلاثة بعد ذلك. ودلت الآثار على ما يحملنا على الظن بأن ((عنخس إن بآتون)) كانت قد تزوجت من والدها قبل أن تتزوج ((توت عنخ آمون)) وكان بيته يتألف من قاعة رئيسية وحجرات ومطبخ وقسم للخدم.

التوحيد - أقدم عقيدة للتوحيد العالمي

فى متون الأهرامات خوطب إلـه الشمس (رع) باللقب الطنان ((غير المحدود)) وبقى إلـه الشمس يحكم مصر وحدها. ومن كتابات الكتاب النابهين أمثال ((بتاح حتب)) الذين آمنوا بوجود قيم خلقية عالمية نرى أن المصريين قد بدءوا يسيرون بالفعل فى الطريق المؤدى إلى التوحيد. ومن إنشودة الشمس نرى أسطرًا خطيرة المعنى: ((إنك صانع مصور لأعضائك بنفسك)) ((منقطع القرين فى صفاته مخترق الأبدية)) ((وأنت خالق الكل ومانحهم قوتهم)) و((أنت أم نافعة للإلهـة والبشر)) و((السيد الأحد الذى يأخذ جميع من فى الأرض أسرى كل يوم)) .

وعندما نتأمل معانى الأنشودة سنتوقف بالطبع عند ((إيه أيها الإلـه الذى سوف نفسه بنفسه. وخالف كل أرض. وبارى كل من عليها سنحس بهذه المعانى، إن تلك الحركة التوحيدية ليست إلا ذروة للاعتراف القديم بالنظام الخلقى الذى نؤدى به على لسان المفكرين المصريين القدماء الذين عاشوا فى عهد الأهرام وهم الذين أسسوا مملكة عظيمة من القيم الخلقية العالمية التى كانت تمثلها تلك الكلمة الشاملة الجامعة ((ماعت)) (العدالة) التى أوجدها إذ ذاك إلـه الشمس فى ((هليوپوليس)) .

على أنه بعد سقوط ((إخناتون) لم يترك أعداؤه حجرًا واحدًا لم يقلبوه لإزالة كل أثر باق يدل على مدة حكمه الممقوت عندهم. وقد أتلفوا بطبيعة الحال مخطوطات الملك هذه المدونة على البردى. إن القوة الرئيسية التى حركت روح ((إخناتون)) كانت العاطفة. وتلك العاطفة التى نقلتها إلينا أناشيد ((تل العمارنة)) لا تحتوى على لاهوت أو خلفيات اجتماعية.

الفن فى عهد إخناتون والعهد السابق له

حدث انقلاب عظيم فى الفن المصرى. فالقوة الهائلة والوقار، والخشونة وقوة التأثير التى كانت تمتاز بها أحسن القطع الفنية فى عهد الدولة الوسطى بما تنطوى عليه من قوة غاشمة قد أخذت تتسم بسمة النعومة، وتتحول تدريجيًا روحًا جديدة ينم عن رشاقة وجاذبية، ويظهر هذا الروح فى نحت التماثيل كما نلمس ذلك فى تماثيل «تحتمس الثالث». ومنذ عهد «إخناتون» لا يرى الإنسان الصور الأدمية مرسومة فى وضع خاص. وأعجب الثمرات التى أنتجها لنا فن «إخناتون» الرءوس التى تمثل الصور الآدمية والتماثيل الصغيرة لهذا العصر. ويعترف الجميع أن تماثيل «نفرتيتي» من أروع الأمثلة فى النحت فى العالم.

والواقع أن التمثال النصفى للملكة «نفرتيتي» لا تضارعه قطعة أخرى فى دقة تصويره ورشاقة ملامحها التى تدل على التفكير. وهناك رأس الملكة «تي» المصنوع من الأبنوس والذهب وهى الآن فى متحف « برلين» .

كما نلاحظ نمو الجزء الأسفل من جسمه وفخذيه نموًا غير مألوف، وقد صمم أن يرسم بما فيه من شذوذ جسمى مطابق للحقيقة بدون ملق أو محاباة. فى تمثيل كل ما فيه من قبح.

الصناعات الأخرى فى عهد إخناتون

كان الذوق العام فى زخرفة المبانى مندفعًا نحو الرسوم البارزة وتزيينها بالألوان الزاهية، وهذا الذوق كان من خصائص الفن المصرى فى كل عصوره ولكنه أخذ يتجه فى عهد «إخناتون» إلى استعمال الخزف المطلى، والزجاج الملون فى أعمال الزخرفة وكان هذا العصر أعظم عصر بلغت فيه صناعة الخزف منتهى تقدمها كما وصلت إلى أعظم غاية فى تنوع استعمالها. وقد وصلت إلينا بعض قطع من أجمل صناعة الزجاج الموجود فى العالم فى هذا العصر مثل الإبريق الأزرق الفيروزى المزين بخطوط بيضاء وزرقاء قاتمة، وكذلك الآنية ذات الأربعة المقابض بلونها الأزرق اللازوردى، والمزينة بخطوط متموجة صفراء وبيضاء

وزرقاء خفيفة وهما فى مجموعة اللورد «كارنرفون» هذا إلى قدح الشراب ذى اللون الفيروزى الأزرق الخالص، وهو الآن بمتحف مترو بوليتان بمدنية «نيويورك» وكان الفخار السورى يوجد بمصر فى ذلك الوقت، وقد تأثر الصانع المصرى بالنماذج المنوانية (كريت) فى الخزف المطلى والمرمر والمعدن.

تدهور سلطان مصر فى سوريا - زحف البدو وخيتا

انتشرت الفوضى فى أرجاء الإمبراطورية. ومن لوحات «تل العمارنة» عرفنا حقائق عن «بابل» وبلاد آمور، ومملكة الأشوريين وبلاد متنى و«قبرص» و«كليكيا»، كما رسمت أمامنا صورة عن الحياة الاجتماعية. وقد غزت القبائل السامية – الآراميون والإسرائيليون والكنعانيون – الإمبراطورية المصرية. وكان تدخل الجيش المصرى بإمرة «بانخام» بلا نتيجة حاسمة فى إعادة الأمن إلى نصابه، ومع انتشار الفوضى فى سوريا حدثت صراعات بين الحكام المحليين ومنهم من رأى مصلحته فى مهادنة خيتا أو أى قوة يتملقونها. وحتى فى جنوب فلسطين، كان الحاكم المصرى عاجزًا عن القيام بعمل حاسم أو تقديم المساعدة لمن يطلبها من الحكام الموالين لمصر فى مواجهة قبائل خبيرى وأصبحت كل مدن الداخل معادية للحكم المصرى، وسقطت دولة «متني» على يد أمراء «آشور»، وكانت الحاميات المصرية التى بقيت فى يد المصريين فى بعض الأماكن مثل «قونب» ضعيفة خائرة القوى. ومن الغريب أن «شوبيليوما» ملك «خيتا» قد تجاهل فى تقاريره الحربية ما استولى عليه من الأماكن التى كانت تدين لمصر بالطاعة والسلطان، ويرجع سبب ذلك إلى أنه كان يُعد السلام ما زال قائمًا بين البلدين بصفة رسمية. وأخيرًا انفصمت عرى الصداقة التى كان ملك «خيتا» يحافظ على دوامها بينه وبين مصر فأصبحت البلدان فى حرب علنية. وعلى أية حال فإنه على أثر مهاجمة «خيتا» للأملاك المصرية تحرجت الأحوال فى مصر مما قلب سياستها فى الداخل والخارج رأسا على عقب.

آثار إخناتون الباقية

وجدت له آثار فى « منف» وبعض قطع استعملت ثانية فى مبان القاهرة بالقرب من جامع «الحاكم» ومن بوابة النصر. وفى «سقارة» وجدت لوحة لشخص يدعى «حوى» ووجدت فى «تل الحصن» قطع نقش عليها اسم «إخناتون» وهى محفوظة الآن بمتحف «جلاسجو بإسكتلندا». ووجدت فى «هليوبوليس» لوحة مثل عليها هو وأسرته يتعبدون لقرص الشمس «آتون» .

فنشاهد أعضاء الأسرة المالكة راكعين أمام مائدة قربان أرسلت عليها أشعة «آتون» التى ينتهى كل واحد منها بيد بشرية وهذا الوضع «الركوع» ليس بالعادى، إذ فى الغالب ترى الأسرة المالكة يتعبدون لقرص الشمس وهم واقفون أمام مائدة القربان.

وأقام «إخناتون» معبدًا للإلـه «آتون» فى بلدة «الأشمونين» ووجدت فى «الأشمونين» أيضًا على قطعة منقوش عليها اسم أميرة بقيت مجهولة حتى الآن وتدعى «عنخس – ن – با آتون الصغيرة» وأمها هى الاميرة «عنخس – ن – با آتون» بنت «إخناتون» وزوج «توت غنخ آمون» فيما بعد.

وهذه الأميرة قد تزوجت والدها ووضعت منه ابنة صغيرة سمتها باسمها وميزتها عنها بلفظة «الصغيرة» وفى «تونه الجبل» لا تزال إحدى لوحات الحدود لمدينة «إخناتون» التى نحتها فى وجه الصخر. وقد أُرِّخت بالسنة السادسة من حكمه. وفى «الشيخ عبادة» وجدت قطع من محراب «إخناتون» وفى «تل العمارنة» عثر على بعض قطع من المرمر فى مقبرة «إخناتون» وهى بالمتحف المصرى الآن. وأقام «إخناتون» معبدًا فى أسيوط (وبالقرب من البداري) وُجد معبد للإلـه «آتون» إقامة إخناتون، وفى الكرنك هناك معبد للشمس، وتم العثور حول معبد الكرنك على ثلاثة عشر تمثالا منهم اثنان محفوظان بالمتحف المصرى، وهناك معبد فى أرمنت ولوحة فى جبل السلسلة ومائدة قربان فى الكوم الأحمر، وفى النوبة هناك معبد «سسبي» وهو نفس معبد «جم آتون» الذى يقع فى الركن الشمالى الغربى من قلعة «جم آتون» .

ضرب الوزير «تحت – با آتون» الذى خلف «رعموس» مثالاً على التواضع بأن اتخذ مقبرة ساذجة لنفسه رغم أنه كان يمتلك قصرًا فاخرًا فى الأناقة فى مدينة «إخناتون» وجدير بالملاحظة أن قبور عظماء عهد «إخناتون» كانوا يخصصون جزءًا كبير من مناظرها لأعمال الأسرة المالكة، فنشاهد فى قبر «معي» المشرف على الجنود منظرًا صوُر فيه «إخناتون» والملكة «نفرتيتي» يتبعهما ثلاث من بناتها، وهما يقدمان القربان للإلـه «آتون» وأهم ما يلفت النظر فى هذه المقبرة ترجمة «معي» لنفسه ويفتخر بأنه كان رجلاً متواضع الأصل أبًا وأمًا ولكن الأمير وطد مكانته ولما أصبح سيد مدينة جعله هذا يصاحب الأمراء، ومن مقبرة الكاهن الأعظم مرى رع نشاهد منظر تنصيبه كاهنًا للإلـه آتون، ونشاهد عربته فى انتظاره، كما كانت الموسيقا تعلب دورها فى مثل المناسبة إذ نشاهد طائفة المغنيات والضاربات على الآلات الموسيقية، قد حلت محلهن طائفة من الضاربين على العود من الذين كف بصرهم.

وهناك حقيقة تستحق الملاحظة، إذ نرى الفرعون يحيط به حرس عظيم مما يدل أنه كان يخاف شر أعوان «آمون» حتى المقابر لم تسلم من التشويه على يد شيعة «آمون» ونرى هذا فى قبر «بانحس» الكاهن الثانى والذى كان فى الأصل قبرًا جميلاً، ومن قبر «حويا» الذى يعتبر من أهم المقابر التى عثر عليها فى «تل العمارنة» فإننا نأخذ معلومة تفيد بأن الملكة «تي» قد وفدت بصحبة ابنتها الصغيرة «بكت آتون» إلى مدينة «إخناتون» لزيارة إخناتون. ومما يلفت النظر هنا على مائدة الطعام بأن آداب المائدة التى كانت مرعية دائمًا فى الرسوم المصرية القديمة قد ألقت ظهريًا هنا، إذ كان الملك والملكة يأكلان بنهم فنشاهد «إخناتون» ينهش عظمة يبلغ طولها ذراعًا فى حين نرى «نفرتيتي» قابضة بيدها على بطة بأكملها وتأكل منها.

وهناك منظر الجزية التى أحضرتها الأمم الخاضعة، فكانت محمولة أمام الموكب يحرسها الشرطة، وجزية الشمال تحوى عربتين وأربع ركائز من النحاس

وعددًا عظيمًا من الأوانى المنمقة. أما جزية الجنوب فتحتوى على عبيد وضعوا فى الأغلال، وقد ساروا فرادى وأزواجًا، وأولادهم ونساؤهم خلفهم، كما تحتوى على وجود فهود، وحلقات من الذهب، وحليات مزينة بالأزهار والنباتات أيضاً، وهذا إلى حقائب ملأى بالتبر والعاج وسن الفيل والقردة الحية والغزلان وفهد.

والغريب الذى يسترعى النظر فى رسوم مقبرة «حويا» أنه لم يحد عن الشعائر التقليدية التى كانت متبعة فى الدفن منذ أقدم العهود لدرجة أنه رسم موميته على صورة «أوزير» غير أنه عند الدعاء يطلب القربان من كل نوع وجه دعاءه للإلـه «آتون» ونرى فى مقبرة «أحمس» كاتب الفرعون الحقيقى وأعضاء الأسرة الساكنة قد ساروا يصحبهم حرس فيهم جنود من السوريين واللوبيين والسودان، كما نشاهد الأسرة المالكة فى حفل أسرى وتعرف من مقبرة «بنثو» بأنه الطبيب الأول والتشريفاتى ويحمل ألقاب علية القوم التى كانت قاصرة على كبار القوم وليس الموظفين، ونرى قبر عمارة «إخناتون» وقبر رئيس الشرطة ومدير الملكى ومدير خزانة رب الأرضين وكاتب الفرعون.

ويعتقد الأثرى «ديفز» أن كل مقابر «تل العمارنة» كانت قد نحتت بأمر ملكى، وأن الملك نفسه هو الذى أمر برسم هذه المناظر الملكية فى هذه المقابر.

توت عنخ آمون

اتضح أن كثيرًا من الحلى والجواهر التى وجدت مع «توت عنخ آمون» كانت فى الأصل قد صنعت للملك «سمنخكارع» وحليت باسمه، ثم نرى أثر التغيير باديًا عليها، فمحو اسم «سمنخكارع» ونقش مكانه «توت عنخ آمون» وقد أرتنا هذه الكشوف أن النقوش الدينية التى كانت فى الأصل «لسمنخكارع» لا تمت بصلة إلى ديانة «آتون» بل كانت الأناشيد فيها تتجه إلى الإلـه «رع» .

والظاهر أن «سمنخكارع» قد حمل معه مقدارًا عظيمًا من سبائك الذهب التى كانت توجد بكثرة فى مدينة «إخناتون»، وإن دالته على أخيه وسلطانه عليه كانا كفيلين بإجابته إلى كل ما يرنو إليه، وهذا يعلل لنا السر فى إسراع «توت عنخ

آمون» ورائديه، وبخاصة «نفرتيتي» والكاهن «آي» بالعودة إلى طيبة، وليس بخاف أن «توت عنخ آمون» ذلك الصبى الساذج الذى لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره لا يستطيع تدبير المكايد لأخيه، أما الرأس المفكر والعقل المدبر فهو ذلكم الداهية الكاهن «آي» الذى كانت له أطماع واسعة، وأهداف بعيدة يسعى إلى تحقيقها.

بدا على المسرح الآن أمامنا بطلان كلاهما طاعن فى السن وكلاهما طامع فى العرش، ولكل منهما طريقته التى يراها توصله إلى مطمعه، «فآي» يتخذ السياسة والدهاء ونفوذه فى بيت الملك ونقضه للدين الجديد، وعودته لعبادة «آمون» والقوة أيضًا وسائله لتحقيق ما قصد إليه نفسه و«حور محب» يرى أن القوة هى كل شيء، ومكثت «طيبة» طيلة مدة حكم «توت عنخ آمون» مسرحًا للحكم بعد انتقاله إليها من «إخناتون» وعلى الرغم مما بين «حور محب» و «آي» من تشاحن على الملك إلا أنهما أخذا يعملان معًا فى الظاهر وكل منهما طامع فى أن يتولى العرش بعد «توت عنخ آمون».

«حور محب» الوصى على العرش والقائد المظفر فى حروب «توت عنخ آمون»

تفزعت البلاد ووقف كل مصرى خائفًا يترقب، «فالخيتا» بالمرصاد تهدد أرض الكنانة وما بقى من أملاكها بالغزو، والشئون الداخلية فى مصر مختلفة نتيجة الارتباك الدينى والفوضى الاجتماعية التى أعقبت إصلاحات «إخناتون» فتطلعت البلاد إلى يد قوية حازمة تبسط سلطانها على شعب مصر. وتُرهب فى نفس الوقت أعداء البلاد، ووجدت بغيتها فى القائد العظيم «حور محب» فتولى زمامها، وصيًا على عرش الملك الصغير.

وقد كان أهم عمل قام به «حور محب» فى عهد «توت عنخ آمون» هو الحروب التى أشعل نارها وظفر بالانتصار فيها نصرًا مؤزرًا، ولقد اتخذ ذلك النصر فيما بعد ذريعة تؤهله لاعتلاء العرش بعد الملك «آي».

وكانت أولى حروبه ضد «خيتا» وتوقفت الحرب بسبب الوباء الذى نكب بلاد «خيتا» نحو عشرين عامًا. وهذا السلام الذى ساد جو الدولتين «خيتا ومصر» قد مكّن المصريون من متابعة حروبهم التى شنوها على أهل فلسطين بسبب ثورتهم على الحكم المصرى، ومحاربتهم الأمراء الموالين لمصر، ولكن «حور محب» تمكن من إخماد ثوراتهم وانتصر عليهم نصرًا مبينًا، وقد ترك لنا هذا القائد مناظر ممتعة على جدران قبره فى «سقارة» فنرى جنودًا من الآشوريين ومن بين المقهورين لوبيا وزنجيا، ومنظر جزية الشمال «آسيا» وجزيرة الجنوب «بلاد كوش».

سلطان مصر فى بلاد كوش

تمتد بلاد «كوش» هذه من «نخن» (الكاب الحالية) إلى «نباتا» أو «كاراي» عند الشلال الرابع. وكان «حوى» نائبًا للملك فيها.

أعمال توت عنخ آمون السلمية:

أعاد عبادة الآلهة القدامى وأنقذ البلاد من الفوضى الدينية المحزنة التى وقعت فيها.

حياة توت عنخ آمون الخاصة من آثاره

كان هذا الشاب لعبة يتقاذفها الكاهن «آي» والقائد «حور محب» يتلقفها هذا مرة وذاك أخرى، واستكانت اللعبة أخيرًا فى يد القائد «حور محب» الذى سيطر على شئون الدولة، وترينا الصور التى خلفها لنا «توت غنخ آمون» مواقف له تفيض بسالة وإقدامًا، وأخرى تتدفق حبًا وحنانًا، نلمس فيها عاطفة العاشق، ووله الزوجة المغرمة الوفية، فهنا الملكة الشابة «عنخس آن آمون» تتحسس بيدها صدر زوجها الشاب تعطر ما أحاط به من ثياب. وكان الملك الشاب مغرمًا بالعيد.

الموظفون فى عهد «سمنخكارع»

أظهر معظمهم رغبة فى العودة إلى اعتناق مذهب «آمون» وبخاصة إذ علمنا أن ديانة «آتون» كانت قد فُرضت على بعضهم فرضًا، وكبار الموظفين على دين ملوكهم، وعبيد لتنفيذ رغباتهم، ونرى جمل مثل «إن قلبى لفرح يا آمون يا ناصر الفقير، وإنك أب من لا أب له، وزوج الأرمل .. التفت إلينا يا رب الأبدية، وإنك كنت هنا قبل أن يوجد أى شيء فى الوجود نرى من الأدعية والتضرعات روح التقى والورع والتقرب من الآلهة ولم تكن معروفة قبل ذلك العهد.

الموظفون فى عهد توت عنخ آمون

بعد أن أجهز الفراعنة الأوائل من الأسرة الثامنة عشرة على معظم فئة الأشراف من حكام الأقاليم وحتى البقية الباقية الذين أفلتوا من أيديهم تلاشوا تدريجيًا على كرِّ الأيام ومن ثَمَّ أصبحت طبقة الموظفين تعد أعلى طبقة بين أفراد الشعب فى كل البلاد، ولذا كان ينظر إليها بعين التبجيل والاحترام، أما الطبقات الأخرى من الشعب فقد كان ينظر إليها بعين الاحتقار والامتهان، ولا غرابة إذ رأينا أن الكتّاب والموظفين كانوا يقبضون على زمام البلاد وحدهم فيما بعد، ويحتلون مكانة ممتازة فيها.

وبسبب احتقار بعض الكتبة لوظيفة الجندى ظهرت الروح العدائية بين طبقة الموظفين وطبقة الجند، بل إن هذه القوة العسكرية أخذت تناهض السلطة البيروقراطية وتحتل مكانتها، إلا أن الأقدار شاءت أن تتكون رابطة قوية بين الفرعون وبين جنوده الذين خاضوا جنبًا لجنب معه غمار الحروب الطاحنة التى شنوها على الممالك المجاورة، وهى التى أسفرت عن تكوين إمبراطورية مصرية مترامية الأطراف أغدقت على الشعب المصرى الخير العميم، والأرزاق الوفيرة .. وكان رجال السلك العسكرى ينقسمون طائفتين طائفة الموظفين الحربيين «أى رجال الإدارة» وطائفة الجند العاملين.

ومن أبرز موظفى الإدارة الحربية «أمنحتب بن حبو» الذى اشتهر فيما بعد

بحكمته وأصالة رأيه لدرجة أن الشعب قد رفعه فى عهد البطالمة إلى مرتبة الآلهة، ونعرف من ترجمته لنفسه بأنه ولد فى بنها من أبوين فقيرين، أى أنه نشأ من عامة الشعب، وقد عمر طويلاً ويقال إنه بلغ الثمانين من عمره، وأنه «كاتب المجندين» أى يسهم فى إقامة المبانى الملكية، وكان يُلقب «مدير المحاجر للجبل الأحمر» وهى أعظم المحاجر التى تمتاز بفخامة الأحجار المستخرجة منها، إذ كان منها الحجر الرملى الأحمر المحبب، ومنه تصنع التوابيت الملكية.

إن هيبة تمثاله كانت توحى فى نفوس الشعب الإجلال والاحترام فكان القوم يعتقدون فيه أنه لسان حالهم، وحاميهم والشفيع لهم فى معبد الإلـه بعد مماته، ووجدنا منقوشًا على قاعدتى التمثالين اللذين وجدا أمام البوابة العاشرة بالكرنك النص التالى: «أنتم يا أيها الناس الذين يرغبون فى رؤية «آمون» تعالوا إلىّ لأنى بشير هذا الإلـه، فقد نصبنى «أمنحتب الثالث» لأبلغ كلمات القطرين إذا قرأتم لى صيغة القربان وناديتم باسمى إنسانًا محبوبًا عمل خيرًا» .

موظفو إدارة الجيش - كاتب المجندين

حياة الموظف الحربى لا تختلف عن حالة أى موظف آخر أما حياة جندى الميدان فكانت تختلف عن حياته اختلافًا بينًا، وذلك أن الموظفين الحربيين كانوا يبدءون حياتهم بالتلمذة فى وظائف إدارية صغيرة، وقد جرت العادة أن ينتخب الموظفون أصحاب الرتب العالية فى الجيش من كتاب الجند فمنهم من يكون مديرًا للكتاب الحربيين، وكاتب المجندين، ثم القائد.

فمنذ تكوين جيش عامل فى عهد الدولة الوسطى فقد عرفنا أنه فى «البرشة» فى عهد الفرعون «سنوسرت الثالث» كان شباب الجيش العامل منفصلاً عن المجندين فى المقاطعة، كانت هناك حامية فى «طيبة» وحامية فى «منف» التى كانت مقر القائد العام لجيوش الدولة من خلال الأسرة الثامنة عشرة، وليس لدينا حاميات أخرى فى الدلتا إلا إذا استثنينا معاقل الحدود والحاميات التى فى المقاطعات، وكان تجنيد العساكر الرديف كذلك تحت إدارة كاتب المجندين

وكانوا يشتغلون كثيرًا فى خلال الأسرة الثامنة عشرة فى شئون النقل.

أما فى الحروب فكانوا لا يستعملون إلا عند الضرورة الملحة، فنشاهد مثلاً على جدران معبد الدير البحرى فرقة الجنود الخاصة ينقلون مسلات الملكة «حتشبسوت» وعلى مجندى الجيش أى الجنود الذين كانوا يُدربّون ليصبحوا جنودًا نظاميين، وكان هناك جنود لحماية الحدود ونجد لقب «مدير مصبات البحر» ولقب «مدير السواحل» وكانت أول إشارة صادفناها والنقوش تشير إلى إغلاق مصبات النيل فى عهد «رمسيس الثالث» خلال حروبه مع أقوام الشمال. كما أن هناك «شرطة الصحراء» وكان يسيطر عليهم مشرف يحمل لقب «مدير الصيادين» فهم يقومون بتعقب الفارين إلى الواحات أو حماية عمال قطع الأحجار من غارات البدو الجائلين الذين يعيثون فى الأرض فسادًا، أو صيانة الطرق المؤدية إلى مناجم الذهب.

قائد الجيش

كانت السبل ميسرة لكاتب المجندين أن يرقى فى وظيفة إلى أعلى رتبة فى الجيش، وأعنى بذلك رتبة «قائد» .

إننا نعرف من ورقة «أنسطاس» الأولى وهى التى تنسب إلى عصر الرعامسة أن عمل قطع الأحجار كان عملاً حربيًا محضًا، وكان ولى العهد هو القائد الأعلى للجيش، وله اليد العليا فى الإشراف العام عليه، ومن بعده يأتى القائد، وهو الذى كان ينظم نقل الأحجار، وكان الفرعون الرئيس الأعلى لكل القواد كما كان هو أعلى قائد فى الجيش، وأحيانًا كان الفرعون يرسل أكبر أولاده لينوب عنه فى قيادة الجيش العليا فى «منف» .

ومن ورقة «ساليه» نعرف أن مقر إدارة الحكومة المصرية للشمال كان فى «غزة» ونعرف أن النظام الذى كان قائمًا فى الأقاليم الغربية (لوبيا) يشبه تمام الشبه النظام الذى كان قائمًا فى «سوريا» على الأقل فى عهد الأسرة التاسعة عشرة.

المدير العظيم لبيت الفرعون:

كان ينتخب من ضباط الجيش العامل، وكان ينحصر عمله فى تمثيل الفرعون فى إدارة ممتلكاته.

ضباط الميدان فى الإدارة الحربية

وأهم عمل يقوم به ممثل الجيش هو الإشراف على المؤن الخاصة بالجنود والحاميات. ومن مناظر القبور نرى نائب الجيش واقفًا أمام موظف المؤن وأمامه كاتب وهو يستعرض المشاة والفرسان يقودهم ضباطهم.

وتدل النقوش على أنه كان يوجد فى البلاد نائبان للجيش فى آن واحد أحدهما كان للوجه القبلى والآخر كان للوجه البحرى، وحتى فى الشرطة فنرى رؤساء الشرطة ممثلين على جدران مقابرهم وهم يتسلمون التقارير التى يأتى بها رجال الطواف.

الجنود الفرسان:

لقد ظهر فى باكورة الأسرة الثامنة عشرة سلاح جديد وهو العربة التى تجرّها الجياد، ويعزى فى العادة إدخال عربة القتال وكذلك الخيل فى مصر إلى عهد الهكسوس. وكانت رتبة «فارس» تعطى عند نهاية الخدمة العسكرية، ونعرف أن تحتمس الرابع قد رقى كاتب المجندين «حور محب» إلى مرتبة «قائد فرسان» أما الذين كانوا يعملون تحت إمرة قائد الفرسان فهم رؤساء الإصطبلات.

وكان الفرعون يكلف سائق عربته الأول بالقيام ببعثات خاصة لجلالته فى الخارج وفى هذه الحالة كان يسمى «مبعوث الملك فى كل أرض أجنبية» فمثلاً قام رئيس الإصطبل «أمنمأبت » بتفتيش فى بلاد «كوش» أو نشاهد الملك إلى سوريا من «سيله» حتى «يافا» .

وظائف القصر

كان ابن المرضعة التى تربى الملك يحمل لقب «أخ الملك من الرضاعة» أو «أخت الملك من الرضاعة» إذا كانت أنثى، وبمقدار المرضعة الملك من نفوذ على ابنها من الرضاعة كان يظهر تأثير نفوذها هذا فى رفع شأن أفراد أسرتها الأخرى، وقد كان من أثر هذه العلاقة أن رأينا فعلاً كلا من الضباط «أمنمحات» و«بح سوخر» قد وصل عن طريق زوجته إلى رتبة نائب الجيش. كذلك كانت الحال مع «تي» مرضعة الملكة «نفرتيتي» فإنها كانت السبب فى ترقية زوجها «آي» من رتبة الفارس «إلى مرتبة» قائد فرسان.

الملك «آي»

كان يحمل لقب «فارس» وقد نال هذه الرتبة بمكانة زوجه «تي» التى كانت المرضعة العظيمة للملكة «نفرتيتي» وكان هو الموظف الوحيد من كبار الموظفين الذى بقى فى عمله من بين كل رجال «إخناتون» عندما تولى الفتى «توت عنخ آمون» عرش الملك. والواقع أنه قد دب الخلاف والشقاق بين أفراد الأسرة المالكة بعد موت «إخناتون» فنجد من جهة أن «سمنخكارع» الذى كان شريك إخناتون على العرش يناصره «آي» فى تثبيت أركان ملكه، ومن جهة أخرى نشاهد الملكة نفرتيتى لا تعترف بالملك الفتى «**سمنخكارع**» .

والظاهر أن قوة السلاح التى كانت تشد من أزر قائد الفرسان «آي» قد لعبت دورها هنا بضربة حاسمة. ووضع «آى » توت عنخ آمون على العرش بعد أن زَوجه من ثالث بنات «إخناتون» المسماة «عنخس – ن- با – آتون» وبعد ذلك غير الفرعون اسمه من «توت عنخ آتون» إلى «توت عنخ آمون» وكذلك غيرت الملكة اسمها من «عنخس – ن – با – آتون» إلى «عنخس – ن – آمون» وأخيرًا عاد الملك مع مرشده إلى طيبة.

وقد نصب «آي» بماله من بعد نظر «حور محب» فى أعلى مرتبه فى الجيش إذ جعله القائد الأعلى لكل الجيوش، وبعد أن قضى على كل بذور طبقة الموظفين

الذين كان فى يدهم نفوذ عظيم فى داخل البلاد عهد إلى «حور محب» بمنصب «المدير العظيم لبيت الفرعون» «توت عنخ آمون» كذلك وجعل مقره فى «منف» وكان اتخذها من قبل مقرًا لمعسكرات جنوده.

وأصبحت السلطة رسمية فى يد «حور محب» بوضعه «ربعت» أى وصيًا وهى نفس السلطة التى كانت فى يد المدير العظيم للبيت فيما مضى وجهز «حور محب» حملة وساقها إلى بلاد سوريا لمنازلة «خيتا» وقام بحملة على فلسطين وانتصر هناك أيضًا، وكذلك قام بحملة على بلاد النوبة، ولابد أنه قامت ثورة مباشرة على «آي» انتهت بخلعه من عرش الدولة وما تزال قصتها مجهولة.

حور محب على عرش الملك

لم يحكم الملك «آي» أكثر من خمس سنوات، ونلاحظ أنه «حور محب» قد تجاهل عهد سلفه «آي» فى نقوشه التى تركها لنا عن كيفية توليه عرش مصر، وهذا هو السبب الذى من أجله نعتقد أنه ثار على الفرعون «آي» وانتزع منه الملك، وقد قص علينا «حور محب» نفسه قصة صباه وحياته الحكومية وتتويجه فى «طيبة» وبداية عصر حكمه على تمثال مزدوج من الجرانيت الأسود يمثله هو وزوجه الملكة «موت نزمت» والتمثال محفوظ الآن بمتحف «تورين» ونسب نفسه بأنه ابن الإلـه «حور» إلـه «حت نسوت» وجعل هذا الإلـه المحلى يقوده إلى «طيبة» ليتوج على يد الملك الآلهة «آمون رع» .

حالة البلاد عند تولى حور محب

كانت الأحوال فى داخل البلاد وخارجها غاية فى الارتباك لا من الناحية الدينية وحسب، بل كذلك من الناحية السياسية وبخاصة التطاحن على عرش الملك بعد موت «إخناتون» ولسنا مبالغين إذا قلنا أن ديانة «إخناتون» على الرغم من عدم حب الشبع لها لبعدها عن تقاليدهم المورثة كانت قد تأصلت فى نفوس فئة عظيمة من المفكرين.

ولما تولى «حور محب» مقاليد الأمور كان همه إعلاء شأن «آمون» وآثاره

ولذلك كانت بداية عهد جديد زاهر لديانة آمون، فقد عاد «آمون» سيدًا «لطيبة» وملكًا على الآلهة فى جميع الإمبراطورية المصرية، ثم أخذ «حور محب» يتبارى تدريجيًا مع سلفه «أمنحتب الأول» فى غيرته على مصلحة والده «آمون» فنجد أنه قد قام بهدم مسلات «إخناتون» وإزالة المبانى التى أقيمت أمامها تلك المسلات، ثم عمل على ألا يبقى منها حجر واحد فى مكانه، فهدمها، وأقام بأحجارها البوابتين التاسعة والعاشرة كما جعل منها أساس مبانى أحجار البوابة الثانية التى أقامها هو فى الكرنك. ولقد بقيت أحجار معبد «إخناتون» محتجبة عن الأنظار إلى أن حدث زلزال عظيم فى عام ٢٧ ق. م فتصدعت مبانى البوابتين، وظهر ما على أحجارها المغتصبة من نقوش تدل على أنها من مبنى للفرعون «إخناتون» مثل بقايا صلوات لقرص الشمس «آتون» ومناظر عبادة.

وقام «حور محب» بإصلاحات فعلية للحد من سرقة القبور والقضاء على الاستهتار بالقانون وبالدين والأخلاق، ولم يكن عهد «حور محب» محصورًا فى إصلاح المبانى وإقامة أخرى جديدة لإرضاء كهنة آمون، بل كانت لديه مهمة شاقة أقضت مضجعة وشغلت باله؛ لأنها كانت تمس نظام الحكم ونزاهته وحسن سيره، وذلك أن التراخى المشين، والتهاون المخزى والتغاضى المقصود فى ملاحظة الموظفين، وما يرتكبونه من اختلاسات، كل ذلك كان من خصائص عهد «إخناتون» مما أضاع أملاكها فى الخارج وأتعس أهلها فى الداخل، ولم تكن قوانين «حور محب» مدنية فحسب، تحدد علاقات بعض المواطنين ببعض بل كانت شاملة للقوانين الدستورية التى تحدد علاقة الفرد بالسلطة الحاكمة، فكثيرًا ما وقع الأهلون فريسة لرجال الإدارة.

الفرعون المنقذ للبلاد

ولقد كان من مظاهر الظلم والتعسف وتفشى الرشوة قبل عهد «حور محب» أن العمد كانوا يفرضون الإتاوة على الأهلين ويجمعونها منهم ظلمًا وعدوانًا و«يتغاضون عن الاختلاسات» وكان العثور على المجرم والقضاء على الجريمة أمرًا بعيد المنال لأن منفذ الشر هو حامى القانون ومرتكب الجرم هو رجل

الإدارة، لذلك سن «حور محب» قوانينه للضرب على أمثال هؤلاء المختلسين، ولتحقيق السعادة لسكان مصر وضمان قوانينه للضرب على أمثال هؤلاء المختلسين، ولتحقيق السعادة لسكان مصر وضمان قوانينه كما يريد، أسس فى كل البلاد مجالس قضائية تفصل فى الخصومات بين الناس كأحدث التشاريع فى العصر الحاضر. وأوصى القضاة أن تكون العدالة رائدهم، فلا يقبلون رشوة من أحد، ولا يميزون أحد المتخاصمين على الآخر.

عدالة حور محب

ولحرص «حور محب» على تحقيق العدالة وتنفيذها، رغب فى أن تكون علاقته برجال جيشه وضباطه ورجال إدارته علاقة ود وحب مباشرة فكان يتصل بهم بنفسه، لذلك تربع «حور محب» على عرش القلوب ونال محبة شعبه وتقديره. ذلك أن «حور محب» نشأ من بين أبناء الشعب وانصهر فى بوتقته، فكان ملمًّا بكل رغباته وميوله، عليمًا بكل ما يحيق به من عسف وظلم، فأحسن التعبير عن رغباته.

ولقد سن أنظمة تشريعية واتخذ إجراءات إدارية فنجح فى كبح جماح الظلم والعسف والرشوة التى كانت تئن تحت عبئها البلاد، وترزح تحت أثقالها فى عصور التاريخ كلها، ويُعد «حور محب» فى نظر المصريين وفى نظر التاريخ عامة ملكًا شرعيًا نشأ من لا شيء، ومات ملكًا متوجًا، وحقق لبلاده ما لم يحققه ملك من الذين نشئوا من دم ملكى، ولم يترك للعرش وارثًا، ولذلك كان هذا الروح الفريد، والعقل الفذ الذى حَرّك سكان الحكم فى مصر بروية وحزم فى الطريق القويم ثانية، بعد أن ضلت السبيل فترة من الزمن، نعمة عظمى لمصر والرجل المثالى الذى شيد للعدالة صرحًا.

أهم الآثار التى خلفها:

تمثال فى معبد آمون بالكرنك وتمثال آخر فى معبد «تحوت» فى منف بالإضافة إلى مقبرة فخمة فى سقارة ولكن خربها المخربون ونجد بقايا من أجزائها فى مختلف

متاحف العالم كما أقام ثلاث مقابر، الأولى فى «تل العمارنة» والثانية فى «منف» والقبر الثالث فى «أبواب الملوك» أقامه بصفته ملكًا، وفى الحجرة الداخلية من هذا القبر نجد تابوته المصنوع من الجرانيت الأحمر لم يزل موجودًا فى مكانه الأصلى.

وفى «مدافن العجل آبيس» بسقارة دفن العجل الثالث والعجل الرابع وفى «طيبة» وفى «الكرنك» أقام ثلاث بوابات، وكانت تمتد أمام البوابتين التاسعة والعاشرة طريق كباش تشمل ثمانية وعشرين ومائة تمثال فى هيئة «بولهول» برأس كبش، وفى معبد الأقصر وضع «حور محب» اسمه على عمد «أمنحتب الثالث» الكبرى الموجودة فى قاعة العمد. وفى معبد بتاح ترك لنا بعض نقوشه باسمه، بالإضافة إلى أماكن أخرى.

الموظفون فى عهد حور محب

الشيء الجديد الذى نجده فى مقبرة الكاهن «نفر حتب» هو ظهور متنى يشبه المتون التى كنا نقرؤها فى عصر التشكك الذى جاء على أثره الانقلاب الاجتماعى العظيم الذى تلا سقوط الدولة القديمة. والانقلاب الذى أحدثه «إخناتون» من أثر فى نفوس القوم، وخلخل عقائدهم، وجعلهم ينظرون للحياة نظرة تجعلهم يتجهون إلى التمتع بمناعمها ولذائذها لأنهم لا يعرفون، ماذا سيكون مصيرهم بعد الموت؟ وسنرى أن هذه السحابة المليئة بالتشكك لم تمكث طويلاً وأنه سرعان ما تهدأ النفوس ثانية، ويعود إيمانهم عندما يعود الأمن إلى نصابه، وتسود السكينة فى البلاد.

وفى مقبرة الكاهن «نفر حتب» نقرأ هذه الجمل: «ضع العطر والزيت الجميل معًا فى خياشيمك، وتيجان الأزهار، وأزهار البشنين حول عنق أختك التى تحبها الجالسة بجانبك ! وليكن الغناء والموسيقى أمامك! واطرح كل الآلام وراء ظهرك، وفكر فى السرور إلى أن يأتى ذلك اليوم الذى تصل فيه إلى الميناء فى الأرض التى تحب الصمت» .

لمحة عن ممالك الشرق

(١) بابل

أقدم ملك جاء ذكره فى خطابات «تل العمارنة» وهو الملك «كار ايندا س» الأول، وهو الذى كان يراسله «أمنحتب الثالث» وكانت الهدايا العادية التى يرسلها ملوك «بابل» إلى فراعنة مصر تشمل الفضة واللازورد، والمواد الخشبية المموّهة بالذهب، والزيت والعربات والخيل والعبيد.

(٢) مملكة آشور

كانت بلاد «آشور» منذ عهد «تحتمس الثالث» ترسل الجزية إلى مصر باسم رئيس «آشور» وكانت «آشور» تابعة لدولة «متني» .

(٣) مملكة متني

وقد وجدت ببلاد «نهرين» ولدينا خطابات نلحظ منها تدخل بلاد «متني» فى «فلسطين» .

(٤) الآشيا «قبرص»

كانت بلاد «الآشيا» موطنا للنحاس فى عالم البحر الأبيض المتوسط. وكانت مقادير النحاس التى ترسلها « قبرص» عظيمة جدًا، ولدينا خطاب يدل على ما كان بيد البلدين من التحالف الوثيق.

(٥) بلاد خيتا

الواقع أن أهل «خيتا» شعب مختطلة أجناسه، وتدل شواهد الأحوال على أن «خيتا» كانت دائمًا فى عداء مع المصريين.

وبفضل رجال الحرب العظام الذين اعتلوا عرش مصر متلاحقين على رأسهم «حور محب» ثم تلاه ملوك أسرة الرعامسة الذين أسسوا الأسرة التاسعة عشرة فإن مصر استعادت بعض مجدها وعزتها القومية.

الجزء السادس

من موسوعة مصر القديمة

للعلامة د. سليم حسن



تمهيد

عادت البلاد إلى ديانتها القديمة بعد أن قضى «حور محب» على النظام الدينى الذى اصطفاه «إخناتون» واستقر الأمن بعد سَنِّ القوانين الرادعة والضرب على أيدى العابثين، وقد خلف «حور محب» قائده ووزيره الأكبر وولى عهده «رعمسيس الأول»، ثم خلفه ملكان يُعدان من أمجد الفراعين الذين ولوا أمر الكنانة وهما «سيتى الأول» وابنه «رعمسيس الثاني» ويبدأ عصر الأسرة التاسعة عشرة فى نحو ١٣٢٠ ق. م.

طريق الإصلاح

«ورعمسيس الأول» الذى كان أول حياته قائدًا ووزيرًا للفرعون «حور محب» اعتلى العرش بعد وفاة سيده مباشرة، سار بالبلاد قدمًا فى طريق الإصلاح على النهج الذى رسمه له «حور محب» فكان أول ما وجه إليه عنايته إعلاء شأن الإلـه «آمون» بمشايعة كهنته ومؤازرتهم، والعمل على تثبيت سلطانهم، فأسس قاعدة العمل العظيمة بالكرنك. ولما مات «رعمسيس الأول» كان راضيًا مطمئنًا على مصير البلاد التى خلقها من جديد فقد ترك شبلاً كان يجمع بين الجندية والسياسة وأصالة الرأى فى تسيير أمور الدولة، وعلى هوى «ماعت» سار «سيتي» فى حكم البلاد فأسعد أهلها وأرضى آلهتها، وبذلك استتب له النظام فى الداخل مما هيأ له القيام بتنفيذ الخطة التى رسمها لإعادة الإمبراطورية المصرية شمالاً وجنوبًا كرّة أخرى، ورغم أن «سيتى الأول» لم يكن من دم ملكى، فإنه اتخذ من تعظيم «أوزير» سندًا يعاضده فى ادعائه عرش الملك، وأقام المبانى المقدسة بالعرابة، واستخرج الذهب من بلاد النوبة للإنفاق عليها، وكان يراعى مصالح العمال والفلاحين ويُحسّن معاملتهم.

وقد قفا فى سياسته أثر الفاتح العظيم «تحتمس الثالث» فأعاد لمصر فلسطين وجزءًا من جنوبى سوريا، واشتبك مع ملك «خيتا» فى موقعة بالقرب من مدينة «قادش» وقام اللوبيون فى غرب مصر بحملة على تخوم الفرعون، فسار إليهم

بجيش جرَّار هزمهم فى عقر دارهم كما قمع الثورات فى بلاد النوبة ولما أخذ «رعمسيس الثاني» مقاليد الحكم فى يده منفردًا (سنة ١٢٩٠ ق. م) سار على نهج والده فى سياسته الداخلية والخارجية.

وتدل شواهد الأحوال على أنه كان هناك اتصال أُسرى بين كهنة «أوزير» وكهنة الإلـه «آمون» بالكرنك، وقد عمل هؤلاء الكهنة مجتمعين على جعل كل وظائف الدولة المهمة فى أيدى أفراد أسرتهم، وبذلك أصبح «رعمسيس» مسيطرًا على داخلية البلاد من الوجهة الدينية والإدارية، بتلك البطانة المخلصة لعرشه، مما سهل له تنفيذ كل مآربه على حسب نظام «ماعت» .

وأقام لألهـه «آمون» معبدًا جنائزيًا وأطلق عليه المحدثون اسم «الرمسيوم» كما أقام العديد من المعابد للإلهة ولنفسه فى أمهات المدن مثل «منف» «هليوبوليس» و«طيبة» و«العرابة» و«تانيس» وزينها بالتماثيل والمسلات. وعن مخاطبته للعمال: «الطعام غزير حولكم، وقد كفيت حوائجكم من كل وجه صحيح حتى تعملوا بقلوب محبة، وحتى لا يكون من بينكم من يمضى الليل يئن من الفقر، ولقد قمت بعمل كل هذا لأجل أن تسعدوا وأنتم تعملوا بقلب واحد. والواقع أن ما لدينا من وثائق يدل على أن اهتمامه بكل طبقات الشعب فى ريف البلاد وصعيدها، مدنها وقراها فقد كانوا فى عيش رغد، وترك لنا هذا العصر بعض الرسائل التى تدل على حماية أهل القرى والفلاحين من عسف الحكام وظلمهم بالقوانين الخاصة التى كان يقوم الوزير بتنفيذها وترددت عبارات قالها «رعمسيس الثاني» مثل: «وأبعدت كل الظلم الذى كان فى الأرض» .

معاهدة الصلح

وكان «رعمسيس» حكيمًا فى سياسته الخارجية وبخاصة فى حروبه، فقد أفلح فيها إلى حّد بعيد، إنه فى نهاية الأمر اضطر عدوه ملك خيتا ومن معه إلى طلب الصلح وإبرام معاهدة فى السنة الواحدة والعشرين من حكمه بعد أن مدَّ فتوحه إلى بلاد «نهرين» وتعد هذه المعاهدة أقدم وثيقة من نوعها فى تاريخ العالم الدولى

وبهذه المعاهدة عقدت أواصر المهادنة بين البلدين، وأصبحت مصر آمنة مطمئنة من هذه الجهات، وتراسل بعدها ملك مصر مع ملك «خيتا» كما تراسلت ملكة مصر «نفرتاري» مع ملكة «خيتا» ، بما يدل على الود والإخاء ازدادت روابط الودّ بين مصر وجيرانها بالتجارة، وأخذ المصرى يتحرر من قيود الماضى، فلم يعد يحب البقاء فى عقر داره، بل أخذ يجوب البلاد الأجنبية، واتسع أفق تفكيره، وأخذ يدرس العلوم الرياضية والهندسية.

الاختلاط بالدم الأجنبى

وأخذ الدم المصرى يختلط بعض الشيء بالدم الأجنبى لكن ذلك كان فى المدن فحسب أما القرى فكان الدم فيها مصريًا حميًا حتى يومنا هذا.

وتعتبر قصيدة البطل «رعمسيس الثاني» التى نقشها على جدران معابدة أول ملحمة كتبت فى التاريخ، وظهر الشعر الغزلى والغنائى والحكم والأمثال، ثم أخذت فكرة التنسك والتحنف تظهر فى الديانة المصرية، وتغلغلت فكرة التعبد المنفرد فى نفوس العامة حتى أخذ الفرد يتعرف بما اقترفه من ذنوب، وانتشر هذا التضرع بين عامة الشعب جنبًا إلى جنب مع العبادة الرسمية.

بداية الأسرة التاسعة عشرة

كان عهد ملوك الأسرة التاسعة عشرة بداية عصر جديد فى تاريخ الأمة المصرية من الوجهتين السياسية والوطنية، كما كان كذلك عهد رخاء وإصلاح داخلى من ناحية الإدارة والعمارة.

رعمسيس الأول: نشأ من أسرة ضباط قديمة، وأعاد وظيفة الوزير التى أُلغيت أيام «توت عنخ آمون» و«آي» (وتم تعيين وزيرًا للوجه القبلى والآخر للوجه البحري) ومن مناظر على جدران معبده الجنائزى «بالعرابة المدفونة» وهو المعبد الذى أقامه له إبنه «سيتى الأول» نشاهد «رعمسيس» يحرق البخور ويصب القربان أمام الإله «أوزير» والإلهتين «إيزيس» و«حتحور» ونجد فى

الإهداء الذى دونه «سيتى الأول» نجده يعلن فى صراحة عندما يتحدث عن والده قائلاً: «إن والدته بجانبه، وأجداده لم يهجروه، لأنهم مجتمعون فى حضرته، وإنى ابنه الذى يخلد اسمه، والدة الإلـه «أى الملكة ساترع» قد احتضنته بساعدها مثل «إيزيس» عندما تضم والدى، وكل إخوته وأخوته يصحبونه وأنه مغتبط لأن أسرته تحيط به».

أعمال «رعمسيس الأول»

بالرغم من قصر مدة حكمه فإنه خلف آثارًا عدة فى طول البلاد وعرضها من «سرابه الخادم» بسينا شمالاً حتى «امدا» فى بلاد النوبة جنوبًا فله آثار فى القنطرة وتل اليهودية ومنف والمرج وبالقرب من «باب الفتوح» بالقاهرة والعرابة المدفونة والكرنك.

أما قبره بطيبة ففيه تابوته أما مومياؤه فقد نقلت – أثناء نهب مقابر الملوك – إلى مقبرة الملكة «انحابي» وأخيرًا إلى المخبأ السرى الواقع بجوار الدير البحرى.

ويشاهد فى معبد «الرمسيوم» وفى معبد مدينة «هابو» تمثال «رعمسيس الأول» محمولاً فى موكب الأجداد، والأثر الوحيد الذى وصل إلينا حتى الآن مؤرخًا هو لوحته التى عثر عليها فى «وادى حلفا» وقد أقيمت تخليدًا للأعمال الصالحة التى قام بها «رعمسيس الأول» وفى نهاية النقش كتب اسم «سيتى الأول» ولقبه، ويدل ذلك على أنه كان مشتركًا معه فى الحكم.

عبادة رعمسيس الأول

وعلى الرغم من أن «رعمسيس الأول» لم يكن له الحق فى عرش مصر شرعًا، فإن الخلف لم يكتفوا بالاعتراف به ملكًا شرعيًا على البلاد، بل كذلك عدوه إلهًا كغيره من الفراعين الذين حكموا البلاد من قبله وكانوا من دم ملكى خالص، وبخاصة أولئك الفراعنة التى أسسوا أسرًا جديدة أمثال «أحمس الأول» وغيره.

وقد كان شريكًا مع والده فى الملك، وقد اتبع تلك السياسة التى وضع أسسها «حور محب» وهما حكومة ثانية وإعادة مجد مصر الإمبراطورى.

حروب سيتى الأول:

شن حربًا على «شاسو» (البدو) والثانية على اللوبين، والأخيرة على بلاد «خيتا».

حالة البلاد الداخلية والخارجية قبل حروب «سيتى الأول»

إن حالة الفوضى المحزنة التى كانت تسود داخلية البلاد بعد الثورة التى قام بها «إخناتون» قد عاقت البلاد بطبيعة الحال عن القيام بأى عمل جدى لإعادة الإمبراطورية المصرية فى آسيا بوجه خاص، ومن أهم الوثائق التى بقيت لنا منقوشة على جدران معبد الكرنك المتن الذى يحدثنا فى السبب المباشر الذى حدا بالفرعون «سيتى الأول» لمهاجمة قبائل «شاسو» (البدو) الآسيويين فى فلسطين، وقد كان للعبرانيين فى الحركة التى قام بها هؤلاء البدو ضلع إذ كانوا يسعون لتوطيد أقدامهم فى فلسطين.

وقد بدأ «سيتى» سيره من بلدة «ثارو» الواقعة على الحدود الشرقية لمصر وبعد أن غرس فى قلوب «شاسو» الخوف من مصر، بدأ المرحلة الثانية من مراحل حملته على ثوار فلسطين، وبعد حرب دامت يومًا واحدًا انتصر الجيش المصرى انتصارًا باهرًا، ولا غرابة فى أن نرى المصريين مبتهجين فرحين بما أوتوا من نصر عظيم، فقد مرت السنون تلو السنين الطوال قبل أن يشاهد المصريون عودة جيوشهم مظفرة من آسيا وعلى رأسها الفرعون يحمل غنائم الحروب وأسلابها وأقام «سيتى الأول» لوحة فى «قادش» الواقعة على نهر «الأرنت».

الحرب مع لوبيا:

انتهت هذه الحروب بهزيمة منكرة انتصر فيها على اللوبيين فى واقعتين.

الحرب فى خيتا:

نشاهد فى آخر حملة سجلها «سيتى الأول» على جدران معبد الكرنك أنه ألتحم مع جيش «خيتا» وهزمه واستولى منه على أسرى وغنائم.

سيتى الأول وبلاد النوبة:

يظهر أنه قد قام ببعض الحملات فى بلاد النوبة، غير أننا لا نعلم إذا كان هو قد سار بها من تلقاء نفسه فى عهده هو، أو كان قد أرسله والده على رأسها، فقد عثر على لوحة فى «وادى حلفا» تكاد تكون صورة مطابقة للوحة التى أقامها «رعمسيس الأول» .

مكانة سيتى فى التاريخ:

ولا نزاع فى أن التاريخ سيحتفظ «لسيتى الأول» بأجمل الذكريات فقد أفلح فى إعادة ما يقرب من نصف إمبراطورية مصر فى آسيا.

نشاط سيتى الأول داخل البلاد

قاعة العمد العظمى بالكرنك:

قام «سيتى الأول» بنصيب وافر فى تشييد قاعة العمد الكبرى بالكرنك فى أثناء اشتراكه مع والده «رعمسيس الأول» فى الحكم، وقد أشرك فيها بعد ابنه الصغير «رعمسيس الثاني» فى الحكم وجعل له نصيبًا وافرًا فى إتمام هذه القاعة العظيمة، ولما مات والده أنجز ما بقى من نقوشها وزخرفها.

معبد العرابة الكبير:

لا نزاع فى أن أشهر معبد أقامه «سيتى الأول» فى البلاد المصرية وفى غيرها

من بلدان الإمبراطورية المصرية هو المعبد الكبير، وتقع المحاريب السبعة الخاصة بآلهة المعبد خلف قاعة العمد الثانية، وقد نقشت قائمة بأسماء الملوك الشهيرة باسم «قائمة العرابة، وتشمل أسماء ملوك مصر الذين عدّهم «سيتى الأول» ملوكًا شرعيين للبلاد، وقد بدأت هذه القائمة باسم الملك «مينا» وانتهت باسم «سيتى الأول» ومما تجدر ملاحظته فى الأسماء التى دونت على هذه القائمة أن اسم الملكة «حتشبسوت» وكذلك كل أسماء ملوك عهد الإصلاح الدينى أى «إخناتون» وأخلافه لم ينقشوا فيها.

الأوذديون أو ضريح «سيتى الأول» بالعرابة المدفونة

يقع خلف المعبد العظيم الذى أقامه «سيتى الأول» فى العرابة بناء سرى تحت جوف الأرض، ليس له مثيل فى كل المبانى الأثرية التى عثر عليها فى مصر حتى الآن ويرى الأستاذ/ «فرنكفورت» أن هذا المبنى هو من نوع هذه المبانى الجنائزية، ويعتقد أنه ضريح «سيتى الأول» الرمزى، وقد ترك «سيتى الأول» ضريحه الرمزى هذا دون أن يتم بناؤه بعد، ولم يهتم ابنه «رعمسيس الثاني» بإتمامه.

مرسوم «نوري» والمؤسسات الخيرية التى أقامها سيتى بالعرابة:

كان من الصفات البارزة فى أخلاق الفرعون «سيتى الأول» تحيزه الظاهر لمدينة العرابة والآلهة التى كانوا يعبدون فيها، وقد ترك الإلـه ست الإلـه المحلى حبًا فى «أوزير» والد «حور» ومن ثم عقد العزم بوصفه ابنًا بارًا لـ «أوزير» على أن يمجد والده المحبوب (بلدة نورى تقع على مسافة خمسة وثلاثين كيلوا مترًا شمال الشلال الثالث – والمقصود بالمرسوم هو المحافظة على حقوق مؤسسة ملكية تعرف باسم «بيت ملايين السنين»).

الذهب واستخراجه من أرض الوادي

الإقليم الذى فيه الذهب فى مصر يقع بين وادى النيل والبحر الأحمر فى هذا

الجزء من الصحراء الواقع على طريق «قنا» و«القصير» وحدود السودان – وقد حاول «سيتى الأول» استغلال مناجم «اكينا» ولكن كان هذا عبثا، ولكنه نحت معبد «وادى مياه» المعروف بمعبد «الروسية» التى تبعد عن «إدفو» بخمسة وثلاثين ميلاً شرقًا على الطريق القاحلة المؤدية إلى مناجم الذهب القريبة من البحر الأحمر.

معبد القرنة:

يقع معبد «القرنة» الجنائزى الذى أقامه «سيتى الأول» عند مدخل «وادى الملوك» وقد كان على «رعمسيس الثاني» إنجاز بناء ما بقى من هذا المعبد.

مقبرة سيتى الأول:

يعد قبر «سيتى الأول» الواقع فى وادى الملوك بطيبة الغربية من أضخم المقابر التى نحتت فى صخور هذا الوادى، كما أنه من أحسنها زخرفًا ودقة وتصويرًا. وقد نقر فى الصخور لمسافة خمسة وعشرين وثلثمائة قدم.

وقد عثر على مومياء «سيتى الأول» بين الموميات الملكية التى وجدت فى خبيئة الدير البحرى.

آثار «سيتى» الأخرى فى أنحاء الإمبراطورية

عُثر له على ثلاثة لوحات فى «سرابة الخادم» ، وله آثار منتشرة فى أنحاء الدلتا ولكنها بكل أسف مهشمة، وله قصر أقامه فى قنتير وهى الموقع الأصلى لعاصمة رعمسيس الثانى – ويوجد فى متحف «فينا»مائدة قربان من حجر الكوارتس يظن أنها من «تانيس» ووجد فى «تل اليهودية» على أثر غريب للملك سيتى الأول توجد له مسلة فى «هليوبوليس» وأقام لوحة من الحجر الجيرى الأبيض أهداها «لبولهول» بالجيزة، وله آثار فى «منف» فى معبد «بتاح» .

ونعلم من ورقة «رولن» أن «سيتى الأول» أمضى جزءًا كبيرًا من سنته الثانية من سنى حكمه فى النزهة فى الدلتا. وله نقوش فى «اسطبل عنتر» ونقوشه فى

«وادى الحمامات» تدل على نشاطه فى استغلال محاجر هذا الإقليم العظيم، وله آثار فى «قفط» و«المدمود» و«طيبة»، وقد وجد بين كنوز خبيئة الكرنك تمثاله الضخم الغريب المنحوت من المرمر وهو الآن بالمتحف المصرى. وله آثار فى «جبل سلسلة» و«الكاب» و«كلبشة» و«دلكة» و«كوبان» و«دوشة» و«قصر أبريم» و«جبل بركل» و«سيسبي» ومحراب «أمنحتب الأول» وهذا دليل على استمرار وتشجيع عبادة هذا الفرعون المؤله الذى أصبح الحامى للجبانة فى «طيبة» الغربية.

إصلاحات سيتى البنائية:

فى «الكرنك» أصلح منظرًا على البوابة التاسعة وأصلح اسم «آمون» على لوحة الفرعون «تحتمس الثالث» وكان قد هشمه «إخناتون» وفى لوحة لـ«تحتمس الثالث» فى معبد «بتاح» وإصلاحات أخرى فى مسلة «حتشبسوت» ولوحة «أمنحتب الثاني» وفى القرنة بطيبة الغربية نشاهد إصلاحاته فى لوحات «أمنحتب الثالث» وقام بإصلاحات فى معبد الدير البحرى وفى معبد «تحتمس الثالث» فى مدينة «هابو» .

الأسرة المالكة

الملكة ((تويا)) :

لم تسجل لنا الآثار زوجًا للفرعون ((سيتى الأول)) إلا الملكة ((تويا)) وأولاده ((رعمسسو)) و((رعمسيس الثاني)) وابنته ((حنت مى رع)) .

الموظفون والحياة الاجتماعية فى عهد ((سيتى الأول))

كانت هناك أسرة واحدة وهى أسرة الكاهن ((وننفر)) بوجه عام ومن المناظر المرسومة نعرف بعض نواحى الحياة الاجتماعية والدينية وأهمها ما يأتى:

(١) منظر سفينة ((آمون رع)) المقدسة التى كانت تنقل تمثال ((آمون)) من المعبد إلى الشاطئ الأيمن فى احتفال ((عيد الوادي)) .

(٢) منظر للألعاب الرياضية وبخاصة اللعب بالعصا ((الذى لا يزال موجودًا حتى الآن فى ريف مصر وصعيدها))، والمصارعة أمام محراب الفرعون المؤله ((أمنحتب الأول)) وإنه من المهم أن ننوه هنا بأن هذه الألعاب كانت تقام تكريمًا لملك متوفى فى أعيادهم، وهناك منظر ((أمنحتب)) وأمه ((أحمس نفرتاري)) المؤلهين.

ومن لوحة الكاتب ((معي)) كاتب القربان المقدس لثالوث العرابة أى ((أوزير)) و((حور)) و((إيزيس))) عُثر عليها فى ((العرابة المدفونة)) وهى الآن بمتحف ((بروكسل)) ببلجيكا وتعد من أهم اللوحات الجنائزية من حيث مادتها وتحتوى هذه اللوحة على أنشودة للإلهة ((أوزير)) بوصفه إلـه الآخرة فتعدد لنا ما كان له من نفوذ وسلطان فى نفوس الشعب، وهى فى الأصل رواية لأنشودة قديمة كتبت فى عهد الدولة الوسطى عندما كان نفوذ هذا الإلـه قد بلغ شأوًا بعيدا فى التسلط على أذهان الشعب، وبخاصة بعد أن تحرر من القيود والامتيازات التى كانت خاصة بالملوك بعد الثورة الاجتماعية التى أشعل نارها أهل الطبقة الدنيا المظلومة المكبوتة من أصحاب الإقطاع، وقد كان من جرائها أن

نال عامة الشعب بعض حقوقهم الدنيوية، ولكنهم قد تساووا مع الملوك فى حقوقهم فى عالم الآخرة، فأصبح فى مقدور كل من الملك والفلاح البسيط والعامل الصغير أن يصبح «أوزيرًا» فى عالم الآخرة إذا كان تقيًا ورعًا مؤديًا ما عليه من حقوق لله والناس.

ونلاحظ أيضًا أن «معي» يرتدى شعرًا مستعارًا طويلاً كما كان يلبس ثوبًا طويلاً مجعدًا، ونعرف من الأنشودة أن الفرد أخذ يناجى ربه، وعلى حسب الاعتقاد المصرى كان المتوفى فى أثناء سياحته فى عالم الآخرة تستقبله آلهة «طيبة» فتطعمه وتسقيه، وكان اسمها بوجه عام الآلهة «توت» أو «حتحور» أو «إيزيس» ولكن فى غالب الأحيان كانت تسمى «سيدة الجميز»، غير أن رسم هذه الآلهة الخارجة من شجرة الجميز لم يظهر إلا منذ الأسرة الثامنة عشرة.

والواقع أن كلا شجرة الجميز والنخلة لم تزل موضع تقديس عند العامة حتى الآن .. ولا يزال يوضع سعف النخل على قبر المتوفى.

ومن مقبرة «وسرحات» وجدنا أن جسم الرجل نفسه كان يوضع فى كفة وقلبه فى كفة أخرى، ويمكن أن نستخلص أن الإنسان فى هذا العهد قد بدأ يشعر بمحاسبة ضميره له، ومناجاته لربه والتنسك. وكان البصل يقدم كقربان.

آمال المتوفى فى الحياة الآخرة:

ومن لوحة القبر يمكن أن نلخصها فى الجمل الثلاث التالية:

«كرمه الملك فى الحياة الدنيا، وبكاه أصدقاؤه عند موته، ورَحب به الآلهة فى السماء» .

نذالة ودناءة كاهن يدعى «أمنموس» : فهذا الكاهن غطى اسم «وسرحات» الذى كان يأمل فى سعادة أبدية لروحه وكتب اسم الشخص المراد إحلاله محله بالمداد!! والعجيب أن صورة الأحقاد الشخصية المذكورة حدثت بين كهنة من أسرة واحدة!!.

اشترك «رعمسيس» فى شئون والده الفعلية وهو فى سن العاشرة. وقد اتخذ لنفسه اللقب الرسمى التالى «وسر ماعت رع» [أى رع قوى العدالة]مقلدًا فى ذلك والده الذى كان يحمل اللقب الرسمى «من ماعت رع» [رع ثابت العدالة] ولكن «رعمسيس» كان يضيف فى حالات خاصة إلى لقبه هذا نعوتًا مختلفة مثل «مرى رع» (محبوب رع) أو «تيت رع» (صورة رع) أو «اعو رع» (وارث رع) أو «ستبن رع» (مختار رع) وفى النهاية اتخذ لقب «وسر ماعت رع» ستبن رع (رع قوى العدالة ومختار رع) وهذا اللقب الأخير كان يحمله «رعمسيس الثاني» فقط على الآثار التى تنسب إلى عهد حكمه المنفرد بعد وفاة والده، وقد مضى «رعمسيس» فى بادئ الأمر على تقاليد والده الهندسية باستعمال النقش البارز، وبعد فترة اتخذ طراز النقش الغائر. كانت الحملات الحربية التى شنها على «سوريا» و«لوبيا» وبلاد «النوبة» (وهى الممثلة على جدرانه) قد حدثت فى عهد اشتراك الوالد والابن فى حكم البلاد. ومن المحتمل كما جاء فى لوحة «كوبان» — رئيس الجيش عندما كان طفلاً فى العاشرة من عمره وقد امتد حكم «رعمسيس» نحو سبع وستين عامًا.

ومن المناظر التى لها علاقة مهمة جدًا بموضوع اشتراك «رعمسيس» مع «سيتى الأول» منظران رسما على الجانب الجنوبى لقاعة العمد العظيمة «بالكرنك» وهما يمثلان سفينة «آمون» المقدسة، وقد صور على محرابها صورة رمزية لكل من «سيتى الأول» و«رعمسيس الثاني» أحدهما بالنقش البارز المميز للطور الأول الذى حُول إلى نقش غائر، والثانية بالنقش الغائر الخاص بالطور الثانى، ويلاحظ أن اسم «سيتي» لم ينعت بعبارة «صادق القول» [أى المتوفي].

وتتضمن الوثيقة (١) خطاب « أوزير» للملك (٢) خطاب «إيزيس» (٣) خطاب «سيتى الأول» (٤) خطاب «رعمسيس الثاني» (٥) رحلة «رعمسيس الثاني» إلى طيبة وسرد أعماله التى قام بها تكريمًا لوالده (٦) وصف حالة آثار العرابة التى وجدها عليها الملك عند عودته إلى «طيبة» (٧) «رعمسيس الثاني» يعقد مجلسًا من رجال بلاطه وموظفيه (٨) الملك يقص خبر توليته عرش الملك ويستعرض مشاريعه (٩) جواب المستشارين (١٠) تقديس معبد «سيتي» الذى أتمه «رعمسيس الثاني» (١١) خطاب الفرعون لوالده «سيتي» (١٢) شكر «سيتى الأول» لابنه.

لا نزاع أن هذا المُتن على ما به من عبارات تقليدية ومراسيم دينية وأساطير، يقدم لنا ملخصًا رسميًا حقيقيًا عن المبانى والأوقاف التى أخذ «رعمسيس الثاني» على عاتقه القيام بإنجازها فى مدينة «العرابة المقدسة» لأجل الآلهة العظام ولأجل عبادة والده «سيتى الأول» المتوفى، وكذلك يضع أمامنا بهذه المناسبة تاريخ شباب «رعمسيس» وتتويجه ملكًا على البلاد منفردًا.

وقد بدأ «رعمسيس» بإلقاء درس على رجال بلاطه وموظفيه فى واجبات الابن نحو أبيه وبخاصة إحياء ذكراه بإقامة الآثار له، وأنه لن يكون كأبناء الملوك الآخرين الذين أهملوا آثار آبائهم.

« لوحة كوبام » وباكي

وقد كان من الضرورى لـ «رعمسيس» أن يحصل على الذهب اللازم لتزيين هذه الآثار ونقشها وعمل التماثيل، وبخاصة إذا علمنا أنه قد صنع تمثالاً من الذهب لوالده «أوزير» وقد عهد له والده «سيتي» طريقًا لاستخراج الذهب من مناجمه، هذا فضلاً عما كان يرد منه إلى خزائنه من جزية بلاد النوبة.

«رعمسيس» يصمم على حفر بئر ماء فى «أكيتا»:

ومن خطاب من نائب الملك فى «كوش» نعلم بنجاح المشروع.

حروب «رعمسيس الثاني»

على الرغم من تضحية «رعمسيس الثاني» بجزء كبير من مجهوداته وثروة بلاده فى إتمام المعابد التى لم يكن قد أنجزها والده، فإنه مع ذلك لم يهمل المحافظة على الإرث الذى خلفه له والده – وإن كان ضئيلاً – فى سوريا بعد حروب طاحنة لاستعادة مجد مصر الإمبراطورى فى تلك الجهات، وتدل الأمور كلها على أن «مواتالو» ملك «خيتا» قد استمر على مراعاة شروط معاهدة الصلح التى كانت على ما يقال قد عقدت بينه وبين «سيتى » عندما كان يقوم «رعمسيس» بحكم مصر.

والملاحظ فى ورقة «هارس» ذكر جنود «شردانا» الذين أسرهم جلالته على أنهم أعداء ولكن فى ورقة «أنسطاس» ذكروا مرة أخرى بوصفهم فرقة من الجيش المصرى، وقد عرفنا شخصية هؤلاء القوم الأجانب من منظر على جدار فى مدينة «هابو» وقد كتب فوق الأمير الشردانى «شردانى البحر» وهو يميز عن كل الأمراء الآخرين بالخوذة التى يلبسها المثبتة فيها قرون وشوكة بارزة تنتهى بقرص أو كرة .. وتوجد نظائر هذه الخوذات فى «شردينيا» .

حروب رعمسيس مع التمحو أى اللوبيين:

هناك منظر انتصار «رعمسيس» على اللوبيين فى معبد «بوسمبل» ويلاحظ أنه صورة طبق الأصل من المنظر الذى تركه لنا والده «سيتى الأول» على «معبد الكرنك» .

حروب رعمسيس الثانى فى بلاد النوبة:

وقد صورت فى منظر «بيت الوالي» ومناظر على معبد «أبو سمبل» ومعبد الأقصر، معبد «العرابة» ، «أسوان» «تانيس» ولا نعرف إن كانت هناك وقائع

حربية حدثت فعلاً وغابت عنا تفاصيلها وتواريخها، أم هى مجرد مناظر فخرية لتبرز قوة الفرعون وشدة بأسه وانتشار نفوذه.

حروب «رعمسيس» فى آسيا:

بقى النضال محتدمًا مدة تزيد عن عشرين عامًا، ويمكن تقسيمها ثلاثة أطوار مميزة، ففى الطور الأول، كانت حدود «رعمسيس الثاني» الفينيقية تمتد شمالاً حتى «بيروت» ثم أوغل بعد ذلك حتى نهر «العاصي»، وهناك قابل «خيتا» فى موقعة قادش ولم تكن نتائجها مرضية للجانب المصرى إلى حد كبير، إذ إن «قادش» قد بقيت فى يد «خيتا» بعد الواقعة، والطور الثانى نجد فيه «رعمسيس الثاني» يحارب أهالى «فلسطين» الذين حرضهم «ملك خيتا» على الخروج على مصر، وقد أطفأ «رعمسيس» نار الثورة هناك وعادت «فلسطين» خاضعة للحكم المصرى، أما الطور الأخير، فنجد فيه «رعمسيس» فى بلاد «خيتا» يغزوها فتابع فتوحه حتى وصل إلى بلدة «تونب» وعندئذ خاف ملك «خيتا» على بلاده وأرسل إلى رعمسيس يطلب عقد محالفة دائمة بين البلدين.

موقعة قادش

من بردية «ريفا» وبردية «ساليبه» التى تكمل إحداهما الأخرى نرى الانتصارات التى أحرزها «رعمسيس» على بلاد «خيتا» وبلاد «نهرينا» وبلاد «ارتو» «بدس» ونجد التقرير الرسمى لموقعة «قادش» مكتوب فى سبع نسخ كتبت كلها على جدران المعابد المهمة، أما المصدر الثالث المصرى فهو الصور التى رسمها «رعمسيس الثاني» على جدران المعابد العظيمة مع هذه الوثائق وهى: معبد العرابة – معبد الكرنك – معبد الأقصر – الرمسيوم – و«بوسمبل» .

ويمكن تلخيص المعركة كالآتى: سار «رعمسيس الثاني» فى السنة الخامسة من حكمه، الشهر التاسع، اليوم العاشر نحو (١٧ إبريل سنة ١٢٩٦ ق. م) مجتازًا حدود مصر عند قلعة «ثارو» القريبة من القنطرة الحالية على رأس جيشه الذى كان يتألف من أربعة فيالق، فكان فيلق (آمون) الذى كان تحت قيادته مباشرة يتقدم الفيالق الأخرى، وأما الفيالق الأخرى وهى فيلق «رع»، فيلق «بتاح»،

فيلق «ستخ» فكانت تتبعه على حسب الترتيب، وعلى ما ظهر فإنه قد صدق ما قصه عليه الجاسوسان، وعلى ذلك سار بحرسه فى سرعة خاطفة على بلدة «قادش» وقد كان سيره سريعًا إليها لدرجة أن جيش «آمون» لم يكن فى استطاعته أن يجاريه فى السير إذ لم يكن بصحبته إلا حرسه الخاص، وبدأ الملك الفتى يدرك الخطر المحدق به الذى جلبه عليه طيشه وتسرعه، وعلى أثر ذلك مباشرة أخذ الفارون من فيلق «رع» يهرعون إلى معسكر «رعمسيس» والعدو يطاردهم بعنف وشدة، وقد ساد الهلع وانتشر الفزع والرعب والتفرقة بين رجال فيلق «آمون» فأطلقوا لسيقانهم العنان مولين مدبرين مع الفارين، وبذلك استولى جيش الخيتا على معسكرهم وأخذوا ينهبون ما فيه، وفى هذه اللحظة أظهر «رعمسيس» للملأ عظمته الحقيقية إذ انتهز فرصة جشع جنود العدو فى السلب والنهب، وقبض على ناصية الأمور وهجم على العدو، ولم يكن معه إلا حرسه الخاص – فى أضعف نقطة بشدة بأس وعنف بالغين حتى أنه قذف بهم فى النهر، وكان فى مقدور «رعمسيس» أن يثبت فى ميدان القتال بشجاعته الشخصية حتى وصلت إليه نجدة أشار إليها المتن المصرى «بالمدد» مما جعل كفة ميزان المعركة تميل إلى جانبه (يشار إلى وصول الجنود الشبان).

الثورة فى فلسطين

هب كل أمراء «فلسطين» بالثورات على «رعمسيس» بتحريض من «خيتا» ولذلك اضطر إلى إعادة فتح كل أملاكه الآسيوية من جديد مبتدئًا «بعسقلان» ولدينا على جدران معبد «الكرنك» منظر يمثل الهجوم على مدينة «عسقلان». ثم استولى على «دابور» وبعد حروب دامت أكثر من خمسة عشر عاما مات «مواتالو» ملك «خيتا» أو قتل وخلفه على العرش أخوه «خاتوسيل» وكان سياسيًا قديرًا ففطن فى الحال إلى أن سقوط دولة «متني» قد عرضت حدود بلاده الشرقية لهجوم «آشور» القوية، فعمل على أن تكون علاقاته مع «بابل» علاقة سلم ومهادنة، ثم شرع فى اتخاذ التدابير لإنهاء الحرب بينه وبين مصر.

معاهدة التحالف بين ملك خيتا وبين «رعمسيس الثاني»

مقدمة:

لقد كان لنشر سجلات مملكة «خيتا» التى كشف عنها فى «بوغاز كوي» الأثرى «هوجو فنكر» فى أثناء الحرب العالمية الأولى أهمية عظمى للتاريخ العالمى، إذ جعلت من السهل مقارنة الرواية المسمارية بالرواية المصرية، بالتفصيل للمعاهدة الشهيرة التى أبرمت بين الملك «خاتوسيل» ملك «خيتا» و«رعمسيس الثاني» فرعون مصر، والواقع أن علم الآثار – وما احتواه من حوادث عجيبة – ليس لديه ما يسديه للعالم من مصادفات عجيبة مفيدة خارقة للمألوف أكثر من الكشف فى قلب آسيا الصغرى التى تبعد نحو ألف ميل عبر البحر الأبيض المتوسط عن هذه اللوحات المصنوعة من الآجر التى نقش عليها باللغة والكتابة البابلية نفس المعاهدة التى خلد ذكرها «رعمسيس الثاني» على لوحتين باللغة المصرية القديمة فى معبدى «الكرنك» و«للرمسيوم» «بطيبة».

ونقتطف بعض الجمل والعبارات من المعاهدة «الرسل قد حضروا لعقد معاهدة ومحالفة مع ملك مصر» لن يعتدى رئيس «خيتا» العظيم على أرض مصر أبدًا وبالمثل لن يعتدى الملك العظيم ملك مصر على أرض «خيتا»، كما نصت المعاهدة على تسليم الفارين من المذنبين العظماء وفقرة رقيقة: «آلهة خيتا ومصر شهود فى المعاهدة»، وكذلك «اللعنات على الذين ينقضون هذا العهد والرحمات على الذين يحافظون عليه.

العلاقات بين مصر و«خيتا» بعد المعاهدة

لم تجسر دولة آسيوية على منازلة «رعمسيس» بعد إبرام معاهدته مع «خيتا» القوية السلطان العزيزة الجانب، والواقع أن «رعمسيس الثاني» كان يعد إبرام هذه المعاهدة من جانبه بمثابة نصر لمصر، وزار الحيثيون مصر.

وفى الحق كان العاهلان المصرى والحيثى يحافظان كل المحافظة على المعاهدة

التى أبرمت بينهما، وقد كان من أكبر علامات الود والمصافاة بينهما وحسن النية زيارة ملك «خيتا» لفرعون مصر «رعمسيس الثاني» عند توليه عرش الملك وحمله الهدايا إليه، ثم زواج «رعمسيس الثاني» من ابنة عاهل «خيتا» «خاتوسيل» ما زاد فى رابطة الود بين البلدين.

زواج رعمسيس وبنت رئيس «بختان»

كانت آية فى الجمال لقلب الفرعون الذى أحبها أكثر من أى شيء وبعد ذلك دونوا لقبها بوصفها زوجة الملك العظيمة «نفرو رع» وعندما وصلت إلى جلالته فى مصر أدت كل وظائف الزوجة الملكية، وأتى رسول من «بختان» يحمل هدايا عدة لزوج الملك ثم أتى رسول آخر عندما مرضت الأخت الصغرى لزوج الملك «نفرو رع» يطلبون من الملك إرسال طبيبًا ليفحصها، وفعلاً أرسل طبيبًا إلى «بختان» وشفاها من الأرواح الشريرة.

آثار «رعمسيس» الخالدة

كان «رعمسيس الثاني» أعظم ملك أقام مبان من حيث الفخامة والروعة فى طول البلاد وعرضها.

مبانية فى بلاد النوبة:

(١) **معبد «بيت الوالي»** : وقد عملت من نقوش هذا المعبد – لجمالها وأهميتها – نماذج محفوظة الآن بالمتحف البريطانى.

(٢) **معبد «جرف حسين»** : وتم إهداءه للإلـه «بتاح» رب منف وزوجه «سخمت» وابنهما «نفرتم» .

(٣) **معبد «السبوع»** : وأهداه «رعمسيس الثاني» لكل من الإلـه «آمون» وإلـه الشمس «رع حور أختى» .

(٤) **معبد «الدر»** : وأهداه إلى إلـه الشمس «حور أختي» .

(٥) **معبد «بوسمبل»** : يُعد أعظم بناء ضخم صنعه الإنسان على وجه البسيطة فى زمانه – وقد أهداه بانيه أولاً للإلهين «آمون رع» رب طيبة، «حور

آختي» إلـه «هليوبوليس» وهما الإلهان الرئيسيان فى مصر، ولكن نجد أن الإلـه «بتاح» رب «منف» و «رعمسيس» الثانى نفسه كانا يُقدسان كذلك فيه، وهناك إشارة مهمة إلى استعمال الأسرى الأجانب فى بناء المعبد. وعلى جدرانه نقوش لـ «رعمسيس الثاني» وهو يقدم القربان ويحرق البخور للآلهة «آمون» و «رع» «حور آختي» «بتاح» بعد المرور من البوابة ندخل المعبد المقطوع فى الصخر ويبلغ عمقه نحو ثمانين ومائة قدم وهناك مناظر «رعمسيس» فى عربته يهاجم قلعة سورية، ومنظر وهو يضرب بحربته لوبيا، وهناك موقعة قادش، ومناظر عربات المصريين، «الخيتا» مشتبكة فعلاً فى معركة، ومنظر الفرعون يعقد مجلسًا حربيًا استشاريًا مع ضباطه.

أما واجهة المعبد فيعلوها صف من القردة يتعبدون للشمس المشرقة.

(٦) **معبد «حتحور»** : أقامة «رعمسيس» للإلـه «حتحور»، «نفرتاري» زوجه التى أُلهت مثله.

(٧) **محراب «فرس»** : على الضفة اليمينى للنيل وبه مقصورة صغيرة لحاكم السودان «ستاو» .

(٨) **معبد «سره»** : على مسافة عشرة أيام شمال حلفا.

(٩) فى **«نباتا»** : بنى معبدًا للإلـه آمون.

المعابد الضخمة التى أقامها «رعمسيس» فى القطر المصري

(١) معبد «الكاب» :

أقامه للإلهـة «نخبت» .

(٢) معبد «الأقصر» :

أقامه «أمنحتب الثالث» وأقام «رعمسيس الثاني» أمام البوابة الرئيسية ستة تماثيل ضخمة لنفسه وأمام هذه التماثيل نصب مسلتين من الجرانيت الوردى بمناسبة أحد أعياده الثلاثينية.

أعمال «رعمسيس» فى معبد الكرنك:

نفهم أن الذى رفع بنيان عمد هذه القاعة هو «رعمسيس الأول» على الأرجح وأن ابنه «سيتي» قد نقش عُمدها، ولما اشترك «رعمسيس الثاني» مع والده فى الملك شاركه فى هذا العمل كما يدل النقش الغائر الذى اتخذه «رعمسيس الثاني» طرازًا له، بل نجد أنه فضلاً عن ذلك نسب معظم هذه القاعة لنفسه كما اغتصب الاسم الذى وضعه لها والده، ولكن ذلك لم يحدث إلا بعد موت «سيتى الأول» فقد كان اسم القاعة أولاً «معبد روح سيتى محبوب آمون فى بيت آمون» وبعد موت سيتى محا «رعمسيس» هذا الاسم وجعله «معبد روح رعمسيس محبوب آمون فى بيت آمون».

مقبرة «رعمسيس الثاني» :

وقد حفر «رعمسيس الثاني» لنفسه مقبرة فى وادى الملوك وتعرف برقم ٧ وليس للمقبرة شهرة واسعة مثل قبر والده «سيتى الأول»، أما مومية «رعمسيس» فلم توجد فى قبره بل وجدت فى خبيئة الدير البحرى.

معبد الرمسيوم:

يقع معبد «الرمسيوم» الذى بناه «رعمسيس الثاني» ليكون معبده الجنائزى على الضفة اليمنى من النيل.

معبد «رعمسيس الثاني» بالعرابة:

النقوش التى على الجدار الأمامى تمثل سلسلة من الأقوام الأسرى، أما التى على الجنوب فتمثل مناظر من الحروب التى شنها هذا الفرعون على بلاد «خيتا» كذلك نشاهد قائمة الملوك التى دونها «رعمسيس» .

وهناك مجموعة معابد فى «منف» منها معبد الإله «تحوت» والإلهة «بتاح» ، «بوهول» يمثل «رعمسيس الثاني» وهو الآن فى متحف «فلادليفيا» .

وهناك عدة نقوش فى «جبال السلسلة» وجزيرة «سهيل» ومدينة «الكاب»

فى معهد «أرمنت» وهناك مبانى صغيرة خلّفها رعمسيس فى أنحاء القطر مثل «سرابة الخادم» «أبو قير» والإسكندرية، «القنطرة،» «تل الفراعين» «كوم الأبقعين» ، «كوم الحصن» ، «قنتير» ، «نبيشة» (تل فرعون)، «صفت الحنا» ، «صان الحجر» (تانيس) التى كانت محل عبادة للإلهة «ست» ، «تل بسطة»، «تل الربع » (منديس)، «بهبيت الحجارة» الواقعة جنوبى المنصورة، «تل المقدام» (مركز ميت غمر) وأماكن أخرى عديدة مثل «أهناسيا المدينة» «الأشمونين» «مسطرد» «بهتيم» ، «منشية الصدر» «بنها» «قفط» «الكاب» «جبل السلسلة» .

أسرة «رعمسيس الثاني»

له ثلاث زوجات: «الملكة نفرتارى مرغوت» والملكة «است نفرت» والملكة «مات نفرو رع» وتزوج بثلاث من بناته وهن «بنت عنتا» «مريت آمون» «بيت تاوي» وله ٣٣ ابنًا، ٣٢ ابنة طبقًا لقائمة العرابة.

الموظفون والحياة الاجتماعية والدينية فى عهد «رعمسيس الثاني»

إن حياة القوم الاجتماعية والدينية والسياسية نعرفها من هؤلاء الموظفين والذى يلفت النظر فى هؤلاء الموظفين أنهم كانوا من أسر معروفة فى مصر وقد انحصرت الوظائف فيهم وبخاصة أسرة الكاهن الأكبر «ونفر»

ومن المناظر الطريفة من مقبرة الوزير «باسر» صورة آلهة تتقمص شجرة «وتكون عادة الإلهـة «حتحور» أو الإلهـة «نوت» وتبرز فى قلب الشجرة لتقدم الشراب للمتوفى وزوجه، (والشجرة شجرة الجميز) وأهم ما يلفت النظر فى هذا القبر الصورة التى تمثل المتوفى يتعبد للملك «أمنحتب الأول» وأمه الملكة «أحمس نفرتاري» مقدمًا البخور لهما وقد رسما باللون الأسود علامة على أنهما قد توفيا وأصبحا مثل «أوزير» ورغم عدم العثور على قبر الوزير «نفر رنبت» فإنه ترك بعض آثار قليلة نقش عليها اسمه وأسماء أفراد أسرته، والظاهر أن والده كان من

الطبقة الوسطى وكان يحمل لقب القاضى. أما والدته فكانت تحمل اللقب العادى التى كانت تلقب به كل سيدات الطبقة الوسطى، وهو «ربة البيت» ومن مقبرة الوزير «رع حتب» نعرف مقر وظيفته فى «بر رعمسيس» شرق الدلتا ومن أهم الآثار التى عُثر عليها باسم هذا الوزير لوحة محفوظة الآن فى متحف «ميونخ» إذ يكشف لنا فى صفحة شيقة فى التقاليد الدينية وبخاصة عبادة «رعمسيس الثاني» لنفسه وعبادة الشعب له وهو لا يزال على قيد الحياة.

الكهنة فى عهد «رعمسيس الثاني»

كانت أملاك «آمون» شاسعة وتكاد تكون مستقلة عن أملاك الدولة لدرجة أنها كانت تعد شبه مملكة صغيرة داخل مملكة كبيرة، وكان الكهنة من نفوذ ومقام كريم بين أفراد الشعب المصرى. وإذا علمنا أن تنصيب الكاهن الأول للإلـه «آمون» لا يتأتى حينئذ إلا بوحى الإلـه نفسه، وأن الفرعون كان المنفذ لما يوحى به الإلـه «آمون» عرفنا مقدار ما كان لهذا الكاهن وطائفته من سلطان وجاه فى أنحاء البلاد وبخاصة فى طيبة مقر الملك الدينى.

ولدينا مثال الكاهن «بالنخنسو» الذى أمضى نحو سبعين سنة فى سلك الكهانة وقد رقاه «رعمسيس الثاني» إلى وظيفة كاهن أول، لما لاحظ فيه من فضائل أخرى، ولا يبعد أن مهارته فى فن العمارة، هى التى لفتت نظر هذا الفرعون صاحب المبانى العظيمة، وتنسب إلى «باكنخنسو» بوجه خاص إقامة المسلتين اللتين لا تزالان باقيتين حتى الآن، واحدة منها فى ميدان «الكونكرد» بباريس والثانية فى مكانها الأصلى بالأقصر.

وهناك «رومع - روي» رئيس كهنة آمون بالكرنك فى نهاية عهد «رعمسيس الثاني» والذى تمكن من نقش اسمه وصورته على أحد جدران معبد «الكرنك» وقد كان هذا امتيازًا مقصورًا على الفرعون وحسبه، وتدل النقوش على برجى البوابة الثامنة كانا بمثابة ملحق لسكان الكهنة العظام على الأقل فى عهد «رومع - روي» .

وكان هناك كهنة «آمون» الثانويون وموظفوه فى مختلف الأعمال، وكان هناك

حريم «آمون» ومغنياته، والواقع أن كل المعابد كانت تشمل ضمن موظفيها عددًا عظيمًا جدًا من الموسيقارات والمغنيات وكانت وظائفهن سهلة بسيطة فى ذاتها، إذ كانت تنحصر فى الغناء أو الضرب بالصاجات فى الأعياد، ولا شك فى أن حضورهن كان يزيد فى أبهة المحافل ورونقها.

موظفو معبد «الرمسيوم»

يدل ما لدينا من آثار باقية على أن «رعمسيس الثانى» قد رصد لمعبده الجنائزى الذى أقامه لعبادته هو ولعبادة الإلـه «آمون» موظفين وعمالاً، وحبس عليه الأوقاف الكثيرة وكان هناك كهنة «أوزير» فى العرابة المدفونة وقد عثر على آثار بعد ذلك نعلم منها على وجه التأكيد أن كهنة الإلـه «أوزير» كانوا ينحدرون من نسل «وننفر» الكاهن الأول لـ «آمون» وكان هناك كهنة الإلـه «بتاح» حيث إن عبادة الإلـه «بتاح» كانت منتشرة فى أنحاء البلاد وخاصة أن الأسرة المالكة كانت من أهل الدلتا، وكانت «منف» تُعد مقرًا ثانيًا لهم، وكان إلهـها الأعظم بتاح القديم يعد فى نظرهم من أعظم آلهة الدولة.

ومن مقبرة «أبي» نحات آمون نرى الشادوف، ومنظر غسيل الملابس فنشاهد رجلاً قد أمسك بدلو (الشادوف) وآخر قد وضع إناءً كبيرًا على قطعتين من الحجر فى حين كان آخرون يعصرون الملابس أو يضربونها على حجر ثم ينشرونها لتجف، وهذه ظاهرة نادرة جدًا من المناظر المصرية القديمة، لأن هذا كان من عمل النساء داخل البيوت.

كهنة معابد الفراعنة

لدينا «نفر رنبت» الكاهن الأكبر لمعبد الفرعون «تحتمس الأول» «بانحسي» كاهن تمثال «أمنحتب الأول» فى الردهة الأمامية، وقبره فى جبانة «ذراع أبو النجا» ولدينا بعض مناظر طريفة فى قبره منها منظر ثيران تدرس القمح، كذلك يرى كاهن مطهر يحرث الأرض بزوج من الثيران وخلف الكاهن تسير زوجه

نائرة بذور القمح وراء المحراث من سلة تحملها.

وهناك «خنسو» الكاهن الأول للفرعون «من خير رع» (تحتمس الثالث) وقبره فى جبانة «شيخ عبد القرنة» رقم ٣١ ونقوش هذا القبر لها أهمية عظيمة وبخاصة سلسلة النسب التى دونها على جدرانه ومنها نعلم أن ابنه «وسر منت» كان يشغل منصب الوزارة على ما يظهر فى عهد «مرنبتاح» .

مقبرة «تحوتى محب»: المشرف على مصانع الملابس:

يُعد هذا القبر من أهم الوثائق التصويرية التى فى متناولنا للموازنة بين العهد الأول من الأسرة الثامنة عشرة وبين عهد الرعامسة الأول من حيث العادات والأخلاق والزى والدين، إذ توجد على جدران هذا القبر صور بعض الفتيات الرشيقات اللائى مثلن قائمات بالخدمة فى وليمة، وقد دل الفحص الدقيق أن أجسامهن كانت فى الأصل عارية ثم كسيت فيما بعد، لقد وجدنا فى عهد الدولة الحديثة فتيات صورن بملابس محبوكة تجسم تفاصيل الجسم، كما وجدنا صور فتيات عاريات فى مناظر القبول، ولدينا فى غير هذا القبر مناظر تدل على الخلاعة التى كان يبرزها المثال فى صوره، وهى التى كانت قد انعكست ظلالها على فكره وعقله من جراء الفتوح السورية وما جرت على الفاتحين من أنوع الانهماك فى التهتك والخلاعة.

ومنظر الوليمة فى هذه المقبرة لم يكن من المناظر المألوفة ونرى مواد الوليمة التى كدست على الموائد وقوراير العطور والأباريق، ونرى فتاتين تقدمان كأسين من الشراب وأكاليل من الأزهار، ونرى صفًا للنساء وآخر للرجال، ونرى قارورة من المرمر فيها عطور وسيدة تتقبل عطوراً من قارورة صغيرة تقدمها لها فتاة ونلاحظ الاهتمام بالزينة فنرى سيدة جالسة تحلى نحرها بأكاليل من الأزهار وجارية سوداء تلبس فى أذنيها قرطًا كبيرًا، ويشاهد خلفها جارية أخرى تحمل هذه الأكاليل.

وفى الصف الأسفل نشاهد طائفة من الرجال يتمتعون بشم الرياحين وأمام الأخير منهم على اليمين إبريق جعة وضع على حمالة، ويلاحظ أن الفتيات

القائمات بالخدمة من الأجنبيات.

الفن وإظهار تفاصيل جسم السيدات:

إننا نعلم أن الفنان كانت لا تعوقه الملابس من إظهار تفاصيل جسم السيدات، ونجد أن المثّال فى عصر الرعامسة كان يستر الجسم بملابس واسعة لا يظهر منها ثدى المرأة، ولم تكن محبوكة حتى تكشف عن طيات البطن وعلى ذلك لا يمكن أن نفسر هنا ستر أجسام هؤلاء الفتيات بأنه نوع من الحشمة والاستحياء، ونجد من إقامة حفلات فى مناظر المقابر أنه كان قاصرًا على أفراد الأسرة، ولم يبق لدينا من آلات الطرب والغناء مصورًا على جدران المقابر إلا الضارب على العود.

ونذكر هنا أن الجسم العارى فى حفلات الرقص كان يشاهد عند المصريين منذ الأسرة الخامسة كما يرى فى مقبرة «كادوا» .

المدنية

فى فلسطين كان البدو «شاسو» يقومون بحركات هجرة لا ينقطع نشاطها ونخص بالذكر من بين هؤلاء القبائل قبيلة «إسرائيل» التى وفدت من الشرق واستوطنت إقليم «إفريم» الجبلى وفى لوحة «مرنبتاح» بن «رعمسيس الثاني» المعروفة بلوحة «بنى إسرائيل » يقول: «وإسرائيل قد خربت وليس لها بذرة (أى خلف)» وهذه هى الوثيقة الوحيدة التى جاء فيها ذكر إسرائيل فى النقوش المصرية فى هذا العهد، كما نشاهد منظرًا آخر على جدران معبد «الكرنك» يمثل الفرعون «رعمسيس الثاني» وهو يطأ بقدمه قبائل «شاسو» .

ولكن من جهة أخرى نعرف من الوثائق الأكيدة أنه كان يوجد بجانب هؤلاء القوم والطوائف المعادية أقوام مسالمون، وقد وفدوا على مصر بقصد التجارة أو لرعى قطعانهم وقطنوا الحدود المصرية، ونخص بالذكر من بين البقاع التى استوطنوها «وادى طميلات» الواقع شرق أراضى الدلتا، ومن سفر التكوين نعرف أن اليهود أتوا لمصر لأنه ليس لديهم مرعى.

أما التجارة فكانت بين مصر وبلاد «خيتا» وبلاد «بابل» ومملكة «آشور» وفى مدن فينيقية الساحلية. أما فى فلسطين فقد قامت مصر فيها بنشر ثقافتها ومدنيتها بغيرة وحماس بالغين منذ أقدم العهود، وكانت مصر وقتئذ تملك أسطولاً تجاريًا وحربيًا عظيمًا يمخر عباب البحر الأبيض المتوسط ويرسو فى ميناء عاصمة «رعمسيس» الجديدة التى سماها باسمه «بر رعمسيس» وهو الذى أنشأها وأتم تشييدها. وكان لمصر غير ذلك نشاط آخر فى التجارة البحرية مع موانئ السواحل الآسيوية وعالم بحر «إيجه» ، فقد استمر تصدير الأوانى الفخارية الميسينية بإطراد متزايد فى بلاد «فينيقية» «فلسطين» وانقطعت العلاقات السياسية والتجارية بين مصر وكريت، ولم يأت ذكر بلاد «بنت» فيما لدينا من الآثار حتى الآن.

العناصر الأجنبية فى مصر:

كانت هناك عناصر أجنبية تفد على مصر بلا انقطاع وتقيم فيها بوصفهم أسرى حرب ففى مدينة «بر رعمسيس» عاصمة الملك (قنيتر الحالية) وفى «منف» وغيرها من المدن قد أنشئت أحياء كاملة لأولئك المهاجرين من الكنعانين والفينقين، من أجل ذلك نجد أن الجنس المصرى قد اعتراه تغير مادى باختلاط الدم الأجنبى به، فقد اختلط الدم المصرى بالدم السامى، ولكن على الرغم من هذا الاختلاط فى الدم نجد أن المصرى من جهة أخرى قد تغلب عقليًا وخلقيًا بما له من ثقافة قديمة ومدنية عريقة.

وما جاء فى ورقة «إنسطاس» الأولى يكشف لنا صفحة جديدة فى تطور الثقافة وصلتها بالبلاد المجاورة، وكذلك نجد الآلهة السامية يزداد دخولهم فى زمرة الآلهة المصريين مثل الإله «قادش» وإله الحرب «رشب» والإلهة «عنتا» وكانت هذه الألهة موضع تبجيل المصريين أنفسهم، أما الآلهة «بعل» السامى الأصل فكان موحدًا عند المصريين بالآلهة «ست»، وقد ظهرت كذلك «عشتارت» إلهة الحياة والفزع بصورة واضحة فى تلك الفترة.

التجارة مع آسيا الصغرى:

كان يأتى أثاثًا مطعمًا من بلاد الأموريين ومن بلاد «قدي» أيضًا، وأسلحة من بلاد «خيتا» وخمرًا وفاكهة من بلاد «خيتا» أيضًا، وزيتاً من سهول بلاد سوريا، وكانت ترد «الجعة» من «قدي» والنحاس من «قبرص» والخيل من «سنجار» (بابل) والثيران من بلاد «خيتا» وعبيد شبان من «كركيسيا» .

الإدارة الحكومية فى عهد «رعمسيس» :

يلاحظ تسلط طبقة الجنود على البلاد فى نهاية الأسرة الثامنة عشرة، ونزعهم السلطة من طبقة الموظفين الذين كانوا يسيطرون على كل أعمال الحكومة، كما تم تعيين بعض الأجانب فى وظائف الدولة العالية.

بداية ذكر انتصارات رب مصر:

لقد شيد جلالته لنفسه قلعة أسماها «عظيمة الانتصارات» وتقع بين «زاهي» وأرض الدميرة (مصر) وهى تزخر بالطعام والمؤن وهى مثل «أون» الوجه القبلى (أرمنت) وبقاؤها مثل بقاء «منف» والشمس تشرق فى الأفق منها أو تغرب (ثانية) فيها، وقد هجر كل إنسان بلدته وسكن فى إقليمها، وحيها الغربى هو «بيت آمون» وحيها الجنوبى هو «بيت سوتنخ» والإلهة «عشتارت» فى شرقها، والإلهة «بوتو» فى حيها الشمالى والقلعة التى فيها مثل أفق السماء، وفى هذه المدينة كان يرابط جنود الفرعون ومن بين هؤلاء حرس «شردانا» وقد استغل «رعمسيس الثاني» مناجم «وادى علاقي» الغنية بالذهب كما استغل مناجم شبه جزيرة سيناء.

الفكرة الدينية فى أصل المعبد وتكوينه

إذا فرض علينا أن نتحدث عن العمد النباتية الشكل التى تعد أهم خواص الفن البنائى المصرى فإنا نفكر فى الحال فى تلك العمد المتراكمة فى المعابد التى أقيمت فى الألفين الأخيرين قبل الميلاد، إذ المصريين فى استعمالهم لهذه العمد التى

هى من ابتكارهم وهم الواضعون لفكرتها، كانوا منقادين بميول غريبة بالنسبة لنا لم تخطر على بال مفتن عادى لا علم له بعقائد القوم وديانتهم، فأهم جزء فى المعبد هو قدس الأقداس. ونجد فكرة تمثيل المحراب «بالتل الأزلي» موضحة فى معظم محاريب مصر الشهيرة، وكان كل من نبات البشنين والسقى (البردي) من العناصر الأصلية التى يتألف منها هذا « البراج الأزلي» المهم الذى لا يعتريه التغيير.

نقوش «رعمسيس» وتماثيله فى المعابد الأخرى:

وقد تسلط عليه الصلف وركبه الغرور وحب العظمة بدرجة بالغة مما جعله لا يتورع عن نقش اسمه بطريقته المحببة إليه بحروف غائرة قبيحة.

المعابد المنحوتة فى الصخر:

ازداد نحت هذه المقابر فى الصخر فى عهد الأسرة الثامنة عشرة فى جبانة طيبة.

تصوير المواقع الحربية:

وعن التأثير المباشر الذى حدث فى تصوير المواقع الحربية، وفى مناظر الصيد فى الفن المصرى، عن طريق الفن الكريتى الميكانى (أى المسيني) تدرجًا فى الفن مما أدى إلى ما نشاهده من رسم «سيتى الأول» على جدران معبد الكرنك فى مناظر حروبه فى سلسلة مناظر كل واحد منها على حده.

الفن

أما صناعة نحت التماثيل وصقلها فإنها كانت تتضاءل أمام فن الرسم، ولكن كان يوجد بلا شك فى هذه الفترة بجانب صناعة التماثيل الهائلة عدد عظيم من التماثيل بالحجم الطبيعى للفرعون، ونخص بالذكر منها تمثال «رعمسيس الثاني» الجالس وهو محفوظ الآن بمعبد «توريني» ومن الملاحظ تأثير الفن اللآسيوى على تماثيل «رعمسيس الثاني» من حيث الضخامة.

وفى تانيس ترك «رعمسيس الثاني» لنا تماثيل عدة فى هذه المدينة كشف منها حتى الآن ما يربو على ثلاثة وعشرين تمثالاً، وقد وجد جهة البوابة تمثالان ضخمان من الجرانيت الوردى طول الواحد منهما نحو سبعة أمتار، وقد نقلا ونصبا أمام البوابة وقد هشما طبعًا، وهذان التمثالان يمثلان الفرعون مستندًا بظهره على عمود عريض لابسًا تاج الوجه البحرى وفى يده اليمنى أسطوانة، وكذلك وجد فى هذا المكان ثالوث من الجرانيت يمثل «رعمسيس الثاني» واقفًا بين الإلـه «حور أختي» والإلهـة بتاح ومن الجائز أن هذه المجموعة كانت فى مكانها الأصلى، وكذلك ثالوث آخر وجد منه رأسان واحد للملك والآخر للإلـه «خبري» .

أما تماثيله الأصلية التى وجدت فى هذه البقعة فمنها تمثالان من الثلاثة التى نقلها «برسنتي» إلى المتحف المصرى، وقد وجد فى البيوت التى على حافة ردهة هذا المعبد أغرب تمثال عثر عليه لـ (رعمسيس الثاني) فى تانيس، وهو يمثل هذا الفرعون فى هيئة طفل.

معبد عنتا:

ومعبد الإلـهة «عنتا» الآسيوية الأصل يقع فى الجهة الجنوبية القريبة من المعبد الكبير. ومما يلفت النظر أن وجوه «رعمسيس» فى كل تماثيله فى «تانيس» ليست موحدة، ونلاحظ أيضًا الآلهة «عنتا» «بعل» ،«عشتارت» ، «حورون» وتمتاز الأعمال التى أنجزها «رعمسيس الثاني» بالفخامة والعظمة، وقد كان «رعمسيس الثاني» طوال مدة حكمه يعمل جهد الطاقة فى إنتاج هذا النوع الرخيص من أعمال الفن والصناعات العادية، وعدم الاكتراث بالإنتاج الفنى الراقى مما أدى إلى تدهور الفن تدهورًا ملموسًا.

سخاء الفنان فى استعمال الألوان:

وقد كان الفنان الماهر يسمو أحيانًا فى استعمال الألوان إلى حد الجمال، ومع ذلك نلاحظ أن الصورة رخيصة ومبهرة.

الجعارين:

كانت على جانب عظيم من الأهمية فى تحديد بعض الحوادث التاريخية كما أن الجعارين تمثل الخلق كما يظن أنها تصلح للحماية، ونجد أن اسم الفرعون الحاكم كان ينقش على الجعارين بصفة تعويذة، وكانت المواد المختارة التى تصنع منها الجعارين هى حجر استياتيت المطلى أو من القيشانى، كما كانت تصنع من حجر الدم، والجمشت، والفيروزج، والسام، والفضة، والذهب، واليشب، والبازلت، والزجاج.

الأدب فى عهد الأسرة التاسعة عشرة

والأدب الحديث خلو من الأفكار العميقة والبحوث الفلسفية إلى حد ما، وتعد ورقة «أنسطاسى الأولى» من أورع ما كتب فى الأدب المصرى فى عهد الدولة الحديثة، ويلاحظ استعمال الألفاظ الأجنبية بكثرة والتفاخر بالعلم تتفق مع ميول هذا العصر الأدبية، والملاحظ أن عهد الدولة الوسطى كان عصر قصص ناجح، أما الدولة الحديثة فبعضها تاريخى وبعضها خرافى، ومن القصص الخرافية قصة الأمير المسحور، وقصة الأخوين «أنوب» و«باتا» وقصة المخاصمة بين «حور» و«ست» والتى صيغت فى صورة ملحمة. وهناك الشعر الغزلى.

وما جاء فى ورقة «شستر بيتي» يوضح الحس المرهف والعاطفة الملتهبة مثل «إن المحبوب يهيج قلبى بصوته، وقد جعل المرض يتملك مني» .

وعلى وجه عام نجد أن الأدب فى هذا العصر قد طبع بطابع جديد من حيث الأحاسيس الإنسانية والشعور بالمسئولية الخلقية، ولذلك ظهر نوع جديد من النصائح يربط الحياة الدنيا بالآخرة، هناك أدب الزيارات والتحذير من (الزنا) لأنه جرم عظيم يستحق الإعدام عندما يرتكبه الإنسان.

والحكيم «آني» ينصح ابنه بألا يغتر بالمال، وأنه يجب أن يبتعد عن الشر، ويلفت نظره إلى الطريقة الرشيدة للتعامل من الرؤساء، وكان «أوزير» هو الملجأ

والمعزى للفقراء والمحتاجين.

كان سقوط إخناتون فى نظر أعدائه المنتصرين إعادة للنظام الخلقى القديم وهو العدالة «ماعت» وإقصاء الظلم. ونرى أنه رغم إعادة عبادة آمون لم تختف الأفكار والاتجاهات التى نشأت عنها ثورة إخناتون وهناك التعبير الأبوى عن «رع» وتصفه بأنه الراعى الصالح ومثل هذه الجمل:

«يا «أتوم» الذى خلق الناس «ومن متون أنشوده آمون رع»:

«إنك أنت الواحد الأحد الذى خلق كل الكائنات، وإنك الواحد الأحد الذى صنع كل ما يوجد» ومخاطبة الإلـه أيضًا بالمجيب الدعوات فى المثال الآتى:

«آمون رب الكرنك والإلـه الأعظم فى طيبة والإلـه السامى الذى يسمع الدعاء والذى يأتى عند نداء القانع والمعتز والذى يمنح البائس النفس» .



الجزء السابع



تمهيد الجزء السابع من «موسوعة مصر القديمة»

للعلامة د. سليم حسن

دلت الأبحاث على أن الثقافة المصرية كانت تضرب بأعراقها فى ثقافة أفريقيا وتقاليدها كما هو الحال فى أعين اللوبيين، ومنذ الألف الرابعة قبل الميلاد تطور موقف مصر هذا بالنسبة لجيرانها، وأغلقت الحدود التى كانت مفتوحة بينها وبين البلاد الغربية منها، ومن ثم ابتدأ عصر انفصال مصر عن البلاد القريبة المجاورة لها، وكذلك ابتدأ عصر ثقافة مصرية قائمة بذاتها خلافًا للعصر السابق.

الواقع أن بلاد لوبيا كانت تتألف من قبائل مختلفة أهمها «التحنو»، «التمحو»، «المشوش»، «اللوبيون» وأقربهم لمصر صلة قبيلة «التحنو» التى يسكن أهلها على الحدود الغربية مباشرة. وهؤلاء القبائل كانوا فى نضال مع مصر منذ فجر التاريخ، وآخر حروب شنها المصريون قبل «رعمسيس الثاني» حتى قاموا بغزوة شاملة على أرض الدلتا، وقد شجعهم على ذلك القبائل التى هاجرت من شمالى أفريقيا، وكذلك هجرة أهل البحار الذين كانوا آنئذ ينقضون على بلاد الشرق من كل حدب وصوب، لكن مرنبتاح أوقف الغزاة عند تخوم بلاده بعد أن صدهم خارجها من موقعة فاصلة فى الغرب. أما فى الشرق فيقول فى «لوحة إسرائيل» وفيها هذه العبارة «وإسرائيل قد خربت وانقطعت بذرتها» .

ويناقش دكتور سليم موضوع خروج بنى إسرائيل من مصر والخطأ الذى وقع فيه المترجمون فى عبارة «يام سوف» الذى غرق فيه فرعون وقومه واعتبروه البحر الأحمر أو بحر القلزم بل هو «اليم» الذى يطلق على النيل، «يم الغاب» أو البردى يؤلف جزءًا من بحيرة المنزلة (قنتير الحالية) هى التى خرجوا منها فى عهد «رعمسيس الثاني» أو فى عهد ابنه «مرنبتاح» مولين وجوههم شطر فلسطين.

كانت بوادر الأحوال فى أواخر عهد «مرنبتاح» تنذر بسوء المنقلب لما حل بالبلاد من فقر بسبب نضوب معينها من جراء الحروب الطاحنة، والقلاقل الداخلية بين أفراد أسرة هذا العاهل. إذ لم يكد يختفى عن مسرح الحياة حتى قام

التطاحن على عرش البلاد، وتوالى الفراعنة عليه فى فترات متقاربة بالعنف تارة وبالمؤامرة تارة أخرى، وكان عهد شقاء ومحن أدت بمصر إلى الهاوية وطمع فيها آسيوى غاصب يدعى «إرسو» غزا البلاد واستولى عليها فترة من الزمن إلى أن هب المصريون وعلى رأسهم الفرعون «ستنخت» أحد أبناء مصر الأماجد، فخلص البلاد من حكم هذا الأجنبى واسترد لمصر استقلالها وسلطانها.

ولقد كان حكم «ستنخت» فاتحة عهد جديد لمصر وهو عهد «الأسرة العشرين» بفضل الدم الفرعونى الجديد الذى بدأ يأخذ بزمام الأمور فى البلاد، ويوجه سياستها إلى الطريق المؤدى لاسترداد مجدها الغابر وسلطانها المضيع فى آسيا وأفريقيا. والواقع أننا لا نعلم عن هذا المخلص العظيم إلا القليل الذى على الآثار الباقية له، وما دونه عنه ابنه «رعمسيس الثالث»، الذى يعد بحق من أعظم الفراعنة الذين ساقهم القدر للنهوض بمصر فترة وجيزة من الزمن فقد جعل الحياة تدب فى أوصالها المتداعية وتعيد الروح لجسمها المنحل، ولكنه لم يكد يوارى فى التراب حتى خلف من بعده خلف لم يقووا على معالجة الأمراض المنتشرة فى جميع نواحى جسم الدولة، وأسرعت الأمور بالدولة إلى الهاوية شيئًا فشيئًا إلى أن انحلت عراها، وتسرب الوهن إلى كل جزء من أجزائها، فعادت سيرتها الأولى من الانقسام إلى مصر العليا ومصر السفلى، ثم إلى مقاطعات.

غير أن عهد «رعمسيس الثالث» (١٢٠٠- ١١٦٨ ق. م) الذى كان يعد بمثابة صحوة الموت فى تاريخ مصر. كان فترة رخاء وقوة ومجد، وقد أعد جيشًا عظيمًا قوى الأركان حسن النظام، استطاع فيه أن يتغلب على أعداء البلاد الذين أرادوا أن يجتاحوها من البحر، والذين طمعوا فى استيطانها من الغرب، وأخيرًا استطاع بقوة هذا الجيش المنظم أن يعيد لمصر جزءًا كبيرًا من إمبراطوريتها فى آسيا.

لقد سُجّل على جدران معبد مدينة «هابو» المعارك الطاحنة التى انتهت بفوز مصر على اللوبيين وعلى أقوام البحار وعلى بلاد «كوش» ومن ورقة «هاريس» نعرف حالة البلاد الزراعية ومنتجاتها المعدنية وما فيها من مصانع ومعامل

وكذلك تحدثنا عن تجارة مصر الخارجية وبخاصة اتصالاتها ببلاد «سينا» «بُنت» (بلاد الصومال واليمن) وقد لَـمّح لنا «رعمسيس الثالث» عن حالة الرخاء والأمن فى البلاد حتى أن المرأة تسير فى الطرقات دون أن يعترضها أى فرد من سفلة القوم وأشرارهم، ولكن كان هناك إضرابًا قام به العمال وكانت هناك مؤامرة دبرتها إحدى نساء القصر لاغتيال الفرعون، وكان هناك زيادة نفوذ الكهنة مما أفسح أمامهم الطريق لحكم البلاد.

عهد «مرنبتاح» ونهاية الأسرة التاسعة عشرة

كان عهد «رعمسيس الثاني» العظيم يحمل فى طياته عند نهايته بذور الوهن والضعف والركود، فقامت الثورات فى أنحاء الإمبراطورية المصرية الآسيوية، وقد استنفذت الحروب الطويلة موارد البلاد. وهذا الفقر المادى قد شعرت به البلاد المجاورة، كما فطنت له الممتلكات المصرية فى آسيا وغيرها، وقد زاد الطين بلة أن دولة «خيتا» القوية، التى يرتبط بها وبمصر مصير الشرق، قد انحدرت فى طريق الانحلال والانهيار، ومن المحتمل أن هذا التدهور قد يرجع إلى هجوم جديد قام به أقوام البحر، وحتى بلاد «آشور» التى كانت تعيش فى سلام وأمان مع «خيتا» القوية، أخذ ملكها «توكولتى إنورتا» «١٢٦ - ١٢٣٢ ق. م» يعمل فى مد حدود بلاده على حساب جارته.

وفى المدة الأخيرة من عهد «رعمسيس الثاني» ظهرت حركة هجرة فى بلاد البلقان والبحر الأسود قام بها عدة أقوام وكان أثر سيىء فى الشرق الأدنى.

ولو كان فى استطاعة «رعمسيس الثاني» أن يتدخل فى صد هؤلاء المهاجرين من أقوام البحر لقضى على الخطر الذى يهدد كيان الشرق الأدنى كله.

«مرنبتاح» وحروبه فى لوبيا وأقوام البحار

تولى «مرنبتاح» القيادة العليا لجيش «رعمسيس الثاني» بعد موت إخوته الاثنى عشر، وكانت الأمور فى مصر ذاتها هادئة، ولكن الخطر الذى كان يهدد

البلاد قد أتى من ناحيتين: الأولى من جهة بلاد لوبيا، والثانية من جهة أقوام البحر، أى أن العاصفة كانت تهب من الغرب والشمال. وألف اللوبيون حلفًا مع أقوام البحر الأبيض المتوسط واحتلوا الواحة «البحرية» وخربوا واحة «الفرافرة» وكان الجنود اللوبيون يستخدمون سابقًا فى الجيش المصرى كجنود مرتزقة.

ومنذ منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد اختفت الحدود بين مصر وبين الشرق (آسيا) وأغلقت الحدود التى كانت مفتوحة بينها وبين البلاد الغربية، ومن ثم ابتدأ عصر انفصال مصر عن الأمم الغربية المجاورة لها، وكذلك ابتداء عصر ثقافة مصرية قائمة بذاتها، ومن المهم أن نرى أن سكان غربى مصر الذين كانوا يقطنون على حدودها ليسوا من سلالة واحدة، كان المصرى فى عهد الدولة الوسطى يستعمل كلمة «تحنو» للدلالة على العشائر بيض البشرة ومن بينها قبيلة لوبيا، كما أن أهل الدولة الحديثة كانوا يعبرون عنها باسم «التمحو» وكان الإلـه «عش» سيد بلاد «تحنو» وكان الرجال والنساء يلبسون لباسًا واحدًا مشتركًا.

ولفظة «تحنو» ترجع إلى أصل مصرى ومعناه «البراق» «وقد تعزى هذه التسمية إلى الملابس البراقة التى كان يرتديها القوم» وكانوا يستعملون كيس عضو التناسل، ومن قصة «سنوهيت» نعرف أن التحنو كانوا يقطنون غرب مصر.

وكان سكان «تحنو» يعدون أجانب بالنسبة لمصر، ومن المحتمل أنهم كانوا دائمًا يعدون من أصل لوبى ذوى بشرة بيضاء ويتكلمون لغة بربرية، والتحنو كانوا يعرفون عند المصريين منذ أقدم العهود من الآثار بأنهم اللوبيون فى أوسع معانى الكلمة.

قوم «تمحو» :

وفى زمن الارتباك السياسى الذى حدث فى مصر حوالى نهاية الأسرة السادسة نجد القوم الذين يشكلون نسبة عظيمة من أهل لوبيا يطلق عليهم «تمحو» وهؤلاء الـ «تمحو» هم الذين تتمثل فيهم الثقافة اللوبية، وقد صادفتنا كلمة «تمحو» للمرة الأولى فى النقوش المصرية التى ترجع إلى عهد الملك «ببيى الأول» أحد ملوك الأسرة السادسة، ذكرها لنا العظيم «وني» قائد الجيش الذى

سار لمحاربة قبائل آسيا، وكان جيشه مؤلفًا من فرق مختلفة، من بينها فرقة من قوم «تمحو» .

اللوبيون البيض:

اتفقت الآراء منذ ما كتبه الأستاذ «مولر» عن سلالة «التمحو» ذوى البشرة البيضاء أنهم ينسبون إلى قبائل البربر القاطنين فى شمال أفريقيا، وأنهم لا صلة لهم بسلالة «تحنو» ذوى البشرة السمراء، والعناصر المؤلفة للأقوام اللوبيين هى: عباءة فضفاضة وكيس عضو التناسل وميدعة، ومن الأشياء المحببة عن الأفريقيين: الريشة والجلد والشعر على هيئة (شوشة) وقد ذكر لنا «هيرودوت» أن اللوبيين كانوا يلونون أجسامهم باللون الأحمر، وكان القوس هو سلاحهم الوحيد البعيد المرمى، ولم يكن الرمح أو الحربة معروفان لديهم، أما السيف فكان قاصرًا على قبيلة«المشوش» .

اختلاف الملابس فى لوبيا وأهميته

«التمحو» الذين وجدناهم ممثلين على جدران مقابر «سيتى الأول» يبدون مشابهون للوبيين الذين مثلوا على جدران مقبرة «مرنبتاح» وكذلك نجد بينهم وبين صور مقبرة «رعمسيس الثالث» صلة، غير أنهم يختلفون عن اللوبيين الآخرين فى أنهم بدلاً من لبس كيس عضو التناسل كانوا يلبسون قميصًا قصيرًا.

أصل قوم المشوش وملابسهم:

يقول الأثرى «بروكسن» أن «المشوش» سلالة من اللوبيين الموحدين بقوم «الماساي» وهم الذين قال عنهم «هيرودوت» أنهم كانوا يقطنون بجوار «تونس» وتدخل البحوث على أنهم ذكروا للمرة الأولى فى خطاب المساجلة الهجائية الذى يرجع عهده إلى الفرعون «رعمسيس الثاني» وهو المعروف «بورقة أنسطاسى الأولى» وكذلك ذكر معهم بعض جنود «الشردانا» «القهق» «النوبيين» وقد كانوا يؤلفون فرقة فى الجيش المصرى، وكان الملك «شيشنق» الذى اعتلى عرش مصر

عام (٩٣٠ ق.م) من سلالة «المشوش» وملابس «المشوش» تكاد تكون موحدة بملابس اللوبيين إلا فى شيء واحد، وهو أن اللوبيين كانوا يلبسون تحت الملابس آنفة الذكر قميصًا قصيرًا فى حين أن «المشوش» كانوا يلبسون بدلاً من القميص كيس عضو التناسل.

وكان يعتقد المصريون أن العالم يتألف من أجناس أربعة وهى «رمث» (المصريون) «العامو» (الآسيويون) «النمسيو» (السودان) ثم «التمحو» وهم (سكان الغرب) أما هجرة الأقوام الأفريقية العامة فى مدة ألف سنة فكانت تسير من الغرب إلى الشرق، فالتمحو هم سكان شمال أفريقيا الشقر.

هجرة أقوام البحر الأبيض المتوسط

منذ أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد وفدت من «أوروبا» والبحر الأبيض المتوسط أقوام من الغرب إلى الشرق، وكانت أول موجة وصلت إليه فى أواخر الدولة القديمة، وكانت قد بذرت فى هذه الفقرة أولى العداء بين المصريين واللوبيين، وقد بدأت الهجرة بصورة جدية مستمرة من الشمال الغربى فى عهد الدولة الحديثة فزحفت أقوام كثيرة على وادى النيل، وواجهت مصر فى عهد الأسرتين التاسعة عشرة، والعشرين أخطر الصعاب فى صد هجومهم، وقد كان هجوم اللوبين فى هذا الوقت يسير جنبًا إلى جنب مع الهجرة العظيمة التى كانت قائمة فى ذلك الوقت فى أصقاع شرق البحر الأبيض المتوسط، وهى التى كان يطلق عليها «هجرة أقوام البحر الأبيض المتوسط» وقد جاءت فى نهاية عهد الثقافة «المنوانية» فى «كريت» وفى بلاد اليونان كان قد بدأ الزحف الإغريقى الخاص فى العهد الذى يطلق عليه «الهجرة الدُورية» .

والواقع أن البقاع التى حول البحر الأبيض المتوسط فى ذلك الوقت كانت فى حركة هائلة، ومن المحتمل أن يسلم الإنسان بأن الهجرة «الإليرية» التى كانت متجهة نحو احتلال الأراضى الواقعة حول البحر الإيجى وهى «البلقان» «تراقيا» «وآسيا الصغرى»، وكذلك سيل الهجرة الذى كان يتدفق عن طريق بوغاز «جبل

طارق» وانتشر فى شمال «أفريقيا» يرجع كله إلى هجرة لقوم جدد وفدوا من قبل «أوروبا» ومن المستحيل الآن أن نحدد المكان الذى بدأ منه قراصنة البحر أو أقوام البحر عندما نجدهم يقتحمون «سوريا» و «مصر» .

حروب «مرنبتاح» مع «لوبيا»

من قصيدة عن انتصار «مرنبتاح» يذكر أن بلاد التمحو كُسرت فى مدة حياته، وأدخل الرعب أبد الدهر فى قلب مشوش وأنه الذى جعل «اللوبيين» الذين وطئوا أرض مصر ينكصون على أعقابهم، وكان الأمير اللوبى المسمى «مريى بن دد» قد ألف حلفًا معاد لمصر فى السنة الخامسة من عهد الملك «مرنبتاح» فى بلاد تحنو، ويقول متن «الكرنك» الكبير فى السطر الثانى والعشرين «وقد أتوا إلى مصر ليبحثوا عن طعام بطونهم» إن الغرض من هجومهم هو البحث عن مواطن جديدة، ووسائل للحياة التى نضب معينها فى بلادهم، وقد هاجمهم مرنبتاح وقتل نحو ٦١١١ رجلاً.

أما أقوام البحر فبلغ عدد قتلاهم نحو ٢٣٧٠ رجلاً وكان مجموع عدد الأسرى ٩٣٦٧ رجلاً وامرأة.

قصة خروج بنى إسرائيل من مصر وأنشودة انتصار «مرنبتاح»

كان أهم ما لفت نظر المؤرخين فى هذه الأنشودة هو ذكر قوم بنى إسرائيل وهذه العبارة هى «وإسرائيل قد خربت وانقطعت بذرتها» وقد اتفقت آراء المؤرخين على أن خروج بنى إسرائيل قد حدث فى عهد الفرعون مرنبتاح، فيقول الأستاذ «نافيل» : «إنى لا أزال مسلمًا بوجهة النظر التى أدلى بها لبسيوس عن موضوع خروج إسرائيل وهى التى يقتفيها معظم الأثريين أن مضطهد اليهود هو «رعمسيس الثاني» الذى كان حكمه الطويل بداية انحلال الإمبراطورية المصرية، وأن الفرعون الذى ينسب إليه خروج بنى إسرائيل هو ابنه «مرنبتاح» والنقش الذى يشير إلى خروج إسرائيل نجد فيه الإشارة إلى مخصص يدل على أنهم «قوم»

وخروجهم من مصر يمثل فى صورة طرد قوم بإرادة الفرعون لا هربًا منه.

ملحوظة: حاول الدكتور سليم أن يفسر نص التوراة ((ومد((موسى)) يده على البحر فأرسل الرب على البحر ريحًا شرقية شديدة طول الليل حتى جعل البحر جفافًا، وانشق الماء)) (راجع الخروج ١٤- ٢١) ويقول ((ويلاحظ أن الطريق من بلطيم حتى برج البرلس تغطى بالماء عندما يهب الهواء غربًا ثم تصبح جافة عندما يهب الهواء من الشرق، ويمكن الإنسان أن يسير عليها بالعربة))

آثار ((مرنبتاح))

وجدت موميته فى مقبرة ((أمنحتب الثاني)) عام ١٨٩٨ ولدينا قطعتان من الاستراكا عثر عليهما فى ((وادى الملوك)) نقش عليهما متون خاصة بقبر هذا الفرعون.

ومما تبقى من نقوش الإستراكا نعرف بعض أسماء المؤلفين الذين كانت لهم علاقة بإنجاز هذا القبر، ونخص بالذكر منهم ((بانحس)) الوزير، ((ثاي)) مدير المالية، وقد كانت أدوات التحنيط يؤتى بها فى مكان خاص بالقرب من القبر حتى تتم عملية التحنيط بجوار مكان الدفن نفسه.

ويقع معبد ((مرنبتاح)) الجنائزى فى شمال معبد ((أمنحتب الثالث)) على حافة الصحراء وقد قلد النظام الذى اتخذه والده فى بناء معبده الجنائزى وهو المعروف باسم الرمسيوم، ولأن ما تم فى نهاية عصر ((رعمسيس الثاني)) من فن كان ضئيلاً إلى حد كبير فلما تولى ابنه ((مرنبتاح)) لم يجد إرثًا عظيمًا ينفق منه على إقامة المعابد والقصور كما فعل والده فى بادئ حكمه، فكان أتباعه ينقشون اسم ((مرنبتاح)) على كل أثر جميل بعد محو اسم صاحبه بصورة تشمئز منها النفس، ويعافها الذوق السليم ولذلك لا يدهش الإنسان عندما يرى اسم ((مرنبتاح)) فى كل مكان أثرى، وليس له من عمل فيه إلا نقش اسمه، ونجد له بعض التماثيل فى ((أبو قير)) والإسكندرية وتانيس، وتمثال ((بو الهول)) وهو محفوظ الآن ((باللوفر)) نقش عليه اسم ((مرنبتاح)) على الصدر والكتف ويرجع عهده إلى الدولة الوسطى وهناك

تماثيل فى تل بسطة ونبيشة وتل الربع وتل المقدام، وكفر متبول (مركز كفر الشيخ)، وبلبيس وتل اليهودية وهيليوبوليس.

وتم الكشف عن قصر «مرنبتاح» فى منف ومن المحتمل أنه المعبد الذى أشير إليه فى ورقة «قلبور» وفى «كوم العقارب» القريبة من «أهناسيا المدينة» يوجد تمثالان ضخمان لـ «رعمسيس الثاني» وقد كتب «مرنبتاح» اسمه على أصغرهما، كما وجد اسم «مرنبتاح» على محاجر «تل العمارنة» وفى «العرابة المدفونة» وجد لهذا الفرعون ثلاثة تماثيل أوزيرية الشكل، وفى خبيئة «الكرنك» وجد له تمثال من الجرانيت الأسود يبلغ ارتفاعه مترًا وخمسة وثلاثين سنتيمترًا، ونقش «مرنبتاح» فى معبد الأقصر بالقرب من معبد «الرمسيوم» إذ وجد لـ «مرنبتاح» تمثال فى حفرة وهو الآن بمتحف القاهرة، ونحت «مرنبتاح» لنفسه محرابًا فى صخر السلسلة ويظهر أن هذا الفرعون لم يكن له نشاط كبير فى بلاد النوبة.

الموظفون والحياة الاجتماعية فى عهد «مرنبتاح»

من مقبرة الوزير «وسرمنتو» نعرف أنه تزوج من خمس نساء رزق منهن بأسرة كبيرة العدد، ومن مقبرة «انحور مس» الكاهن الأكبر للإلـه «أنحور» نعرف أنه كان موظفًا حربيًا وقد انتقل إلى وظيفة كاهن متقاعد يعيش منها، وتحدث لنا عن فقره فى صباه، أى أنه كان رجلاً بلا وظيفة له، ولا دخل يستولى عليه، والواقع أن افتخار القوم بالعدم من الأمور المألوفة التى جرى عليها العرف فى عهد «تل العمارنة» فكان موضع فخر لأولئك الذين وصلوا إلى مكانة عالية بعد فقر مدقع، ولدينا فى مثال «انحورمس» برهان لا يتطرق إليه الشك فى وجود وظيفة كهانة فى معابد البلاد كانت تعطى معاشًا للموظفين الذين تقدمت بهم السن، كما أن وظيفة الكاهن كان يتم توارثها مثل سائر الوظائف الأخرى، وفى عهد إخناتون كان الاعتماد على الموهبة الشخصية هو أساس تقلد الوظائف أما فى العصور المتأخرة فوضحت الفروق الاجتماعية، فنجد أن فى تقرير الطبيب العالم «وزاحور - سنت» أراد أن ينشئ مؤسسة جديدة للطب فى «سايس» فى حكم «دارا الأول» ملك الفرس الذى فتح مصر إذ يقول: إنى أضع أساسها وكل

تلاميذها من أولاد رجال معروفين فلا يكون فيها ابن فقير.

وفى عهد «مرنبتاح» اضطر الشبان من الكهنة أن ينخرطوا فى خدمة الجيش، ويمكننا القول بأن معظم الكهنة ذوى الزعامة أواخر عهد الرعامسة كانوا فى الأصل موظفين.

وقد أبرز لنا «أنحور مس» فى ترجمته لنفسه بوجه خاص إدارته لأموال معبد الإلـه «أنحور» فقد ملأ خزانته، وجعل مخازن غلاله ملأى بالحبوب بوصفه المشرف.

على المخازن ومن مقبرة «بن إزن» نعرف أنه كان ذا مكانة ممتازة فى بلاط «مرنبتاح» وقد وفد إلى مصر من بلدة بيسان وله لوحتان إحداهما بـ «متحف القاهرة» والأخرى بـ «متحف بروكسل» وهو حامل المروحة على يمين الفرعون، «ساقى الفرعون العظيم للجعة» .

موضوع المشاعل أو المصابيح

وهذه المشاعل توجد فى مقبرة «وسرحات» وقد لوحظ أنها موضوعة بجانب مائدة القربان بين صاحب المقبرة وزوجه، من جهة كاهن كان يقوم بتأدية واجبه بمبخرة وإناء ماء، وتحتوى على مخروطين أبيضين محليين بأشرطة حمر وصفر وموضوعين على عمودين قصيرين مثبتين فى الأرض وبها ثلاث فتائل مشتعلة، والأمر الذى لا يمكن الفصل فيه بصفة قاطعة هو فائدة هذه المخاريط التى أصبحت شائعة الاستعمال فى عهد الأسرة التاسعة عشرة، وهل كانت للاستصباح مثل المشاعل التى معها أو كانت للتبخير، أو أنها كانت تستعمل فى كلتا الحالتين؟ ومن المدهش أنه على الرغم من أنها للإضاءة أو للإيقاد، فإن الكيفية التى كانت توقد بها لم يستدل عليها قط، وفى خلال الأسرة الثامنة عشرة كان تقديم فتيلتين لإقامة الشعيرة يقوم به فى العادة كاهن، أما الشمعدان الذى عثر عليه حديثًا فى مقبرة «توت عنخ آمون» فيشبه المسارج ولا نعلم على وجه التحديد الغرض الأول من هذا الشمعدان الذى يشبه تمامًا الشمعدان الحديث،

أكان للإضاءة أم للبخور؟ ومن مقبرة «أمنحتب ساس» الكاهن الثانى للإله «آمون» فى عهد «تحتمس الرابع» نجد ثلاثة أو أكثر من هذه المصابيح محمولة خلف حامل أوانى القربان، وكان الغرض منها أن تستعمل فى وقت تناول المتوفى وجبته.

والواقع أن المشاعل المخروطية الشكل لم تصدر إلا فى مقبرة «بنبي» خادم مكان الصدق. ولا نعلم إذا كان الغرض منهما هو إحراق القرابين أو الإضاءة. ويلاحظ أن الشعلات المقدمة هنا لا يقدمها كهنة، بل يقدمها أطفال المتوفى بوصفها مظاهر إضافية لهدايا أخرى لا بوصفها شعيرة دينية، وفى مقبرة «أمنمحات» نجد أنه قد استحضرت خمس شعلات للأيام الخمسة الخاصة برأس السنة والتى كانت تعد الأيام التى ولد فيها «أوزير» و«حور» و«ست» و«إيزيس» و«نفتيس» على التوالى وكذلك كانت تجلب شعلتان أخريان ليوم رأس السنة ولعيد اتحاد الأرواح وكذلك الشعلة اليومية.

أخلاق «مرنبتاح»:

تُعد الفترة التى تلت موت «مرنبتاح» فترة اضطراب وقلاقل فى داخل البلاد والواقع أن البلاد بعد عهد مرنبتاح كانت فى حالة إعياء وفقر بالغين فقد كانت قبل عهد مرنبتاح منهكة فى الحروب التى شنها «رعمسيس الثاني» على البلاد المجاورة كما أنه كذلك كان قد استنفذ مواردها فى إقامة المبانى الدينية والتماثيل الهائلة التى ملأ بها البلاد، فلما تولى ابنه عرش البلاد لم يجد من المال ما يمكنه من إقامة آثار لنفسه، فاغتصب آثار أسلافه.

«سيتى مرنبتاح»

تولى الملك بعد «مرنبتاح» ابنه الأكبر «سيتى مرنبتاح» أو «سيتى الثاني» وتدل النقوش التى لدينا أنه كان فى أيام والده هو الولى على العرش. ودلت الكشوف أنه أقام المبانى فى معبد الكرنك بنوع خاص رغبة فى إرضاء كهنة «آمون» وطمعه فى أن ينحازوا إلى جانبه فى ذلك الوقت المضطرب. وقد بنى ثلاثة محاريب متوازية لثالوث طيبة وهم: «آمون» و«موت» و«خنسو». وعند مدخل البوابة السابعة كوّه حُور «سيتى الثاني» مع ثالوث «طيبة» ونقش اسمه عند البوابة العاشرة والبوابة السادسة وفى أماكن أخرى مثل معبد خنسو ومدينة هابو والإسكندرية وتانيس وأطفيح والأشمونين وأرمنت.

ويوجد له عدة تماثيل منها تمثال ضخم يبلغ ارتفاعه ٤.٦٥ مترًا مصنوع من الجرانيت وآخر فى المتحف البريطانى وله تمثال مع زوجه فى المتحف المصرى، وله تمثال فى «تورين»

أسرته:

لم يعرف لهذا الملك إلا زوجة واحدة وهى «تاخعي» وأولاده الذكور وهم «أمنمس» «سبتاح» «ستنخت» وابنته الوحيدة هى «تاوسرت» وقد تولوا الحكم كلهم على التوالى.

قبر «سيتى مرنبتاح» :

يقع على مسافة قريبة من مقبرة «تاو سرت» ابنته، وقد أخفى الكهنة مومياءه فى مقبرة «أمنحتب الثاني» حوالى عام «٩٦٠ق. م» عندما أخذت اللصوص تعبث عبثًا مشينًا بمومياوات الملوك.

الموظفون والحياة الاجتماعية فى عهد «سيتى الثاني»

ذُكر اسم الوزير «مرى سخمت » فى ورقة «بولوني» والوزيرين «بارع

محب›› و››أمنمس›› فى ورقة ››صولت››. والكاهن الأكبر للإلـه آمون فى عهده كان ››محوي›› ووجد اسم ››مري›› فى لوحة منقوشة فى صخور ››بوسمبل›› ويحمل لقب وكيل الثقافة فى عهد ››ستى مرنبتاح›› ››قصة الأخوين المشهورة تنسب إلى ››سيتى مرنبتاح›› ومن عهده وصلت إلينا أوراق كثيرة من البردى وأهمها ››ورقة أنسطاسى الرابعة›››، وورقة أنسطاسى الخامسة›› وكذلك ››ورقة أنسطاسى السادسة›› .

الفرعون ››أمنمس››

يعتقد أن حزب هذا الأمير قد تغلب على حزب ››توسرت›› التى صورت نفسها مع والدها فى قبرها بوصفها وارثة للعرش. ووجدت مقبرة ››امنمس›› فى وادى الملوك.

الملك ››مرنبتاح سبتاح›› و››الملكة توسرت››

والظاهر أن ››مرنبتاح سبتاح›› قد تولى عرش الملك بعد أخيه ››أمنمس›› وتزوج من ››تاوسرت›› التى أقصاها – على ما يظهر حزب ››أمنمس›› عن العرش وقد كان حامل خاتم الملك ››باى ›› قد اشترك فى قلب عرش الملك. ويُعد ››باي›› الموظف الوحيد الذى كان له امتياز فى أن يدفن مع الملوك فى واديهم. وقد قام ››سبتاح›› بدوره بعد أن استتب له الأمر فى محو آثار الملك ››أمنمس›› البغيض، ونقش اسمه واسم زوجه ››تاوسرت ›› بدلاً من اسم ››أمنمس›› .

الموظفون والحياة الاجتماعية فى عهد ››مرنبتاح سبتاح››

كان ››باي›› هو الرجل الذى كان مسيطرًا على زمام الأمور فى عهد كل من ››سبتاح›› ، ››توسرت›› .

الملكة ››توسرت››

لقد وضع ››مانيتون›› الملكة ››توسرت›› فى آخر قائمة ملوك الأسرة التاسعة عشرة، وقال عنها إنها حكمت سبع سنوات – وقد أقامت معبدًا جنائزيًا فى

الشمال من معبد «مرنبتاح» ومن الطريف ما يقال من أن سقوط «طروادة» كان فى عهدها، وهذا دليل -إن صح- له قيمته عن مقدار ما لتواريخ «مانيتون» من الصحة.

ولم تحدثنا الآثار عن كيفية انتهاء حكم هذه الملكة، غير أننا نعلم من نقوش «رعمسيس الثالث» أن البلاد قد وقعت فى فوضى وانحلال وسوء نظام أدت إلى تسلط رجل آسيوى من دم غير ملكى على البلاد وهو «إرسو» إلى أن جاء والد «رعمسيس» العظيم «ستنخت» وأنقذها مما حل بها من مصائب وويلات.

ملحوظة مهمة:

بسبب عدم وجود تواريخ كاملة فيما كتبه الدكتور سليم حسن فى موسوعة مصر القديمة قمت بالاستعانة بهذا الجزء الخاص بتواريخ الملوك والموجود فى كتاب مصر الفراعنة تأليف سير ألن جاردنر لكى يتابع القارئ التسلسل التاريخى لهذه الحقبة رغم وجود بعض الاختلافات البسيطة:

الأسرة التاسعة عشرة بعد رعمسيس الثاني

الاسم	التاريخ الافتراضى قبل الميلاد
مرنبتاح	١٢٢٤- ١٢١٤ (صفحة ٤٩١)
سيثوس الثاني	١٢١٤- ١٢٠٨ (صفحة ٤٩٢)
سبتاح	١٢٠٨-١٢٠٢
توسرت	١٢٠٢-١١٩٤

الأسرة العشرون

الاسم	التاريخ الافتراضي قبل الميلاد
ستت نخته	١١٨٤ - ١١٨٢ (صفحة ٤٩٣)
رمسيس الثالث	١٢١٤ – ١٢٠٨ (صفحة ٤٩٢)
رمسيس الرابع	١١٥١ - ١١٤٥
رمسيس الخامس	١١٤٥ – ١١٤١
رمسيس السادس	١١٤١ - ١١٣٤
رمسيس السابع	١١٣٤
رمسيس الثامن	١١٣٤
رمسيس التاسع	١١٣٤ – ١١١٧
رمسيس العاشر	١١١٧ – ١١١٤
رمسيس الحادي عشر	١١١٤ – ١٠٨٧

ملحوظة مهمة:

يروى «مانيتون» عن الأسرة العشرين بأنها كانت تضم اثنى عشر ملكًا من ديوسبوليس «طيبة» حكموا ١٣٥ عامًا ويجب أن نراعى الظروف الصعبة أثناء الحرب العالمية الثانية وقت كتابة الموسوعة والتى واجهت معظم المؤرخين وقتها.

الأسرة العشرون

«الملك ستنخت» «١٢٠٢ - ١٢٠٠ ق. م»

وصف لنا «رعمسيس الثالث» فى وثيقة تركها لنا تعد من أعظم ما خلفه التاريخ المصرى من حيث الروعة والإتقان والمعلومات القيمة عن حالة البلاد فى نهاية الأسرة التاسعة عشرة، وأعنى بذلك «ورقة هاريس» العظيمة الأولى المشهورة.

الفوضى السابقة:

كانت مصر بدون رئيس وذبح الرجل جاره عظيمًا كان أو حقيرًا، وقد توالى على ذلك وقت فيه سنين عجاف، وكان معهم «إرسو» وهو سورى المنبت، الذى نصب نفسه رئيسًا «على البلاد» ، وقد جعل كل البلاد تابعة له قاطبة، وجمع كل رفاقه، ونهب ممتلكاتهم «أى ممتلكات المصريين» وقد ساووا بين الناس والآلهة فلم يقربوا قربانا فى المعابد.

حكم «ستنخت»:

ولكن عندما جنح الآلهة للسلم ليضعوا البلاد فى مكانها الحق على حسب حالتها العادية، مكنوا ابنهم الذى خرج من أعضائهم أن يكون حاكمًا على كل أرض يملكها عرشهم العظيم، وهو «وسرخع رع ستبن رع مرى آمون» ابن «رع» «ستنخت» «مر رع» محبوب «آمون». وقد كان مثل «خبرى – ست – إله الحرب» فى بطشة وأعاد تنظيم البلاد كلها بعد أن كانت فى فتن، وذبح الخارجين الذين كانوا من أرض مصر، وظهر على عرش مصر.

والواقع أن ما وصل إلينا من آثار لا يحدثنا بأى شيء عن هذا الآسيوى «إرسو» الذى ذكر «رعمسيس الثالث» أنه حكم البلاد كما أنها قد صمتت تمامًا عن الدور الحاسم الذى لعبه «ستنخت» وقد جاء فى ورقة «ڤلبور» أن هذا الفرعون كان له ضيعة فى بلدة «منعنخ» الواقعة على مقربة من «جبل الطير» و«السرارية» والظاهر أنها كانت وقفًا على قربان تمثال له كما يدل المتن على ذلك صراحة.

قبر «ستنخت» :

وقد دفن هذا الفرعون فى مقابر وادى الملوك. والواقع أن هذه المقبرة كانت قد حفرتها فى الأصل الملكة «توسرت» ولذلك نجدها مصورة هى وزوجها الملك «سبتاح» فى ممراتها الأولى. ولكن لم يتقدم العمل طويلاً بها حتى مات سبتاح على ما يظهر، وتزوجت «توسرت» من «سيتى الثالث» وبعد موت هذه الملكة حدث الارتباك والفوضى. وعندما أعاد «ستنخت» النظام والسلام إلى ربوع البلاد بدأ فى نحت قبره رقم «١١» ولكنه غض الطرف عنه، وفضل اغتصاب مقبرة «توسرت» .

وتدل الأحوال على أن الكهنة الذين أخفوا مومياوات بعض الملوك فى مقبرة «أمنحتب الثاني» قد دخلوا قبر «ستنخت» ووجدوا هناك مومياء ظنوا أنها لهذا الفرعون، فوضعوا هذه المومية فى تابوت «ستنخت» وحملوها إلى مخبئها.

والمدهش فى تاريخ الفرعون «ستنخت» أننا لا نعرف كيف أصبح صاحب السيادة فى البلاد ثانية بعد أن غزاها الآسيويون.

«رعمسيس الثالث» «١٢٠٠ - ١١٦٨ ق. م»

تولى «رعمسيس الثالث» الحكم بعد موت والده «ستنخت» الذى لم يمكث على عرش الملك أكثر من عامين كافح فى خلالهما كفاحًا عنيفًا لطرد الغزاة وتثبيت نظم الحكم فى البلاد. وقد جمع فى شخصية تلك القوة الحربية والمقدرة السياسية التى امتاز بها «سيتى الأول» ومن بعده ابنه «رعمسيس الثاني» ووجه الشبه بين أعمال الملوك الأول للأسرتين التاسعة عشرة والعشرين عظيم جدًا، فالأولى أنقذت البلاد من الفوضى الداخلية التى ورطها فيها «إخناتون» وأخلافه كما أعادت للبلاد مجدها المضيع فى الخارج بعض الشيء، والثانية خلصت البلاد من أيدى الأجنبى الغاصب الذى استولى عليها، كما دافعت عن حدود البلاد وأوقعت زحف اللوبيين من الغرب، وأقوام البحر من الشمال والبحر، وقد كان خطرهم عظيمًا جدًا، ولولا شجاعة «رعمسيس الثالث» وحسن تدبيره لحلت

بالبلاد كارثة أعظم ضررًا وأشد خطرًا من غزو الهكسوس الذين اجتاحوا البلاد فى عهد الأسرة الثالثة عشرة.

وعهد «رعمسيس الثالث» حافل بالأعمال العظيمة والأحداث الجسيمة. فقد ناصره الحظ، ورافقه حسن الطالع طوال مدة حكمه إلا السنين الأخيرة التى كدّرت صفوها بعض الأحداث الداخلية المقيتة التى لا تخلو منها بلاد كل زمان ومكان. لقد دون أعماله العظيمة على معبده الجنائزى الذى يعد أضخم بناء لملك مصرى بقى لنا سليماً، وهو المعروف باسم مدينة «هابو» ويعد من أحسن المعابد التى بقيت محفوظة لنا حتى الآن، وترك لنا وثيقتين فذتين، هما المعروفتان باسم «وثيقة هاريس» وقد تولى الملك وارتاحت البلاد وابتهجت بنعمة السلام.

حالة البلاد الداخلية:

كان اللوبيون و«المشوش» يسكنون مصر، ونهبوا مدن الشاطئ الأيمن من «منف» حتى «كربن» «كارابانا» وهم الذين نهبوا مدن «جوتوت» (كانوب) خلال سنين عديدة فى أثناء إقامتهم فى مصر.

حروب «رعمسيس الثالث»

قام بحروب مع بلاد النوبة فى أوائل حكمه، بعد أن أحرز النصر نجده يقود أمامه ثلاثة صفوف من الأسرى السود وبصحبته جنود من المصريين، وفى منظر آخر نجده يقود هؤلاء الأسرى ويقف أمام «آمون» و«موت» فى محراب ويشاهد بين الملك والإلهين الجزية النوبية مكدسة.

الحرب الأولى على اللوبيين:

ترك «رعمسيس الثالث» عن حروبه الأولى مع اللوبيين سلسلة مناظر رائعة ومتنًا مؤرخًا بالسنة الخامسة، والآلهة تلازم الفرعون فى حروبه ضد «لوبي» فالإله «متنو» «إله الحرب» يذبح له الأعداء، والإله «وبوات» يفتح له طريقًا يؤدى إلى النصر، والإله «خنسو» يجعل يديه قويتين على الأقواس التسعة،

والإلـه «موت» تكون له حرزًا سحريًا إلى الأبد، أما الإلـه «آمون» فإنه سيذهب معه إلى مكان الذى يرغب فيه جاعلاً قلبه مبتهجًا فى الأراض الأجنبية.

بعد ذلك نشاهد «رعمسيس» يهجم على اللوبيين الذين فقدوا روحهم المعنوية، وبعد ذلك نشاهد «رعمسيس الثالث» فى شرفه يحتفل بانتصاره على اللوبيين. ثم نرى الضباط المصريين يقودون الأسرى من اللوبيين، فى حين أن الكتبة يحصون عدد الأيدى «أى عدد القتلى» .

إشارة عامة لهزيمة «الآموريين» :

إن رئيس «آمور» قد أصبح رمادًا وبذرته لا وجود لها، وكل قومه أخذوا أسرى، والأعداء من الآسيويين «واللوبيين قبلهم» قد سيقوا كأسرى.

الحرب الشمالية – ضد الفلسطينيين – فى السنة الثامنة من حكمه:

لقد ارتعد أهل الممالك الشمالية فى أجسامهم، وهم الفلسطينيون «بلست» و«الثكر» وهاك وصفًا مختصرًا للمشاهد الخاصة بمعركته مع أقوام البحر البرية حسب ترتيبها على جدران معبد «هابو» .

اللوحة «٢٩» : «رعمسيس الثالث» يوزع المهمات لجنوده لمحاربة أقوام البحر.

اللوحة «٣١» : «رعمسيس الثالث» فى طريقه إلى بلاد «زاهى » لمحاربة أقوام البحر فى عربته ومعه جنود من المصريين والأجانب.

اللوحات «٣٢– ٣٤» : «رعمسيس الثالث» فى موقعة برية مع جيوش أقوام البحر البرية. ساد الارتباك وسوء النظام بين الأعداء فيهربون، ونساؤهم وأولادهم يفرون بأمتعتهم المحملة على عربات ثقيلة تجرها الثيران.

اللوحة «٣٥» : رعمسيس يصطاد أسودًا.

اللوحات «٣٧– ٣٩» : «رعمسيس الثالث» وأسطوله فى ساحة القتال مع أسطول «أقوام البحار» .

لوحة «٤٢» : «رعمسيس الثالث» يحتفل بانتصاره على أقوام البحر.

لوحة «٤٣» : «رعمسيس الثالث» يقدم أسرى من الليبيين وأقوام البحر لثالوث «طيبة» .

لوحة «٤٤» : «رعمسيس الثالث» يقدم أسرى أقوام البحر للإلهين «آمون» و«موت»:«رعمسيس الثالث» يقود ثلاثة صفوف أسرى من أقوام البحر «لآمون» و«موت» ويشاهد الإلـه يمد سيفًا نحو الملك.

الموقعة البرية:

ولم يكد «رعمسيس الثالث» يلتقى بعدوه فى «زاهي» على ما يظهر برًا، حتى انقض على قلب قوات «أقوام البحر» الذين قد ساد بينهم الارتباك، وحل فى صفوفهم سوء النظام، وقد اشترك فى هذه المعركة المشاة المصريون والفرسان والجنود المرتزقة، وبعد قليل أسفرت الواقعة عن هزيمة ساحقة لأقوام البحر ولا نعرف بالضبط مكان هذه المعركة البرية.

الموقعة البحرية:

كان «رعمسيس الثالث» خلال نشوب المعركة يقف على الشاطئ ومعه رجاله يرسلون وابلاً من السهام على العدو المنهزم. وقد انتهت المعركة بالنصر المبين للمصريين، وهى أول موقعة بحرية مصورة عرفت فى التاريخ العالمى ونجد ذكر مصبات النيل مرات عدة.

الحرب اللوبية الثانية:

وقعت فى السنة الحادية عشرة من حكم «رعمسيس الثالث» والواقع أن الغرض من هذا الهجوم كان هجرة حقيقية، وقد اسُتعمل الأسرى عبيدًا لخدمة المصريين.

وقد كُتبت قصيدة عن الحرب اللوبية التى وقعت فى العام الحادى والعشرين من حكم «رعمسيس الثالث» وقد ترك الفرعون عدة مناظر خاصة بحروبه الثانية التى شنها على اللوبيين: منها استعراض حاشيته واشتباكه مع اللوبيين

واقتفاء أثر اللوبيين الفارين. ومنظر فيه يسوق رؤساء اللوبيين أسرى، ويستعرض الأسرى اللوبيين والغنائم، ويلاحظ أن الضباط المصريين يقودون الأسرى، وآخر منظر يقدم فيه الأسرى اللوبيين للإلهين «آمون» وزوجته «موت» .

وبلغ عدد القتلى ٢١٧٥ وكانوا يحصون إما بعدد الأيدى المقطوعة أو بعدد أعضاء الإكثار المبتورة، كما كانت العادة فى الحروب المصرية، أما الماشية فكان عددها عظيمًا جدًا بلغ ٤٢٧٢ رأسًا.

حروب «رعمسيس» فى بلاد الآموريين:

نشاهده فى منظر ينزل من عربته ويهاجم حصنًا وهو على قدميه، يساعده فى ذلك جنود من المصريين ومن «الشر دانا» الأجانب، ثم يلاحظ أن السوريين قد نكسوا حرابهم، وفى آن واحد رفع أحدهم الموقد علامة على الاستسلام، وقد كتب المتن التالى: «كلام نطق به رئيس بلدة أمور الخاسئ وأهل قبيلته فى حضرة الحاكم الطيب. مثل «منتو»: «امنحنا النفس الذى تهبه حتى نستطيع تنفسه عند التحدث بشهرتك مع ابن ابننا فى ذكراك.» «وبعد ذلك نرى «رعمسيس» يحتفل بانتصاره هذا على السوريين وأخيرًا نجد «رعمسيس الثالث» فى نهاية هذه الحروب كلها يقدم لثالوث «طيبة» أسرى يمثلون الحملات التى قام بها فى بلاد «لوبيا» و«آسيا» وعندئذ يخاطبه الثالوث بكلمات طيبة، ثم يرد عليهم الفرعون معترفًا لهم بالجميل.

أعمال «رعمسيس»

ورقة «هاريس» وقيمتها:

خلف «رعمسيس الثالث» للتاريخ العالمى أهم إرث مدون بالقلم على القرطاس تركه ملك فى تاريخ الشرق القديم، وهو ورقة «هاريس» الأولى العظيمة التى تحدثنا عن كل حياته من البداية إلى النهاية، وما قام به من أعمال

عظيمة فى ميادين السياسة والدين والاقتصاد والاجتماع، وقد وقع سوء فهم لها من جانب مؤرخين وأثريين مثل «برستد» و«إرمان» نتيجة أخطاء ما فى الترجمة كما أوضح ذلك فقال «شادل» عندما أشار إلى أن الترجمة الصحيحة «لجاردنر» أثبت خطأ «برستد» و«إرمان»، وهناك تساؤلات عديدة بخصوص هذه الوثيقة مثل: هل كتب هذا التقرير فى نفس المكان الذى وجدت فيه هذه البردية؟ أم كتب بعد ثلاثة أعوام فى الإسكندرية فى مسكن المستر «هاريس» أى عندما اشترى هذه الأوراق «عام ١٨٥٥» من الذى أمر بتأليف ورقة «رعمسيس الثالث» الكبيرة المعروفة بورقة «هاريس الأولي» ؟ وقد أجاب على هذا السؤال الأستاذ «إرمان» بقوله: إنها كتبت بعد موت «رعمسيس الثالث» وأرخت بيوم وفاته. أما «استروف» فيقول: إنها كتبت فى عهد «رعمسيس الرابع» لمعاضدة الكهنة، ولاحظ بعض الباحثين وجود فراغ أكبر متروك لكتابة التاريخ فيما بعد، وتدل شواهد الأمور على أن النسخة النهائية لهذه الوثيقة قد بدئ فى كتابتها فى مرض الفرعون الأخير، وأن التاريخ الذى على الصفحة الأولى هو يوم وفاته.

ويقول «شرني» إن هذه الورقة قد كتبت بخطوط مختلفة مما يدل على أنها لم تكتب كلها فى تاريخ واحد، ومن الملاحظ أن «برستد» لا يفرق بين اسم الملك ولقبه عند استعمالهما فى أسماء المعابد. كما أخطأ بعض المؤرخين بأن فهموا الإنعامات والهبات التى أغدقها «رعمسيس الثالث» على معابد العواصم الكبيرة خلال ٣١ عامًا التى حكم فيها الفرعون مع أنها هبات سنوية فقام بقسمة الرقم على رقم ٣١ فأعطى تقديرًا خاطئًا.

وحيث إن المختصر يهتم بإعطاء حقائق بصورة موجزة تهم القارئ العادى فإننى أرى أن أكتفى - بتعليقى الشخصى بأن الورقة تعطينا صورة واضحة على الثروات الهائلة التى كانت فى أيدى كهنة آمون وهى دليل الفساد والذمم الخربة التى عانت منها البلاد من رجال الدين المنحرفين والذين قفزوا على كرسى الحكم فى الأسرة التالية لهذا العصر وهى الأسرة الحادية والعشرون التى انقسمت فيها البلاد بين «حريحور» رئيس الكهنة فى طيبة و«سمندس» الملك فى تانيس.

وجدت لوحات باسمه فى سرابة الخادم وتانيس وفاقوس وتل اليهودية، وكان ضمن الكشوف فى «هليوبوليس» مقصورة للعجل «منفيس» وجاء فى نقوش «السرابيوم» «بسقارة» ذكر دفن أحد عجول «أبيس» وفى «طهنه» عثر له فيها على لوحة مثل عليها الإلهـان «سبك» و«آمون» وفى «العرابة» هناك قاعدة تمثال واقف يمثل «رعمسيس الثالث» قابضا على محراب صغير يحتوى صورة «أوزير»، وفى «قفط» وجدت له لوحة من الجرانيت مؤرخة بالسنة التاسعة والعشرين ويشاهد عليها واقفًا أمام الآلهة «مين» و«إيزيس» و«حور» ابن «إيزيس» وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى، وفى «قوص» عُثر له لوحة من الجرانيت مثل عليها يقود أسرى، والمتن مؤرخ بالسنة السادسة عشرة من حكمه.

وفى «المدمود» :

وجد لهذا الفرعون لوحتان من الحجر الرملى مؤرختان بالسنة الثانية من حكمه: ومعبد «هابو» لا تزال مبانية شامخة: ومن المناظر المهمة عيد «بتاح سكر» والنقوش التى تُخلد أعماله الحربية. يعد الإلـه «مين» إله الحصاد. وحامى السياح ورواد الصحراء. ونلاحظ أن عيد «مين» كان مشفوعًا بعيد الملك – عيد روح «كا» الملك. وهناك تمثالان للإلهة «سخمت» .

ويضم هذا المعبد المعروف الآن بمدينة «هابو» بين جدرانه قصر الفرعون، ومحرابه، وحصنه ومعبده الجنائزى، ويحيط بكل هذه المبانى سور لا تزال ترى حتى الآن بقاياه، لقد أقامه الفرعون فى «طيبة» الغربية على غرار ما كان يفعله أجداده فى عهد الدولة الحديثة.

مقبرة «رعمسيس الثالث» :

أتم «رعمسيس» مقبرة والده «ستنخت» التى لا يزال فيها طغراء والده،

ودفن فيه، ويمتاز عن بقية مقابر الملوك باحتوائه على عشر حجرات جانبية، ويُعرف بقبر الضارب على العود لأنه وجد بين الرسوم التى على جدرانه صورة ضارب على العود يغنى للألـهتين «أنحور» و«حور آختي» .

ولقد وجد له فى «محاجر السلسلة» لوحات مثل عليها ثالوث طيبة («آمون» و«موت» و«خنسو») وفى «سمنه» وجدت طغراءاته على المعبد يتعبد له موظف.

نهاية عهد «رعمسيس الثالث»

كانت خاتمة الحروب التى خاض «رعمسيس الثالث» غمارها على الأمم المعادية لبلاده، فى السنة الثانية عشرة من حكمه. وتدل كل الظواهر على أنه لم يمتشق الحسام بعدها قط، بل قضى البقية الباقية من سنى حكمه فى هدوء تام وسلام مستمر، وكان عزمه الأكيد وغرضه الوحيد أن يسود النظام الشامل كل أنحاء المملكة، وأن توزع العدالة فى أرجائها دون محاباة إذ كان يرى أن أى فرد يحيد عن الحق، أو يلحق بالناس أذى أو ظلمًا لابد أن يدفع ثمن ظلمه مهما كانت منزلته.

المؤامرة التى دبرت داخل القصر لقتل «رعمسيس الثالث»

وتدل الأحوال على أن آخر عهد «رعمسيس الثالث» بمظاهر السرور كان فى عيده الثلاثين، وتشير الحوادث التى وقعت وقتئذ أنه لم ينل من السعادة القسط الذى كان يسعى لإغداقه على شعبه، لأننا نرى من جهة إضراب العمال يعكر صفو الأمن، كما كانت المؤامرات فى قصره تحاك له من وراء ستار لما كان بين نسائه من تحاسد وتباعد مما عكر صفو شيخوخته الفانية، فانقلبت أيامه الأخيرة المعدودات بؤسًا وجحيمًا، يدفع ثمن تلك الأيام الحلوة التى كان ينعم بها فى قصره بين الغيد الحسان فى منتزهه الذى أقامه لهن فى مدينة «هابو» وتحدثنا وثيقة من الوثائق التى أبقى لنا الدهر منها على صورة مبتورة بعض الشىء أن إحدى

هؤلاء النسوة اللاتى كن من المتمتعات بعطفه وحبه على ما يظهر – وإن لم تكن زوجته الرسمية – قد أخذت تسعى فى أن يكون الملك لابنها وزينت لابنها سوء عملها فاندفع وراء إغرائها، وقام بالمؤامرة على قتل والده حتى يخلو له الجو ويتربع على عرش الكنانة، وساعده على ذلك نفر قليل، غير أن المؤامرة أحبطت وانكشف سرها، ونجا الفرعون بعد أن كان على وشك لقاء حتفه على يد ابنه «بنتاور» وعصابته.

وليس لدينا فى التاريخ المصرى فى الواقع إلا إشارات عابرة عن أمثال هذه المؤامرات وبخاصة تلك التى حيكت فى قصر أحد ملوك الأسرة السادسة، وكان القاضى فيها هو القائد «وني» هذا بالإضافة إلى المؤامرة التى دبرها حرس «إمنمحات» لقتله. ومن ورقة «رولن» وورقة «لي» نعرف أنه لابد للمتآمرين فى داخل القصر من الاتصال بأعوانهم خارجه حتى تحبك المؤامرة، وهنا لعب السحرة دورهم بإضعاف الحراس بتعاويذهم السحرية المكتوبة على تماثيل الشمع، وقد كان مفعولها شديدًا، وبذلك أمكن المتآمرين الذين كانوا داخل القصر وخارجه أن يتصل بعضهم ببعض الآخر، وقد رأينا فيما سبق أن سر المؤامرة قد كشف فى اللحظة الأخيرة، إذ قد عاش الفرعون حتى اقتص بالعدل من الجناة جميعًا.

خاتمة حياته:

لم يعمر «رعمسيس الثالث» طويلاً بعد المؤامرة التى دبرتها «تي» وابنه «بنتاور» الذى كان يريد أن يكون خلف والده العظيم، وعلى أثر خيبة هذه المؤامرة على ما يظهر جمع «رعمسيس الثالث» فى السنة الثانية والثلاثين من حكمه عظماء الجيش والإدارة، وقدم لهم كالمعتاد ابنه ووارثه على العرش «رعمسيس» الذى أصبح فيما بعد «رعمسيس الرابع»، وذلك خوفًا من وقوع مؤامرة أخرى، ووضع فوق رأسه التاج المزدوج، وأجلسه على عرش «حور» وقد وجد مومية «رعمسيس الثالث» فى خبيئة الدير البحرى.

أسرة «رعمسيس الثالث» :

تدل شواهد الأحوال على أن «رعمسيس الثالث» كان له أكثر من زوجتين. وأسماء أولاده وجدوا فى القائمتين اللتين على جدران معبد مدينة «هابو» .

الحياة الاجتماعية فى عهد «رعمسيس الثالث»

لعبت جبانة «طيبة» دورًا مهمًا فى الأوراق البردية التى كشف عنها فى عهد الأسرة العشرين، وهى الخاصة بأحوال معيشة الشعب وما كان يرتكبه من جرائم سرقة، وما يدبرونه من إضرابات، وعن سير الأعمال والمعتقدات الدينية الشعبية.

إضراب العمال فى عهد «رعمسيس الثالث» :

وكان العمال وقتئذ قد أظهروا سخطهم لقلة الجرايات التى تصرف لهم، وقد أرخت هذه الورقة التى يطل عليها «ورقة الإضراب» بالسنة التاسعة والعشرين من عهد هذا الفرعون.

ورغم إضراب العمال بسبب قلة الجراية فإنهم كانوا مخلصين فى عملهم ونجد أن فى رسائل «بوتهآمون» أنه قام بنقل المومياوات الملكية إلى الخبيئة التى أمر كهنة «آمون» العظام بنقلها فيها حفاظًا لها من اللصوص الذين كانوا لا ينفكون يحفرون قبور الفراعنة طلبًا للكنوز، وإقلاق راحة الأموات.

صناعة الكتابة:

كانت من أعلى الصناعات وأحبها إلى المصرى فى ذلك العهد من التاريخ، ولقد كانت الأحوال تستدعى التمسك بها والمحافظة على تعلمها، فضلاً عن أنها كانت تقف المرء على الحياة الاجتماعية والتقاليد كما هى وظيفتها اليوم، فقد كانت - إذا ما قيست بغيرها من الصناعات والمهن - أشرفها وأعلاها.

الصور الهزلية:

والواقع أن شواهد الأحوال تدل على أن الحياة فى مصر فى ذلك العهد كانت

آخذة فى التدهور، وبخاصة بعد الحروب الطاحنة التى قاست خلالها البلاد البؤس والشقاء مما دفع أصحاب الأقلام إلى وصفها بأبشع الصور، كما أخذ الفنانون يصورونها لنا فى صور هزلية رمزية، ولا غرابة فقد كان المصرى ميالاً بطبيعته إلى الرسوم الهزلية، وإنا لنجد فى أحد الأوراق المحفوظة الآن فى «متحف تورين» صورة هزيلة رائعة، مثل فيها فرعون كل الفئران ممتطيًا عربته التى تقودها الكلاب السلوقية، وهو يهاجم بشجاعة وبطش جيشًا من القطط.

إن المصرى كان يهاجم حتى الفرعون نفسه عندما تشتد به الحالة، وتعضه الحروب الطاحنة بأنيابها حتى يسأمها، فيظهر ما تخفيه نفسه بالصور الهزلية المعبرة التى تعبر عما فى ضميره أكثر من الألفاظ.

الحياة الدينية

أصبحت العبادات فى ظاهرها وكأن الإصلاح الذى قام به إخناتون لم يحدث وقد ذكر آنفًا ما كان لدين «إخناتون» المنطوى على عبادة إلـه واحد من أثر عميق فى نفوس القوم وبخاصة ظهور الورع الشخصى، ومناجاة الفرد ربه، واتكاله عليه فى كل أعماله وتصرفاته، والالتجاء إليه فى كل الشدائد التى تنتابه والمصائب التى كانت تنزل به.

وقد ترك لنا «سيتى الأول» على جدران المحاريب الستة التى أقامها فى معبد العرابة للإلهة «أوزير» و«حور» و«إيزيس» و«آمون» و«حر مخيس» و«بتاح» مناظر تمثل الشعائر التى كانت تقام يوميًا للإلـه «آمون» وقد وصل إلينا غير هذه المناظرعن هذه الشعائر اليومية بثلاث برديات دونت عليها الاحتفالات التى كانت تقام يوميًا للآلهة وكلها محفوظة «بمتحف برلين» ويرجع عهدها على ما يظهر إلى الأسرة الثانية والعشرين، وهذه المصادر وغيرها تدل محتوياتها على أنه كانت فى مصر وحدة عظيمة لإقامة الشعائر الإلـهية اليومية للآلهة، وتلخص هذه الشعائر كالآتى:

شعيرة التطهير ويتم التبخير بالمبخرة ويتقدم الكاهن مطهرًا بعبيق البخور للأماكن التى يمر فيها وهو متجه نحو الإلـــه، ثم فتح المحراب، ثم التعبد للإلـه،

وتقبيل الإلـه، ثم فتح المحراب للمرة الثانية، ويُطهر الإلـه بالنطرون ويتم وضع ملابس الإلـه، وتتضمن الشعائر بعض الرموز، فيقوم الكاهن بترديد بعض عبارات ويتم تقديم القرابين بعد تنظيف المحراب من الأرواح الشريرة، وبعد طرد كل روح شرير من المحراب حتى يصبح خاليًا من كل شيء خبيث فيه يغلق الكاهن الباب ويقفل المزلاج. وهناك الكثير من التعاويذ التى يعرفها الكاهن ويعرف مكان ووقت ترديدها.

عباده الثور

أولاً: العجل «آبيس» «حب»:

والواقع أن عبادة الثور كانت مشتركة فى كل تاريخ الجنس البشرى، فالثور يمثل الخصب من ناحيتين: فهو رمز للقوة الكريمة فى نظر العقل البدائى وعلى ذلك أصبح موضوعًا للمنافسة، وهو كذلك من ينابيع الخصب الممتازة فى الزراعة بوصفه سيد الماشية التى تنتج اللحم واللبن والزبد والجلد وبوصفه حارثًا للأرض، وبهذه الكيفية أصبح رمزًا للرياسة والملكية، ولا أدل على ذلك من أننا نرى الملك فى مصر القديمة يوصف بالثور القوى.

وأقدم مقابر معروفة للعجل «آبيس» يرجع عهدها للفرعون «أمنحتب الثالث» فى منتصف الأسرة الثامنة عشرة، ومنذ عهد «رمسيس الثاني» أقيم مدفن عام وهو الذى كشف عنه «مريت»، وهو المعروف باسم السرابيوم «بسقارة»، وكان العجل «آبيس» من الوجهة اللاهوتية يعد إلهًا منتخبًا كما كان يمثل القوة والإكثار. وأنه من الصعب جدا أن يفسر الإنسان العلاقات القديمة التى كانت بين «آبيس» والإلـه «بتاح»، والظاهر أن دائرة نفوذه تتفق مع دائرة نفوذ «بتاح» .

ثانيًا: العجل «منفيس» :

كانت «هليوبوليس» مدينة عبادة الشمس الشهيرة مركزًا لعبادة عجل

مقدس آخر غير «آبيس» ولكنه كان مثله إلـهًا قديمًا للنبات والدور الذى لعبه هذا الإلـه فى خلال التاريخ المصرى فى تقديم القربان برهان كاف لإثبات ذلك. وهذا الثور كان يدعى «مر – ور» «منفيس» وقد ظهر هذا الاسم للمرة الأولى فى عهد العمارنة فى زمن «إخناتون» غير أن شواهد الأحوال تدل على أن عبادته لابد كانت أقدم من هذا العهد بكثير، وقد حرف اليونان اسمه إلى «منفيس» .

ثالثًا: العجل «بوخيس»:

كانت مدينة «أرمنت» تقدس نوعًا من الثيران منذ أقدم العهود، وسيظل موضوع شك إذا كان الفرعون «نخت حور حب» «نقطانب» قد عمل مجهودًا جديدًا لعبادة عجل «مدمود» باسمه الجديد «بوخيس»، أو أن نفس هذا الفرعون قد جهزه بدفن جديد على غرار كل من العجل «آبيس»، والعجل «منفيس» السابقين.

عبادة الكبش:

ومن أهم الحيوانات المقدسة لدى المصريين التى لا تقل فى انتشار عبادتها عن الثور الكبش الذى كان يعبد فى «منديس» فقد حكى أن روحى أوزير و«رع» قد تقابلا فى «منديس» وقد اتحدا سويًا اتحادًا وثيقًا حتى أنهما أصبحا يؤلفان وحدة لا انفصام لها مظهرها «كبش منديس»، وقد ذكر لنا «مانيتون» أن عبادة الكبش كانت معروفة فى مصر كعبادة كل من العجلين «أبيس»، «ومنفيس» منذ بداية الأسرة الثانية.

والاعتقاد الذى لا ريب فيه هو أن كهنة العصر المتأخر، وهم الذين كانوا يعدون أساتذة فى فن التوفيق بين الصفات المقدسة الإلـهية لم يترددوا فى أن يؤلفوا بكل جرأة على حسب القواعد التى تبيح إيقاف الآلهة بأوصاف واحدة فى وقت واحد أن يطبقوها بكل وسيلة تسمح بها عبادة الحيوانات المقدسة التى كانوا يعبدونها فكان لا يوجد لديهم أى مانع فى أن يتصف الكبش بكل الصفات التى كان يتصف بها أى ثور مقدس.

الواقع أن الدين والسحر قد اختلطا اختلاطًا كبيرًا فى عقائدهم حتى أصبح من الصعب الفصل بينهما فى حياة المصرى العادية. ونجد أن الإنسان قد اعترف بأنه فى كل زمان ومكان كان محوطًا بقوى خفية خارجة عن نطاق فهمه. وقد حاول أن يستميل هذه القوى بالتفزع تارة، وبالفن تارة أخرى، والإنسان فى حال بؤسه يلجأ غالبًا إما إلى السحر أو إلى الدين تضرعًا أو خيفة، رغبة أو رهبة.

وقد عرفنا من قبل أن الأساطير الإلـهية كانت مفعمة بمشاهد سحرية، ومن ثم نلحظ كثيرًا ذلك التضامن الوثيق بين الدين والسحر وبخاصة فى المعتقدات الجنائزية، فقد كان مصير المتوفى الهلاك العاجل فى عالم الآخرة المخيف الذى كان صعب عليه أن يخترقه إذا لم يكن تحت تصرفه الصيغ السحرية الثمينة التى كان يؤلفها له السحرة الماهرون، وإذا كان السحر أمرًا ضروريًا لعالم الآخرة، فإنه لم يكن أقل ضرورة فى هذا العالم حيث الأخطار والآلام دائمًا متوفرة.

والسحر ينطوى على الاعتقاد فى قوة خارقة للطبيعة تكون عادة منتشرة ولكنها قابلة فى أحوال خاصة لأن تتركز فى أشخاص معينين، أو أشياء خاصة ... وقد كان المبدأ – على الأقل – أن دور الساحر هو أن يسيطر على هذه القوة، وبعد ذلك يستعملها لفائدته، أو لفائدة الآخرين، والساحر يعمل على إبعاد الشيطان الرجيم، فقد كان الساحر قبل كل شيء عالمًا يعرف التعاويذ.

وكثيرًا ما يختلط الطب بالسحر لما نلحظه من أن الدواء لم يكن يعدو بعض أوصاف سحريًا، وكان «بيت الحياة» «يعنى المدرسة» كلية للطب ومدرسة للسحرة فى آن واحد، وكان السحرة يستعملون تماثيل الشمع ويكتب صيغ سحرية تحدث عند المرأة – مثلاً – أحلامًا غرامية، أو غير ذلك، وكان الظن بأن المصرى – كما يعتقد هو محاط بقوى سحرية، ولذلك كان ميالاً – بطبيعة الحال – إلى الاعتقاد فى الخرافات، وقد حفظ لنا الأدب المصرى البرهان على ذلك، إذ وصل إلينا تقويمات عن أيام السعد وأيام النحس فى حياة القوم.

وكانوا يعتقدون كذلك أن الأحلام تطوف بهم لتقدم إليهم إرشادات ثمينة للمستقبل. ولا أدل على ذلك من قصة «يوسف» وتفسيره للرؤيا معروف لا يحتاج إلى بيان، ويلاحظ أن الأحلام السعيدة كانت تسمى «أحلام أتباع «حور» إلـه الخير»، والأحلام السيئة (أحلام أتباع «ست») وقد كتب هذا العنوان بالمداد الأحمر علامة على الشر. أما الأحلام السعيدة فكانت تكتب بالمداد العادى.

نهاية الجزء السابع من «موسوعة مصر القديمة» تأليف د. سليم حسن

الجزء الثامن

تمهيد: الجزء الثامن من «موسوعة مصر القديمة»

للعلامة د. سليم حسن

خلف «رعمسيس الثالث» ملوكًا ضعفاء فى أخلاقهم وخاملين فى عزائمهم، لذلك يعتبر آخر بطل فى أسرة الرعامسة. والواقع أن هذا الفرعون قد قضى مدة حكمه فى كفاح لإرجاع مجد مصر الضائع، وعزتها التى هانت وتضعضعت من جرَّاء الغارات وغزوات الأمم المجاورة التى كانت تجتاح البلاد من كل الجهات، وبخاصة غارات أهل لوبيا، هذا إلى تفش الفتن الداخلية، وقيام المؤامرات الأسرية داخل القصر الفرعونى، يضاف إلى ذلك الفقر الذى كانت البلاد ترزخ تحت عبئه، وبخاصة بعد أن أصبحت معظم ثروة البلاد على مرِّ الأيام فى يد طائفة من كهنة الآلهة العظام، وبخاصة كهنة الإلـه «آمون» أعظم الآلـهة نفوذًا فى تلك الفترة. ولقد وصلت الحالة المالية من التدهور فى نهاية عهد هذا الفرعون إلى أن أصبح عاجزًا عن دفع أجور عمال الجبانة الذين كانوا ينحتون قبره مما أدى إلى إضرابهم، فكانت أول ثورة عمالية عرفت فى تاريخ العالم، ويكاد يكون تاريخ نهاية الأسرة العشرين قاحلاً مجدبًا بالنسبة لأشخاص الفراعنة، أما الشعب وطبقاته وحياته وأعماله، وصناعته وفنونه، وما لاقاه أفراده من نعيم أوبؤس فليس بالشيء الذى يستحق الذكر أو يلفت النظر بوجه ما.

وإذا كان التاريخ بمعناه الحديث هو علم الاجتماع الوصفى لا تاريخ الملوك وأعمالهم فحسب، فإن لدينا فى نهاية عصر الأسرة العشرين وعهد الأسرة الواحدة والعشرين مادة غزيرة تصور حالة المجتمع وحياته من كل الوجوه، وقد أدى فحص هذه المادة ودرسها إلى الكشف عن الحياة فى تلك العهود، فمن عهد «رعمسيس الخامس» لدينا بردية تصف لنا أخلاق الكهنة، وما كانوا يرتكبونه من جرائم خلقية، ولا نزاع فى أن ما جاء فى هذه الورقة يضع أمامنا صورة حية عن انتشار الرشوة وفساد الأخلاق وانحلال أداة الحكم فى أنحاء البلاد، وبخاصة بين رجال الدين الذين ضربوا الرقم القياسى فى ارتكاب هذه الآثام،

وأشركوا معهم الموظفين الآخرين حتى عم الفساد كل الطبقات.

فى عهد هذا الفرعون نفسه جادت علينا تربة مصر بإضمامة من البردى توضع لنا للمرة الأولى بشيء من التفصيل كيفية مسح الأراضى ووجود مصلحة خاصة بها، وتقسيم الأراضى إلى فئات حسب خصبها، وتوزيع الضرائب التى تجبى بما يتناسب مع نوع التربة من حيث الخصب، كما كانت تراعى العدالة الاجتماعية فى فرض الضرائب، وسيرى القارئ أن المشرع المصرى للضرائب كاد أن يكون مثاليًا فى هذا الصدد، ولا أدل على ذلك من أن أصحاب المليكات الصغيرة كانوا يعفون من الضرائب ويستنبط من مضمون هذه الورقة كذلك أن الرواتب كانت تجبى من كل طبقات الشعب بما فى ذلك أملاك الكهنة والمعابد. هذا إلى أننا قد عرفنا الكثير عن كيفية توزيع الأطيان لأصحاب الملكيات وأن الفرعون لم يكن المالك الوحيد للأرض، بل كانت كل طبقات الشعب يملكون أراضى، حتى العبيد كان لهم أملاك خاصة بهم يتصرفون فيها كيف شاءوا، هذا وتدل شواهد الأحوال على أن الأراضى كانت تورث على وجه عام.

ولدينا من هذا العهد كذلك بردية تحدثنا عن تدوين الوصايا فى هذا العهد وبخاصة وصية امرأة أرادت أن تقسم متاعها بين أولادها ذكورًا وإناثًا قبل موتها، ومحتويات هذه البردية والوثائق الأخرى التى تتعلق بها تكشف لنا عما كانت عليه البلاد من فقر مدقع، أدت إلى اضطرابات وثورات قلبت الأوضاع الاجتماعية والدينية فى البلاد رأسًا على عقب.

وأهم هذه الأوراق وأعظمها شأنًا الأوراق الخاصة بسرقة المقابر والمحاكمات الجنائية التى نتجت عن ذلك، فقد قامت فى عهد «رعمسيس التاسع» موجة فقر أدت بالقوم إلى الكفر بكل شيء حتى بملوكهم الذين كانوا يعبدونهم منذ أقدم العصور فأخذ حراس القبور بالاشتراك مع الطبقة السفلى من الأهلين وبخاصة العمال وكذلك الكهنة أنفسهم يبحثون عن موارد رزق لهم يسدون بها رمق الجوع، ولم يكن أمامهم مورد عذب فياض إلا مقابر أغنياء القوم والملوك التى كانت مستودعًا لحليهم وأثاثهم الفاخر، فأخذوا ينهبون ما فيها مما غلا ثمنه

وخف حمله، وقد بدءوا بمقابر علية القوم نساء ورجالاً ثم انقضوا على مقابر الملوك على الرغم من حراستها والقيام بالمحافظة على ما فيها، فكانت تؤلف عصابات من العمال والكهنة الذين يعرفون مواطن هذه المقابر وبخاصة التى تحتوى على فاخر الأثاث، فنهبوها نهبًا شاملاً كاملاً، ولا أدل على ذلك مما جاء فى ورقة «أبوت» وورقة «أمهرست وليوبولد الثاني» فقد وضعت أمامنا محتويات هذه الأوراق صورة واضحة عما كان فى هذه المقابر من أثاث فاخر وحلى ثمين. والعجيب أن هؤلاء اللصوص كانوا مهرة مدربين على السطو والنهب بطريقة فنيه ورثها عنهم أحفادهم الذين يسكنون فى الجهة الغربية من «طيبة» الآن وقد أدت هذه السرقات إلى نشر الذعر والهلع فى نفوس القائمين بالأمر من رجال الحكومة.

والمحاكمات التى كانت تعقد للوصول إلى الحقيقة قد استعملت طرقًا غاية فى الذكاء وغاية فى الشدة للوصول إلى حقيقة هؤلاء اللصوص وما ارتكبوه من جرائم، فقد كانوا يُحلِّفون المتهم بالأيمان المغلظة عندهم كالحلف بالملك وبالإله كما كانوا يستعملون أنواع التعذيب بالجلد والنفى، وقد كان اللصوص يعترفون أحيانًا بأشياء لم يرتكبوها، والغريب أننا نرى من سير هذه المحاكمات أن معظم اللصوص كانوا من حراس المقابر أنفسهم والكهنة القائمين بالمحافظة على هذه المقابر ولما فرغوا من سرقة ما عرفوه من مقابر فخمة ذات أثاث ثمين انتقلوا إلى سرقة أوان وأثاث المعابد نفسها جهارًا، وقد اعترف بعض اللصوص بأن السبب فى ارتكابهم مثل هذه الجرائم مع ملوكهم هو الفقر والجوع وقلة ما لديهم من متاع، فقد قال بعضهم: لقد سرقت لأسد رمقى. وكان الجنود المرتزقة من اللوبيين يشتركون فى النهب والتخريب. وأدت هذه الحالة إلى قيام ثورة اجتماعية أدت إلى غزو البلاد بطوائف الأجانب.

وظهر رجلاً عصاميًا مغمور الذكر هو «حريحور» مؤسس الأسرة الواحدة والعشرين، وكان من رجال الحرب فى بادئ الأمر كما تدل شواهد الأحوال، فأخذ يجمع السلطة الدينية والحربية والسياسية فى يده، ثم بدأ يسلب الفرعون الجالس على عرش الملك وهو «رعمسيس الحادى عشر» سلطانه شيئًا فشيئًا حتى

استولى على زمام الأمور فى البلاد جملة، وأسس مُلْكًا لنفسه فى «طيبة» غير أنه على ما يظهر لم يكن فى مقدوره أن يقوم بأعباء الأمور وحده فأشرك فى الملك معه «سمندس» فى «تانيس» التى جعلها عاصمة ملكه فى الشمال.

كان الكاهن الأكبر فى طيبة يدعى أنه يمثل «آمون» وأن «آمون» هو الحاكم الحقيقى للبلاد، وكان يحكم البلاد بوساطة الوحى، فكان تمثال الإلـه يقضى فى كل المخاصمات الاجتماعية والدينية فى البلاد، ودلت الأحوال على أن حالة النهب والسلب وبخاصة مقابر الملوك كانت لا تزال شائعة منتشرة، مما جعل الأتقياء من هؤلاء الكهنة يجمعون كل هؤلاء الملوك فى مكان واحد خفى عن أعين اللصوص حتى لا تنتهك حرمتهم، وظل هؤلاء الملوك فى مخبئهم حيث كشف عنهم فى خبيئة الدير البحرى.

عهد «رعمسيس الرابع» «حوالى ١١٦٨ ق. م»

يعتقد المحللون أن كلاً من ورقة «هاريس» وورقة «تورين» قد ألفهما «رعمسيس الرابع» وأن الداعى لتأليفهما غرض سياسى قبل كل شيء، فهناك تفسير لذلك فإن المنح التى فى قوائم ورقة «هاريس» مقصود منها معاضدة الكهنة «لرعمسيس الرابع» وهذه المساعدة كانت ضرورية له بصورة ملحة لتثبيت عرشه المزعزع، ولا أدل على ذلك من قيام ثورة للقضاء على حياة الجالس عليه «رعمسيس الثالث» ولما كانت أحقية وراثة «رعمسيس الرابع» لعرش الملك غير مؤكدة وأن «بنتاور» ربما كان أكثر شرعية لتولى الملك رأى «رعمسيس الرابع» من الأمور السياسية الضرورية أن ينسب تأليف المحكمة التى ألفت لمحاكمة المجرمين إلى «رعمسيس الثالث»، وبهذا الإجراء وبما جاء فى ورقة «هاريس »»، على لسان «رعمسيس الثالث»، أوجد لنفسه الحق فى تولى عرش الكنانة، وبذلك يتضح أن الغرض من هاتين الوثيقتين لم يكن ذا صيغة دينية خالصة عميقة بل كان الغرض منها فكرة سياسية خاصة بمهام الدولة، وقد برهن الأستاذ/ «دى بك»» أن ورقة «تورين» ليست وثيقة قضائية، بل هى مجرد سرد حوادث وقعت فى الماضى عن المحكمة التى أُلفت لمحاكمة المتهمين فى قضية الاغتيال.

آثار «رعمسيس الرابع»

يدل ما لدينا من آثار على أن هذا الفرعون لم يشن أية حروب خارج بلاده، وآثاره الحقيقية قليلة جدًا بالنسبة لمن سبقه من الملوك العظام، هذا إذا ضربنا صفحًا عن الآثار التى اغتصبها من أسلافه وادعاها لنفسه ثم نقش عليها اسمه. وقد عثر على لوحة «رعمسيس الرابع» الكبرى فى العرابة المدفونة مقر عبادة الإلـه «أوزير» رب الآخرة. وهو المعبود الشعبى العظيم الذى يتضرع إليه الناس فى الحياة ويلجأون إليه بعد الممات ليحيوا مثله حياة منعمة فى عالم الآخرة.

وتدل شواهد الأحوال على أن «رعمسيس الرابع» قد نقش هذه اللوحة فى أوائل حكمه، وأهداها إلى هذا الإلـه متأثرًا بموت والده الذى أصبح «أوزير» فى العالم السفلى ثم وصف «رعمسيس الرابع» نفسه بما كان عليه من خلق عظيم، وما انتهجه من عدالة فى معاملة الناس فيذكر لنا أنه كان على اتصال بوالده، كما أنه لم ينكر والدته، فكان يقدم لهما القربان، ثم يقول «ولم أعمل ما يغضب إلـهًا أو يسيء إلى إلـهة، فلم أكسر بيضة خصصت للفقس، إذ كان ذلك يعد إجحافًا، كما أنه لم يأكل البخس، ولم يغتصب مال بائس أو فقير، ولم يقتل ضعيفًا، ولم يصطد سمكًا فى بركة إلـه، ولم يحتبل طيورًا بالشبك، ولم يصوب سهمه على أسد فى عيد الآلهـة «باستت» التى تمثل فى صورة «قطة» وهى التى تعد بنت الشمس، كما أنها من فصيلة الأسد .. وكذلك رأى الإلـهة «ماعت» بجانب والدها «رع» فقدمها لسيدها، ولا يخفى أن «ماعت» تعد طعام الآلـهة وغذاءهم الروحى والمادى » .

وفى اللوحة الثانية للفرعون ذاته والتى وجدت فى العرابة المدفونة، تظهر نزعة جديدة من حيث التعبير والتنسيق فى الأسلوب الأدبى، ولا يحتوى هذا المتن على حقائق تاريخية جديدة، ومما يلفت النظر فى هذا المتن كذلك مخاطبة «رعمسيس الرابع» «لأوزير» وما يرجوه منه من غذاء وشراب، وراحة بال وسعادة ونيل عظيم ليحفظ به حياة الناس والحيوان التى هى من صنعه، ولا غرابة فى ذلك فإن «رعمسيس الرابع» قد وحَّد فى لوحته السابقة الإلـه «أوزير» بالنيل.

بعوث «رعمسييس الرابع» إلى وادى الحمامات:

ترك الفرعون هناك لوحتان ونعرف منها معلومات عن السياسة الداخلية للفرعون، ومعلومات عن نظام الجيش فى عهد الرعامسة. ونستخلص أيضًا بأنه كان ملكًا مشرعًا، وأعاد كذلك النظام إلى بلاده، وقضى على الثورات الداخلية، ثم أخذ فى إقامة المبانى الدينية.

ومن وصف الأعداد الكبيرة فى بعثة «رعمسيس نخت» المكلف بمهمة قطع ونقل الأحجار من المحاجر فى «نخن» فى «وادى حمامات» نَحُس باهتمام الفرعون بهذا العمل .. خصوصًا بأننا نجد مصاحبة وحدة حربية وقوامها خمسة آلاف رجل لهذه البعثة ولا نزاع فى أن هذه البعثة إلى «وادى حمامات» كانت تعد أكبر بعثة أرسلت إلى تلك الجهات حتى الآن، فحتى الشرطة رافقت العمال وهى المكلفة بحل أية مشاكل قد تنشأ بينهم.

معبد خنسو:

استمر «رعمسيس الرابع» فى استكمال هذا المعبد فى الكرنك وكان والده قد بدأ فيه ولم يكن قد انتهى منه.

الكرنك:

وقد نقش «رعمسيس الرابع» بعض مناظر طريفة على عمد قاعة العمد الكبيرة فى معبد الكرنك.

وكتب اسمه فى «الرمسيوم» وفى العرابة. وفى «قفط» عثر لهذا الفرعون على جزء من لوحة مؤرخة بالسنة الثالثة من حكمه. ووجد نقش اسم «رعمسيس الرابع» على محاجر طرة .. ووجدت بجوار الهرم الأكبر قطعة من عمود إسطوانى .. ووجد اسمه أيضًا فى «هليوبوليس» و«تل اليهودية» .

الأوراق البردية من عصر «رعمسيس الرابع»

(١) ورقة مالت:

هذه البردية تحتوى على ثلاث ورقات اشتراها البارون «مالت» من أفراد عمل لبيع آثار «أنسطاسي» عام ١٨٥٧ وقد ترجمها «مسبرو» والورقة الأولى عبارة عن مذكرة عن تقرير النائب «نخت آمون» ليخبر الحكام بالأمتعة التى حصل عليها من يد التابع «تحتمس» بمعبد الإلـه «خنسو» ويتضمن جلود وعصيان وقمصان ودقيق وقمح وأردية ملونة. والورقة الثانية عبارة عن تكليف من المشرف ورجل الشرطة لمساعدة نفس الشخص «نخت آمون» فى الصيد فى المستنقعات. والورقة الثالثة يخاطب الكاتب «بالنخنسو» أحد الرؤساء بخصوص إرسال ألف قطعة من الخشب.

ويجد الباحث فى هذه الرسائل الحكومية كيفية جمع الضرائب، إذ نفهم من محتوياتها أنها كانت تجبى من الفلاحين المزارعين، وكذلك من الصناع كل على حسب ما خصص له، ونفهم أيضًا أن السخرة كانت شائعة، إذ كان على عمال الضيعة أن يقوموا بالصيد لصاحب الضيعة.

(٢) بردية واستراكون خاصت بالوحى فى عهد «رعمسيس الرابع»:

ونفهم بأنهم كانوا يلجأون إلى تماثيل العبادة للحصول على أحكام فى كل أنواع الشئون القضائية وغيرها. ويعلق الدكتور سليم على مسألة الوحى بالآتى: «ويلاحظ هنا أننا نجد فى مصر بقايا هذه العادة حتى الآن، وذلك أنه عندما يسرق شيء من فرد ما يذهب المسروق منه إلى ضريح أحد المشايخ، أو إلى الولى الذى يوجد فى القرية ويزوره، ثم يقدم إليه شكواه ويطلب إليه إعادة ما سُرق منه قائلاً له وهو على أهبة مغادرة ضريحه: «هز المقام يا شيخ فلان». وهذا هو نفس ما كان يتطلبه المصرى القديم من تمثال الإلـه أن يهز رأسه بالقبول».

مقبرة رعمسيس الرابع وتصميم ورقة «تورين»

يقع قبر «رعمسيس الرابع» فى الجهة الغربية من الطريق الرئيسى خارج الحاجز الحالى، وقد كشف عن موميته «لورية» سنة ١٨٩٨ فى مقبرة «أمنحتب الثاني» .

معبد «رعمسييس الرابع» الجنائزى:

لم يكتشف حتى الآن ولكنه جاء فى ورقة قلبور ذكر معبد جنائزى باسم هذا الفرعون، وذكرت لنا ورقة محفوظة بمتحف «تورين» نقل بعض تماثيل هذا الفرعون جاء فيها قد عملت الترتيبات لنقل القمح للعمال، وكذلك مهدت طريق طولها ثلاثون وسبعمائة ذراع وعرضها خمسة وخمسون ذراعًا.

الموظفون والحياة الاجتماعية فى عهد «رعمسيس الرابع»

انتهز كهنة آمون العظام فرصة خلفاء «رعمسيس الثالث» وأخذوا يستولون على السلطة فى البلاد شيئًا فشيئًا إلى أن جمعوا مقاليد الملك فى أيديهم وكانت الخطوة الأولى فى هذا السبيل أن تربع أفراد أسرة من الكهنة على كرسى رياسة «آمون» فى «طيبة» وهذه كانت المرة الأولى فى تاريخ أرض الكنانة التى نجد فيها هذه الوظيفة تنتقل بالوراثة من الأب إلى الابن.

ورئيس هذه الأسرة هو الكاهن الأول «لآمون» المسمى «رعمسيس نخت» فى عهد الفرعون «رعمسيس الرابع»، وقد خلفه كما سنرى من بعد اثنان من أولاده على التوالى وهما «نسآمون»، ثم «أمنحتب»، والأخير هو الذى جاء قبل الكاهن والملك «حريحور» مباشرة، ولقد ترك هذا الكاهن الأول تمثالين عثر عليهما «لجران» فى خبيئة الكرنك، ونقرأ على ورقة البردى التى على حجر هذا الكاهن الأكبر .. بأنه رئيس كهنة كل آلهة «هرموبوليس» «الأشمونين الحالية» وكاتم أسرار الملك، ومدير بيت رب الأرضين «مرى باستت».

وقد كان المهندسون – الكهنة فى عصر الأسرتين الثامنة عشرة والعشرين

يقومون بإرسال البعوث إلى جبل السلسلة للبحث عن الأحجار اللازمة للمبانى التى كانت تقام فى المعابد وغيرها، ولكن «رعمسيس الرابع» فضل إرسال البعوث إلى «وادى الحمامات» .

الرسام حوى:

عاصر كلا من «رعمسيس الثالث» و«رعمسيس الرابع» فى طيبة حيث كان يقوم بأعمال الرسم والتصوير فى جبانة «طيبة»، ويلاحظ وجود صور من نواحى الحياة فى تلك الفترة – كما نشاهد فى مقبرة «أنحور خعوي»، أما النقوش الدينية فتنحصر فى عبادة الملك «أمنحتب الأول» وأمه «أحمس نفرتاري» وتدل النقوش الدينية كذلك على أن عبادة الآلـهة «آمون» و«بتاح» و«أوزير» كانت هى العبادة السائدة فى تلك الفترة، فالإلـه «آمون» كان إلـه الدولة الأعظم، وقد وُحِّد بالإلـه «رع» أقدم الآلـهة وصار اسمه «آمون رع». أما الإلـه «بتاح» فكان بطبيعة الحال فى الآلـهة المتازين فى القسم الغربى من طيبة فى مدينة العمال لأنه رب الصناعات والحرف وكان الإلـه «أوزير» إلـه الآخرة الذى يرجع إليه مصير كل فرد أوملك، وله منزلة خاصة فى نفوس الشعب عامة.

ومما تجدر ملاحظته هنا أننا نجد ظاهرة جديدة بارزة فى عهد «رعمسيس الرابع» وهو توحيد إلـه النيل بالإلـه «أوزير» كما جاء فى قصيدته المشهورة، وهذا أمر طبيعى لأن «أوزير» كان قد مات ثم عاد إلى الحياة ثانية «كالنبات» .

وقد ذكر من بين الآلهة الإلـه «تحوت» كاتب العدالة وهو فى الواقع وكيل الإلـه «رع» ورب العلوم والبلاغة والمواقيت. ونجد بالمقبرة أيضًا فصلاً للقضاء على الثعبان «أبو فيس» الذى كان عدوًا لإلـه الشمس فى سياحته السماوية، وكان المتوفى دائمًا يرغب فى أن يكون أحد أتباع إلـه الشمس فى سياحته من الشرق إلى الغرب ومن الغرب إلى الشرق يوميًا، وقد كان هذا الشرف للملوك فقط غير أنه قد أصبح حقًا مشاعًا لعامة الشعب.

عهد «رعمسيس الخامس» حوالى ١١٥٠ ق. م

تولى «رعمسيس الخامس» بعد وفاة والده «رعمسيس الرابع» وما لدينا باسمه هو اللوحة التى نقشها فى صخور السلسلة الغربية وينسب إلى عصر هذا الفرعون اضمامتان من البردى. والمتهم فى الوثيقة الأولى كان كاهنًا يدعى «بنعا نكوي» تأمر لسرقة محاصيل معبد «خنوم» فى «الفنتين»، أما الوثيقة الثانية فقد وجهت لرئيس العمال وهى خاصة باختلاسات أيضًا.

ضرائب الأطيان فى عهد الرعامسة (حوالى ١٢٩٠ ق. م)

ورقة «قلبور»:

الخاصة بمساحة الأراضى وفرض الضرائب عليها فى عهد الرعامسة، وتاريخ الورقة عام ١٩٢٩م حيث عرض للبيع أحد تجار الأقصر بردية مكتوبة بالخط الهيراطيقى على «المتحف المصري» وقد تردد أصحاب الشأن فى شرائها وبخاصة أن قرر علماء الهيراطيقية أن الورقة ليست ذات قيمة علمية تذكر وأن معظم محتوياتها أرقام حسابية، ولكن بعد مدة شرع الأثرى «كابار» فى شراء هذه الوثيقة من التاجر لحساب متحف «بركلين» الأمريكى من أموال الأثرى «قلبور» وهو الذى سميت الورقة فيما بعد باسمه وموضوعها خارج عن دائرة الموضوعات الدينية.

أهمية الورقة:

والواقع أنه لدينا للمرة الأولى وثيقة ضخمة تبحث فى مساحة الحقول وتقدير الضرائب التى كانت تجبى عليها، والأهمية العظيمة لهذه الوثيقة تنحصر فى وجود البرهان القاطع - الذى تضعه أمامنا - عن الالتزامات المشتركة بين المعابد والتاج وصغار الملاك من جهة، وبين رقابة السلطة المالية الموحدة التى كانت تسيطر على هذه الأنظمة كلها من جهة أخرى.

وقد أنجزت عملية المساحة فى مدة تربو على ثلاثة وعشرين يومًا فى السنة

الرابعة من حكم الفرعون ((رعمسيس الخامس)) ((نحو ١١٥٠ ق.م))

وقد ذكر فى ورقة أمين ما يدل على أن بعض المؤسسات الثانوية التى تضمها جدران معبد ((الكرنك)) الكبير ويرجع عهدها إلى أوائل الأسرة الثامنة عشرة – لا تزال تتمتع بإدارة مستقلة نسبيًا فى منتصف الأسرة العشرين، ومن حقنا أن نقول بأنه إذا كانت المعابد الجنائزية الخاصة بالفراعنة العظماء مثل ((تحتمس الثالث)) و((أمنحتب الثالث)) لا تزال محتفظة بإقامة شعائرها حتى عهد ((رعمسيس الخامس)) فإنه من المنتظر أن تجد لها أملاكًا فى الإقليم عملت مساحته وقدرت ضرائبه إنئذ، وإذا تفحصنا معابد هليوبوليس ومعابد منف والمؤسسات الأخرى فسنجد إدارات مستقلة لها.

والملاحظ أنه كان هناك نائب لكل معبد، وهناك مراقب أيضًا، وهناك ضياع خاصة بتوريد العلف للماشية، ولدينا فقرات خاصة بضريبة الحصاد.

وورقة ((قلبور)) تقدم لنا بضع مئات من أسماء الأماكن التى لم تكن معروفة من قبل، وتضع أمامنا معلومات ثمينة تصور لنا نواحى الريف المصرى، ومن الألفاظ الجغرافية المستخدمة نجد، أنواع التربة ومنها ((الأرض الشاطئية)) وأرض الجزيرة والأرض العالية والأرض البكر والأرض المستعملة.

كما استعمل المساحون أسماء بيوت منفردة أو مبان وسيلة للدلالة على موقع الحقول التى كانوا يقومون بمساحتها.

ومن محتويات ورقة ((قلبور)) نستمد لمحات خاطفة عن حياة كبار الموظفين فى الريف المصرى بوصفهم أفراد راقيين، كما تم ترتيب الأرض المسموحة إلى أرض مقسمة وأخرى ليست ذات تقسيم.

المقاييس والمكاييل:

لدينا خمسة أنواع: ثلاثة مقاييس طولية، واثنان من مقاييس الأحجام، ومقاييس الطول ليس فيها أية صعوبة، وأولها هى الذراع ويساو ٠.٥٢٣ من المتر، وأهم مقاييس الأبعاد هو ((ستات))، ومن المحتمل أن هذه الكلمة كانت

تنطلق فى عهد الرعامسة «سوتي» وهذا المقياس له نظيره عند اليونان «ارورا» «والأرورا تساوى ٠.٦٥ من الفدان» .

ووحدة المكاييل التى كانت مستعملة فى عهد الرعامسة هى «الويبة» لكيل الفاكهة والحبوب والصمغ وغيرها، على حين أن القمح يقدر بالحقيبة «سعة الويبة ٢٠.١ لترًا، والحقيبة ٨٠.٤ لترًا» ونحن نعلم أن «الويبة» بقيت مستعملة حتى العهد البيزنطى.

التقديرات الواقعية للضرائب:

يجب أن نلاحظ هنا أولاً أن تقديرات الضرائب فى الفقرات التى لم تقسم أرضها ثلاث فئات وهى ٥- ٧.٥- ١٠ ويبات، وقد دلت الإحصاءات الحديثة بوجه عام على أن الفدان فى الأرض الخصبة من أراضى الوجه البحرى ينتج ٦ أردب من القمح.

الفقرات ذات التقسيم:

لدينا معلومات تدل على أن هذه الملكيات يحتمل أنها كانت وراثية، ولدينا فقرات تدل على أن بعض الحقول من أراضى الفرعون التى كانت تدعى أرض «خاتو» كانت فيما سبق ملك أفراد من عامة الشعب، ثم استولت عليها الحكومة أو التاج، وكذلك لدينا أمثلة من حقول كان يملكها أفرادًا ثم نقلت بأسماء غيرهم، ولدينا عظماء ذكرت أسماؤهم بين أسماء ملاك الأراضى، ومن الجائز أن الكتاب أنفسهم كانوا يملكون قطع أراضى يزرعها لهم آخرون.

أصحاب الحرف:

كان هناك ملاك الأراضى المزارعين المحترفين، ولدينا بعض الأفراد يطلق عليهم «مراقبين» فى مكان من الورقة، وفى آخر يطلق عليهم لقب مزارعين ومن بين ملاك الأرض ثلاثون من الكُتّاب العاديين، وعدد آخر من الكتاب، ينسبون إلى إدارات أو مؤسسات، فمثلاً نجد كاتبين من الجيش وبعض كُتاب المعابد يدعى واحد منهم «كاتب بيت الإله» وهناك ثمانية مراقبين بصفتهم مُلاك

حقول، وهناك ملاكًا من العبيد، وملاكًا من الكهنة، وهناك نوعًا من الأرض الموهوبة، ويعبر عنها فى المتُن على وجه عام كالآتى «أراض وهبت أو حبست لإلـه أو «لآلـهة» الفرعون تحت إشراف (ثم يذكر لقب المشرف واسمه).

وتقدير ضرائب الفقرات ذات التقسيم تتناول القطع التى مساحتها «أرورا» واحدة فما فوق. وكانت ضرائبها الفعلية تقدير عينًا أى بالغلة، ويشمل المتن الثانى من ورقة «ڤلبور» تعداد أراضى فرعونية تنحصر فى جزء محدد من أراضى مصر الوسطى.

مدير أرض «خاتو» «الأرض الملكية» :

نجد فى المتن (ب) خمسة كهان (خدام الإلـه) فى معبد «إهناسيا» المدينة ويتقاسمون المسئولية، وفى المتن الأول نجد أن معظم العناوين تشير إلى المعابد، ولا يظهر كل مدير على حدة إلا عندما تكون إدارة المعبد مقسمة إلى عدة ضيعات.

معنى أرض «خاتو» :

تعنى عبارة «خاتو» حرفيا ألفاً من الأرض وكان هذا التعبير يستعمل فى الأصل بمثابة مقياس حقول يعادل عشرة أرورات أو قطعة من الأرض مساحتها ١٠ × ١٠٠ = ١٠٠٠ ذراع طولاً فى مائة ذراع عرضًا.

المؤسسات التى تقع على حقولها أراضى «خاتو»:

تدل شواهد الأحوال على أن أرض «خاتو» التى تعرف بأنها ملك الفرعون لم تكن ملكًا له بدون قيد أو شرط، ومما يلفت النظر أنه لا يوجد كاهن محلى معين للإشراف على قطع من أراضى «خاتو» التى كانت تقع فى حقول أى معبد صغير آخر مجاور، وفضلاً عن أراضى «خاتو» التى كانت تقع فى حقول المعبد التى تحت مراقبته فإنه كان مُكلفًا بأراضى أخرى لمعابد أكبر من معبده تقع على بعد منها، وليست ملكًا للملك «أى أرض خاتو» .

مقبرة «رعمسيس الخامس» والسادس:

يحمل هذا القبر رقم (٩) فى مقابر «وادى الملوك»، وقد أطلق عليه الفرنسيون « قبر تقمص الأرواح» وقد أطلق عليه هذا الاسم لوجود صورة تقمص الروح فى الممر الثانى من ممرات هذا القبر. وهذا القبر كان حفر فى الأصل «لرعمسيس الخامس» نحو سنة ١١٣٥ ق. م والظاهر أن خلف رعمسيس السادس قد أعوزته الفرصة فى عصره ليقيم قبرًا لنفسه، فلما توفى دفنه الكهنة فى قبر سلفه، وغيروا طغراء «رعمسيس الخامس» باسم «رعمسيس السادس» .

آثاره الباقية فى أنحاء القطر وخارجه

فى جبل السلسلة نقش «رعمسيس الخامس» فى الصخر لوحة لا تزال باقية حتى الآن وتوجد مسلة صغيرة لهذا الفرعون محفوظة الآن فى متحف «بولونيا» وهى مصنوعة من الحجر الجيرى، كذلك يوجد له عدة تماثيل مجيبة بالمتحف البريطانى، هذا وله بعض جعارين وألواح صغيرة وقلائد كتب عليها اسمه فى مجموعة، «ادواروز» وفى مجموعة «فلندرز بترى» .

وبالإضافة إلى ورقة «قلبور» وصلتنا وثائق مرتبطة بعضها ببعض عن تاريخ أُسرة من العمال، وقد جمعها الأستاذ «شرني» وترجمها وعلق عليها تعليقًا علميًا يدل على سعة اطلاعه ورسوخ قدمه، والوثيقة عبارة عن وصية لامراة تدعى «ند نخت» زوجها الثانى هو أب الأولاد الذين كتبتهم فى الوصية، والورثة الخمسة الذين كتبوا فى القائمتين هم الذين ذكروا فى صلب الوصية.

«رعمسيس السادس»

تولى العرش بعد والده «رعمسيس الخامس» وأهم أثر لدينا من عصر هذا الفرعون يوجد فى بلاد النوبة وأعنى بذلك مقبرة «بننوت» التى أقامها لنفسه فى بلدة «عنتيبة» بوصفه نائب ابن الملك فى «واوات» للفرعون «رعمسيس السادس» وفى خلال إقامته فى بلاد النوبة أقام تمثالاً هناك للفرعون «رعمسيس

السادس›› فى معبد ‹‹الدر›› وقد أرسل له الملك مكافأة على ذلك طبقين من الفضة.

وقد قدم ‹‹بننوت›› أراضى وأثاث معبد لعبادة تمثال سيده ‹‹رعمسيس السادس›› وكانت زوجة ‹‹تاحقا›› مغنية فى معبد ‹‹عنتيبة››، وأقام ‹‹بننوت›› لنفسه مقبرة على مسافة نحو كيلو متر من الجبانة الجنوبية من ‹‹عنتيبة›› ولقد كان المنظر بعد عهد ‹‹رعمسيس الثالث›› أن نرى ملك مصر آخذًا فى الانهيار فى تلك الجهات الجنوبية لكن مقبرة ‹‹بننوت›› التى حفرها فى صخور بلدة ‹‹عنتيبة›› دلت على أن سلطان الفرعون كان لا يزال قويًا فقد كان هذا الموظف نائبًا للفرعون فى ‹‹بلاد واوات›› التى كانت تعد من أعظم منابع الذهب للملك وبخاصة أنه يحمل لقب رئيس رجال المناجم، والمدير العظيم لبيت المالية للملك، وعمدة بلدة ‹‹عنتيبة›› وأخيرًا كان يحمل لقب مدير معبد الإلـه ‹‹حور›› صاحب عنتيبة.

الآثار التى خلفها ‹‹رعمسيس السادس››

له آثار فى سرابه الخادم وهو يتعبد للإلـهة ‹‹حتحور›› ربة الفيروز، وفى ‹‹تل بسطة›› تمثال من الجرانيت الأسود وتمثال صغير من الحجر الجيرى وهو محفوظ الآن ‹‹بالمتحف المصري›› بالإضافة إلى تمثال الجزء الأعلى فيه من الجرانيت الأحمر وهو بالمتحف أيضًا ول، لوحة فى ‹‹قفط›› باسم ‹‹إيزيس›› بنت الفرعون ‹‹رعمسيس السادس›› وعثر ‹‹لجران›› فى خبيئة ‹‹الكرنك›› على تمثالين للفرعون ‹‹رعمسيس السادس›› أهمهما منحوت فى الجرانيت الرمادى وفى ‹‹الكرنك›› كتب اسمه على مسلة ‹‹تحتمس الأول›› الجنوبية فى الأسطر الخارجية، كذلك كتب اسمه على البوابة التاسعة فوق اسم ‹‹رعمسيس الرابع›› .

وفى معبد ‹‹الرمسيوم›› نجد أن طغراء ‹‹رعمسيس السادس›› قد كتب كذلك فوق طغراء ‹‹رعمسيس الرابع›› وفى مدينة ‹‹هابو›› نجد اسم هذا الفرعون منقوشًا على جدران مساكن البوابين، وفى دير ‹‹البخيت›› ‹‹طيبة الغربية وجدت ثلاث قطع عليها نقوش وصور له، وفى ‹‹أرمنت›› نقش ‹‹رعمسيس السادس›› اسمه باللون الأحمر فوق اسم ‹‹رعمسيس الرابع›› وقد وجدت جثته فى مقبرة الفرعون ‹‹أمنحتب الثاني›› .

«رعمسيس السابع»

لقد ظلت مدة حكم هذا الفرعون مجهولة إلى أن كتب الأستاذ «بيت» مقاله العظيم عن تواريخ دولة الرعامسة، وقد ساعده فى الكشف عن مدة حكم هذا الفرعون بالذات ما جاء فى ورقة محفوظة الآن بمتحف «تورين» وهو الخلف المباشر للفرعون «رعمسيس السادس» وأنه حكم على أقل تقدير ست سنوات، والآثار التى تركها هذا الفرعون قليلة ومعظمها مغتصب أو مقام بحجارة، مما يدل على فقر الملوك فى هذه الفترة وقلة مواردهم، وأهم أثر كشف عنه فى منطقة «هليوبوليس» من عهد هذا الفرعون هو مقصورة للعجل «منفيس» غرب قرية «الأطاولة» شمال «هليوبوليس» .

والمقبرة التى تنسب إلى عهد هذا الفرعون كشف عنها «أحمد باشا كمال» سنة ١٩٠٢ وقد نسبها خطأ لعهد «رعمسيس الثالث» وليس هناك ما يلفت النظر فى مناظر المقبرة، ولكنها كلها تقدم لنا صورة واضحة بأن الثور «منفيس» لم يكن إلهًا بالمعنى الحقيقى وقبر هذا الفرعون فى وادى الملوك صغير الحجم وليس فيه من المناظر ما يلفت نظر المتفرج العادى .

الفرعون «رعمسيس الثامن»

إن وجود هذا الفرعون لا يدل عليه فى الآثار المصرية إلا طغراؤه الذى نشاهده فى نقوش «**مدينة هابو**» فى قائمة الأمراء كذلك وجد له ثلاثة جعارين وليس لدينا بطبيعة الحال - أى دليل يبرهن أنه كان خلف الفرعون رعمسيس السابع المباشر على عرش الملك.

الفرعون «رعمسيس التاسع»

حكم نحو سبع عشرة سنة وتعد الأحداث التى وقعت فى عهده من الأهمية بمكان فى تاريخ البلاد الداخلى من حيث الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية، والواقع أنه كشف عن عدة أوراق بردية يرجع بعضها إلى عهده، وهى تميط اللثام

عن الهوة التى سقطت فيها البلاد من الوجهة الخلقية، وسببها الفقر الذى كان ضاربًا أطنابه فى البلاد، ذلك الفقر الذى أدى بالأهلين إلى نهب قبور الموتى من علية القوم، ثم تخطوا ذلك إلى قبور الفراعنة أنفسهم الذين كانوا موضع التقديس والمهابة فى كل زمان ومكان فى تاريخ مصر القديمة، ولكن الفقر والجوع جعلا الناس يكفرون بفراعنتهم، فضربوا باحترامهم عرض الحائط، ونهبوا مقابرهم وقد انحط سكان مصر فى الخارج إلى الحضيض وسنرى مقدار هذا التدهور فى تقرير «ونآمون» وضياع هيبة البلاد فى سورياوكذلك الغزوة التى قام بها جنود «المشوش».

ورقتا «إبوت» و«أمهرست ليوبولد الثاني»

وهما أهم الأوراق الخاصة بسرقة المقابر الملكية، ومتناهما متصلان ببعضهما بالبعض الآخر اتصالاً وثيقًا فالأولى تحدثنا فى تفتيش المقابر الملكية وغيرها وقد كان الحافز لذلك تقارير وصلت إلى السلطة الحاكمة فى نهب بعض هذه المقابر، هذا إلى بعض حوادث خاصة تبحث عن التفتيش الذى أدى إلى إقحام موظفين طيبين مختلفين وبعض عمال الجبانة.

أما ورقة «إمهرست» والجزء الضائع منها الذى عثر عليه حديثًا وأطلق عليه ورقة «ليوبولد الثاني» كما سنتحدث عن ذلك فيما بعد، فقد دون فيها محاكمة بعض اللصوص الذين نهبوا قبر الملك «سبكساف» وزوجه الذى فحص من قبل ووجد أنه قد نهب، وبعد ذلك سلم المجرمون للكاهن الأكبر «أمنحتب» حتى يصدر الحكم عليهم، ولأجل أن نفهم العلاقة بين هاتين الورقتين لابد من فحص محتوياتهما وترجمتها ترجمة حرفية ثم وضع مجمل عن مشتملاتهما معًا.

ورقة «إبوت»:

والحوادث التى جاء ذكرها فى هذه الوثيقة يرجع عهدها إلى السنة السادسة عشرة من حكم الفرعون «نفر كارع» «رعمسيس التاسع» وفى سرقة مقبرة «أمنحتب» تنديد صريح بالعمال لأنه كان معبودهم، وقد فحص كذلك مقابر

للملوك الآخرين فلم يوجد من بينهم قبر نهب إلا قبر الفرعون «سبكساف» وكذلك فحص أربع مقابر لمغنيات بيت المتعبدة الإلـهية ووجدت فيها اثنتان قد عبث بها، أما مقابر الأفراد الذين كانوا أقل أهمية من الذين ذكرنا من قبل فقد فحصت ووجدت مخربة كلها، وقد أبلغت اللجنة التى أرسلت للفحص عن كل ما رأى الأربعة الموظفين العظام وكذلك الأشراف الذين كلفوهم بهذه المهمة، وقد أبرز «بورعًا» عمدة «طيبة» الغربية فى نفس اليوم على ما يظهر قائمة باللصوص الذين كانوا قد سجنوا، وعند سؤالهم اعترفوا بما حدث.

وقرر نحاسًا يدعى«بيخال» أنه ارتكب جرائم سرقة فى مقبرة الملكة «إيزيس» زوج الفرعون «رعمسيس الثالث» أما ورقة «أمهرست» والتى عثر عليها «كابار» كانت فى داخل تمثال صغير من الخشب أهداه الملك «ليوبولد الثاني» ملك بلجيكا «لمتحف بروكسل» وهى التى كملت الجزء المفقود من ورقة «أمهرست» .

ورقة «هاريس» رقم ١٠٠٥٤ بالمتحف البريطانى:

كانت كلها خاصة بالسرقات التى كانت تحدث فى المقابر فى ذلك العهد، وتتضمن تحقيقات واعترافات من اللصوص ولدينا مجموعة ثالثة خاصة بسرقات المقابر.

الورقة رقم ١٠٠٥٣:

يحتوى هذا المتن على شهادة ثمانية لصوص عن تصرفهم فى بعض أشياء أو كميات من النحاس سُرقت من المكان الجميل أو «وادى الملكات» من مقبرة لم تعين، ويلاحظ وجود شهادة اللص «بنتاور» بن «أمنحتب» التابع للجبانة «أى أن اللص من العاملين بالجبانة» وهناك آخرون مثله.

حقائق مدهشة:

نهب المقابر والمعابد فى ذلك العصر كان شائعًا بين سكان طيبة الغربية، واللصوص لم يراعوا قدسية الأماكن، وقد اشترك معهم فى تلك الجرائم كل

طبقات الشعب فى تلك الجهة، وبخاصة رجال الدين الذين كانوا مكلفين بحراسة تلك الأماكن والمحافظة عليها وأن حالة البلاد فى هذه الفترة كانت حالة بؤس وفقر مما دفع سكان «طيبة الغربية» إلى سرقة المقابر حتى يمكنهم أن يقتاتوا مما ينهبونه، بل إن السرقة لم تقتصر على الذهب والفضة والنحاس، بل تعدت إلى سرقة الأخشاب الثمينة وبخاصة من الأبواب، وكان هناك أيضًا لصوص النفائس، وقوائم اللصوص طويلة وتشتمل على رجال من مختلف المهن والحرف.

ومن التحقيقات نعرف أنه كان يستعمل التعذيب لإجبار المتهمين على الاعتراف من ذلك: «وقد ضرب بالعصا ولكنه لم يعرف أن يعترف»

وفى التحقيق مع الكاهن «بوفش» التابع لمعبد موت فقد طلب إليه قسم اليمين بالحاكم فقال: «إذا تكلمت كذبًا فلأشوه، وأوضع على الخازوق» وفى تحقيق مع الكاهن «آمون» قال: «إذا قلت كذبا فلأشوه وأرسل إلى بلاد «كوش» «أى أن النفى للسودان كان ضمن العقاب أو الموت على الخازوق» كما أن هناك طرق أخرى للعقاب مثل جدع الأنف والأذن.

وضمن الأوراق الخاصة بالسرقات والتحقيقات هناك ورقة ماير «أ» وهى محفوظة فى متحف ليفربول وفى التحقيقات مع السماك «باونتوبي» المنتمى إلى أمير طيبة، عندما سئل «كيف عبرت باللصوص؟» قال لقد عبرت بهؤلاء اللصوص وأعطونى حقيبة من الشعير ورغيفين وقد وجد أنه أعطى قدتين من الذهب وقد سلمهما.

وهناك أمثلة لأبرياء تمت محاكمتهم مثل الراعى «سوعا - آمون» التابع لمعبد «آمون» فامتحن بالضرب بالعصا ووجه إليه يمين بألا يقول كذبًا. وقد وجد بريئًا من السرقات، وأطلق سراحه.

«ورقة إمبراس» :

هذه الورقة موجودة «بمتحف فيينا» وهى خاصة بالضرائب.

وقد وقعت معظم السرقات فى عهد «رعمسيس التاسع» و«رعمسيس الحادى عشر» وكانت السرقات من معابد أو من الجبانات «وما يهم رجال القانون هو الإجابة على هذه الأسئلة:

(١) من الذى ابتدع العمل ضد المجرمين؟

(٢) ما نظام المحكمة التى حاكمت هؤلاء المجرمين؟

(٣) كيف كانت الإجراءات عند المحاكمة؟

(٤) فى يد من كانت سلطة النطق بالحكم؟ وما العقوبات التى كانت توقع؟

لا شك فى أن الوزير كان يلعب أهم دور فى إدارة القضاء وأن الوزير وعماله على ما يظهر قد قاموا بعمل تحقيق بدون أى إشارة إلى الفرعون أو تلقى تعليمات منه وقد كان كُتاب الجبانة يقومون بتبليغ الوزير مباشرة، وقد عملت محاولات من وقت لآخر للبرهنة على وجود محاكم قضائية فى مصر القديمة، وقد أثبتت معظم هذه المحاولات وجود أسماء جماعات فى يدها على ما يظهر وظائف قضائية مثل «ستة البيوت العظيمة» وذكرت نقوش «مس» وهى التى يرجع تاريخها إلى عهد الأسرة التاسعة عشرة، وأنه توجد محكمتان «قنبت» وهما «قنبت الكبيرة» ومقرها «هليوبوليس» تحت رياسة الوزير و«قنبت» المحلية فى «منف».

طريقة المحاكمة:

الأشخاص الذين كان لهم علاقة بالقضية «المنظورة أمام المحكمة هم أعضاء التحقيق والمجرمون والشهود، ولم يكن هناك أى محكمين كما لم يكن هناك محامون لكلا الفريقين، وجماعة المحققين أنفسهم تتألف من مدع وقاض ومحكمين، وكان يوجد طبعًا فى القضية حزبان: المدعى والمدعى عليه، وهناك حلف اليمين بحياة «رع» وبحياة «الملك» وهذا لا يحل محل التعذيب، وأبسط صيغة لليمين كان يضاف لها «ألا أتكلم الكذب» وأحيانًا نجد فى ألفاظه إشارة إلى العقاب الذى يوقع فى حالة الحنث باليمين مثال ذلك: «على شرط أنه يشوه» أى يجدع أنفه

وأذناه ولدينا عقوبتان أخريتان من نوع خاص: أحدهما الوضع على الخازوق والثانى هو النفى إلى بلاد كوش.

وكان ضمن حيل القضاء أن يواجهوا الشهود بعضهم بالبعض الآخر، وقد يتعرض اللصوص للذبح كما نجد فى متن «ورقة ماير» فنقرأ فيها عن اللصوص الذين ذبحهم «بينخس» .

الآثار التى خلفها «رعمسيس التاسع»

فى الإسكندرية وجدت قطعة من تمثال بالقرب من عمود بومبى «عمود السواري» وفى «منف» العجل «أبيس الثالث» مات فى عهد «رعمسيس التاسع» ووجد عتب باب له فى الفيوم ووجد له فى الكرنك على قطعة من لوحة.

«رعمسيس العاشر» - «خبر ماعت رع»

لا يوجد لهذا الفرعون إلا تاريخ واحد مؤكد، أما التواريخ الأخرى فتنسب إلى عصر النهضة (وحم مسوت) أى عصر خلفه «رعمسيس الحادى عشر» ففى الصفحة الثالثة من سطر ١٧ من الورقة المسماة «شاباسى - ليبلين» ويرجع تاريخها إلى السنة الثالثة من عهد الملك «خبر ماعت رع» نجد إشارة للملك «نفر كارع» «رعمسيس التاسع» وذلك أن الوزير - على ما يظهر- طلب إلى أولى الشأن فى الجبانة إرسال رجال لنقل بعض ملابس للملك «نفر كارع» ولكن هذا الطلب قد رفض، وذلك لأن العمال كانوا فى هذا الوقت فى حالة ثورة، وقد أجاب رسول الوزير قائلاً: «دع الوزير نفسه يحمل ملابس الملك» نفر كارع وكذلك خشب الأرز، ويمكن أن نستخلص من ذلك بكل ثقة أن الملك «خبر ماعت رع» يوضع تاريخيًا بعد الملك «نفر كارع» .

وتدل الآثار المكتشفة حتى الآن على أن هذا الفرعون لم يترك آثارًا تذكر، وكل ما عثر عليه له حتى الآن بعض قطع بردى كتب على إحداها مديح للفرعون، وبعض قطع استراكا بالمتحف البريطانى وبالمتحف المصرى، هذا إلى

بعض جعارين محفوظة فى مجموعة «فلندرز بتري» وقبر هذا الفرعون يحمل رقم (١٨) بين قبور الملوك فى «وادى الملوك» بطيبة، وتدل حالته الراهنة على أنه لم يكن قد تم بناؤه عند موت هذا الفرعون الذى لم يحكم ثلاث سنوات على ما يظهر.

«رعمسيس الحادى عشر»

مكان هذا الفرعون بالنسبة لفراعنة هذه الأسرة أصبح مؤكدًا منذ أن أشار «مسبرو» إلى أن مركز هذا الفرعون وألقابه قد اغتصبها شيئًا فشيئًا الكاهن الأول «لآمون» «حريحور» كما استنبط ذلك من نقوش «معبد خنسو» والتفسير الطبيعى لذلك هو أن «حريحور» كان الخلف المباشر «لرعمسيس» «من ماعت رع» .

عصر النهضة

لاحظنا فيما سبق وجود وثائق بالخط الهيراطيقى من عهد النصف الثانى من الأسرة العشرين مؤرخة بعصر النهضة «حرفيا: تجديد الولادات» ونعلم أن عهد «تجديد الولادات» أو عصر النهضة قد مكث سبع سنوات على أقل تقدير، ومن المتن الذى على ظهر ورقة «أبوت» ومن أسماء عمال الوثائق التى أرخت بعصر النهضة تختلف عن أى أسماء عمال عهد «رعمسيس التاسع» كما أن هذه الوثائق تشير إلى عهد «رعمسيس الحادى عشر» فإن الأستاذ/ «بيت» فى بحثه هذا الموضوع يميل إلى جعل «عصر النهضة» جزءًا من حكم «رعمسيس الحادى عشر».

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن «سيتى الأول» كان يستعمل التعبير «تجديد الولادات» و(حم مسوت) فى تاريخه، وكذلك يلاحظ أن كلا من الفرعونين: «سيتى الأول» و«رعمسيس الحادى عشر»- وهما اللذان كان يستعملان هذا التاريخ «عصر النهضة» كان يحمل اللقب «من ماعت رع» ويمكن الإنسان أن يتصور أن «رعمسيس الحادى عشر» قد نقل عن «سيتى الأول» هذا اللقب لسبب ما ربما كان لتثبيت العدالة فى البلاد التى كانت حائرة فى هذا الوقت

والقيام بنهضة جديدة كالتى قام بها «أمنمحات الأول» الذى كان يلقب كذلك «من ماعت رع» وهو الذى قام بالإصلاح الشامل الذى عمّر البلاد وأعاد لها سؤددها بعد أن قضى على الأجانب فى الخارج، وأخمد الثورات الداخلية فى مصر نفسها، أو كالتى قام بها «سيتى الأول» لإرجاع مجد مصر، ولا غرابة فى ذلك فإننا نجد أن «رعمسيس الثالث» كان يقلد «رعمسيس الثاني» فى كل أعماله وأفعاله لإعادة مجد البلاد – وعلى ذلك فإن اقتراح الأستاذ/ «بيت» القائل بأن عبارة «تجديد الولادات» «عصر النهضة» هو عهد إصلاح، قد جاء بعد عصر كان يعد رسميًا عصر شذوذ واضطراب.

الأحوال التى سبقت حرب الأنجاس

فى السنة التاسعة عشرة من حكم «رعمسيس الحادى عشر» وقعت حادثة لم يعرفها متن معاصر، ولكنها على وجه التحديد حادثة ذات شأن عظيم، وذلك لأن هذه السنة تعد بداية عهد جديد يسمى «تجديد ولادات» «عصر النهضة» وظهر اسم «تانيس» للمرة الأولى فى المتون المصرية، ونعلم أن كلا من «حريحور» و«سمندس» قد صار ملكًا فى وقت واحد وعلى التوالى بعد ذلك بقى «رعمسيس الحادى عشر» يحكم اسما بضع سنوات، إذ لدينا لوحة عثر عليها فى «العرابة» ذكر فيها السنة السابعة والعشرون من عهد «رعمسيس الحادى عشر» .

ونعلم أن بداية الأسرة التاسعة عشرة وهو عصر نهضة جاء عقب حكم أسرة ثانية أنهكها الفقر، وقد افتتح بتولية أسرة قد وعدت بخلف ثرى، وفى الوقت نفسه تعد بداية عصر تاريخى لإصلاح فرعونى داخلى وخارجى فقد حدث أن «ونآمون» مبعوث «حريحور» و«سمندس» قد عومل عند الملك «زكر بعل» ملك إمارة «جبيل» وهى صديقة مصر القديمة بدون احترام كبير، ونعرف من ورقة «ماير A» وورقة «أبوت» رقم ٥ وورقتى المتحف البريطانى رقمى ١٠٠٥٢، ١٠٤٠٣ وورقة «إمبراس» الموجودة بمتحف «ڤيينا» وهى التى يرجع تاريخها كلها إلى عهد النهضة لها علاقة بشئون السرقات والنهب مثل ورقة «أبوت» وورقة «أمهرست ليوبولد الثاني».. وكان يحدث أن تثبيت براءة أحدهم

بعد الضرب بالعصا الذى ناله، بذلك كان هذا العهد عهد فوضى وشقاء، لم يحترم فيه الناس المقابر ولا المعابد ولا حتى أملاك الأفراد، ولم يكن فى مقدور رجال الشرطة أن يمنعوا ارتكاب الجرائم، ومن المحاكمات عندما أحضرت المواطنة «ارى نفر» زوج الأجنبى «بيحنسي» بن «ساتي» وسألوها عن الفضة التى يمتلكها زوجها فقالت: إنى لم أرها. وعندما سألها القاضى: من أين أتت الفضة التى صاغها «بيحنسي» لسبك أم ساف؟ فقالت لقد دفعت ثمنًا للشعير فى «سنة الضباع» عندما كان الناس جياعًا. وسنة الضباع يمكن أن تكون سنة مات فيها كثير من الناس ولم يتمكن الناس فيها من دفن موتاهم، وقد أتت الضباع فى خلالها حتى المدن والقرى.

حرب الأنجاس

من كتابات المؤرخ اليهودى «جوسفس» نقل عن مانيتون – كما يدعى – أنه فى المستقبل ستوضع مصر على يد النجسيين وحلفائهم فى النار وفى الدم «أى أن الأجانب سيقومون بغزو البلاد وإشعال النار فيها وسفك دماء أهلها» ويفهم من هذه النبوءة التى اقتبست حرفيًا من «مانيتون» أن الفرعون «أمنوفيس» يجب أن يقوم بحرب على الأنجاس، والمقصود بالأنجاس هم أحفاد الهكسوس القادمين من أواريس حيث كان المصريون يطلقون على الهكسوس «الطاعون» وألفاظ تدل على كراهيتهم لهم، وحسب التقديرات الحسابية عن المدة التى كانت بين طرد الهكسوس وحرب «أمنوفيس» مع الأنجاس تقدر بثمانى عشرة وخمسمائة سنة.

ونحن نعلم أن الأسرة الثامنة عشرة قد ابتدأت نحو سنة ١٥٥٥ ق. م فحرب الأنجاس يمكن وضعها إذًا فى نهاية القرن الثانى عشر قبل الميلاد « نحو سنة ١١٠٠ ق. م» وهذا يتفق مع آخر عهد الأسرة العشرين وقد قدم لنا مؤلفنا «جوسف» تفاصيل دقيقة عن مشعلى هذه الحرب، فقال عنهم إنهم مصريون قد أصيبوا بالبرص وبعاهات منوعة لم تمنعهم قط عن العمل فى المناجم، ومن وجود حلفاء عند قيامهم بالثورة، ومن نشر الرعب فى البلاد، وقد كانت «أورايس»

«بلدة «تيفون» أى «الإلـه ست» مقرهم، وقد سنوا قوانين تتعارض تماماً مع العادات المصرية، ولم يعبدوا الآلهة ، وذبحوا الحيوانات المقدسة وأكلوها، وهذه المعلومات ليست واقعية بدون شك، ولكنها مع ذلك تقابل بالضبط الفكرة التى تكونها عن هذه الحروب عند أتباع «آمون» ولفظه «الأنجاس» التى فهمها كتاب العصر المتأخر على حسب معناها الحرفى فحسب، وهى فى الواقع ترجمة كلمة «إدت» ومعناها الحرفى «الطاعون» ويقصد بها «الهكسوس» ولكن لماذا كان القوم يكرهون «الهكسوس؟» وسبب هذا الكره – على الأقل – أنهم أجانب يحتقرون آلـهة المصريين العظام عدا الإلـه ست «اتخذوه إلـهًا لهم عندما دخلوا البلاد غازين ووحدوه مع أهم آلهتهم «بعل»

والواقع أن تأسيس الأسرة التاسعة عشرة وإقامة مقر ملك فى «أورايس» «بالقرب من تانيس بالشرقية» كان علامة على انتقام الإلـه «ست» وسيادة سكانها الذين كانوا – من حيث الجنس – نصف ساميين، ويقول «مانيتون» إن أهالى «أورايس» هم وحدهم المسئولون عن هذه الحرب، فقد كان رئيسهم كاهنًا من هليوبوليس يدعى «أوساريف» «وسر – سا – ف» [معنى الاسم «أوزير» حامية] وبعد تجمعهم فى أورايس يهاجمون «طيبة» وقد انتشر الأنجاس المتحالفون مع «السولوميت» «الآسيويين» فى كل مصر دون أن يجدوا أية مقاومة وقد عاملوا السكان بطريقة دنسة قاسية.

أما عن الحرب وعن الشخص المسئول عنها فيما يخص بلد «طيبة» فهو الكاهن الأكبر «لآمون» «أمنحتب». والفرعون هو «رعمسيس الحادى عشر» وفى السنة التاسعة عشرة من حكم هذا الفرعون وقعت حادثة لم يعرفها متن معاصر، ولكنها على التأكيد حادثة ذات شأن عظيم، وذلك لأن هذه السنة تعد بداية عهد جديد يسمى تجديد ولادات وعلى أية حال فإن السنة التاسعة عشرة من حكم «رعمسيس الحادى عشر» يمكن تسميتها فى وثائق رسمية بالسنة الأولى من عهد تجديد الولادات، وحل «حوريحور» محل كل من «بينحس» و«أمنحتب» ونحن نعلم أن كلا من «حريحور» و«سمندس» قد صار ملكًا فى وقت واحد، وعلى التوالى.

علاقة مصر بالبلاد المجاورة فى تلك الفترة

علاقة مصر لم تكن على ما يرام مع بلاد ((لوبيا))، وأن بعض ((المشوش)) كانوا يهاجمون البلاد فى غارات صغيرة من وقت لآخر. وكان الفرعون على اتصال وثيق برجال الإدارة فى بلاد النوبة وجاءت الصدفة علينا بوثيقة تعد من أهم الوثائق التى تظهر لنا العلاقة بين مصر وبلاد سوريا بصورة قصصية فريدة فى بابها، وهذه الوثيقة مكتوبة على بردية عثر عليها الفلاحون فى عام ١٨٩١ فى بلدة ((الحيبة)) المقابلة للفشن بالوجه القبلى، وهى الآن محفوظة فى متحف ((موسكو)) .

تقرير ((ونآمون)) أو قصة ((ونآمون))

ملخص القصة:

فى عهد الفرعون ((رعمسيس الحادى عشر)) غادر ((ونآمون)) تانيس على مركب يقودها بحار سورى إلى ((دور)) وهو ميناء صغير تسكنه ((الثكل)) ووجد أن الذهب والفضة اللذان أحضرهما معه لشراء خشب ((جبيل)) ((لبنان)) قد سرقا، ووجد أن معاملة أهل سوريا قد تغيرت معه كمصرى رغم أنه فى الماضى كانوا يكنون كل الاحترام لأهل مصر الذين كانوا أصدقاء لهم، وأحس بأن مصر قد فقدت هيبتها، ولم نعرف تكملة القصة لأن الورقة ممزقة، وبهذا ظهر ضياع مكانة مصر فى الخارج.

الآثار التى من عهد ((رعمسيس الحادى عشر))

من الوثائق الخاصة بعصر النهضة الخاصة بسرقة المقابر والمعابد ووصلنا فى بحثنا إلى أن الجزء الأكبر من هذه الأوراق لا ينسب إلى عهد ((رعمسيس التاسع)) ولدينا من عصر ((رعمسيس الحادى عشر)) عقد زواج بمقتضى العرف المتبادل ووثيقة تبنى، وفى كلا الحالتين وجدنا توقيع الشهود ضروريًا لكى يعطى لأىٍّ من الوثيقتين – الزواج والتبنى – قوته.

ورقة «تورين» الخاصة بالضرائب:

هذه الورقة محفوظة الآن بمتحف «تورين» وتحتوى هذه الورقة على تقرير وضعه كاتب الجبانة المشهور فى ذلك العصر المسمى «تحتمس» عن جمعه للضرائب من الأماكن المختلفة جنوبى مدينة «طيبة» وتوريدها للمخازن الخاصة بها فى طيبة نفسها.

الآثار فى السرابيوم:

ينسب إلى عهد هذا الفرعون مدافن خمسة عجول «آبيس» وفى كوم السلطان «بالعرابة المدفونة» عثر «مريت» على قرطين ضخمين «لرعمسيس الحادى عشر» وله نقوش فى «معبد خنسو» بالكرنك. بالإضافة إلى نقش «رعمسيس الحادى عشر» فى لوحة فى معبد الملك «أمنحتب الثالث» .

مومياء الفرعون «رعمسيس الحادى عشر»:

وجد بطبيعة الحال بين المومياوات التى أودعت خبيئة الدير البحرى.

قبر «رعمسيس الحادى عشر»:

حفر قبر هذا الفرعون إلى مسافة بعيدة فى جوف الصخر. ورغم أن صاحبه حكم البلاد ٢٧ عامًا لم يكن فى مقدوره أن يزين جدرانه بالنقوش، مما يدل على فقر البلاط.

حريحور والأحداث التى أدت إلى توليته عرش البلاد

تدل ألقاب «حريحور» على أنه كان من رجال الجيش، هذا مع العلم أنه كان يحمل لقب الكاهن الأكبر «لآمون» وتدل كل الأحوال فى مصر على أن «حريحور» كان وليد الثورة التى قامت فى مصر فى تلك الفترة المضطربة من تاريخ البلاد، فأعاد إليها النظام وانتهى الأمر بتوليه هو مقاليد الأمور فى البلاد، وأصبح فرعونًا لها ومؤسسًا لأسرة جديدة وهذا الانقلاب هو «عصر النهضة» ونلاحظ

فى التقرير الذى وضعه «ونآمون» أن مصر كان من المفروض أنها مقسمة قسمين بين «حريحور» الذى كان مقره «طيبة» و«سمندس» الذى كان مقره «تانيس» ويمكن أن نعرف حقائق أكثر عن هذه الفترة المضطربة بها لدينا من أوراق البردى التى أبقتها لنا الأيام محفوظة فى مقابر «طيبة» فنحن نعلم إلى أى حد كانت السلطة الرئيسية قد تضاعفت فى طيبة فقد قامت اضطرابات هناك مكثت تسعة أشهر، وكانت قد حدثت فى عهد «أمنحتب» الكاهن الأكبر «لآمون» وقد رأينا تدخل الأجانب فى هذه الفترة، وهذا العهد قد امتاز بها حدث فيه من تخريب للمعابد وإشعال الحرائق والقبض على موظفين من رجال الدين، وتعدى ذلك إلى تخريب حصون مدينة «هابو». وبالاختصار فإن هذا العهد كان يعد حربًا معلنة بين المعابد التابعة لضياع الإلـه «آمون» فى «طيبة» وبين طوائف الأجانب وقد أدلى «شرني» ببراهن قوية تؤكد أن عصر النهضة لا يمكن أن يكون إلا فى عهد آخر ملوك الرعامسة فى الأسرة العشرين وأن السنة التاسعة عشرة من حكمه «رعمسيس الحادى عشر» تقابل السنة الأولى من عهد النهضة الجديدة وقد مكثت الاضطرابات تسعة أشهر إلى أن تمكن «حريحور» من إعادة النظام عندما تولى مقاليد الأمور، فقد كان إلى جانب كبير من الدهاء بتوليه رياسة كهانة «آمون»وبذلك حافظ على سلطانه وقوته فى «طيبة»أمام كهنة «منف» و«تانيس».

ومن النقوش الموجودة على جدران معبد «خنسو» بوجه خاص كان «حريحور» بوصفه الكاهن الأكبر والوزير يقبض على كل السلطة الروحية ويدير كل السلطة الإدارية فى البلاد، ومن النقوش الموجودة على تمثاله نعلم أن كلا من لقب الوزير والعمدة كان من ألقاب هذا الكاهن الأكبر وملك المستقبل «حريحور» ومن المناظر فى قاعة العمد فى معبد «خنسو» نجد أن «حريحور» فى ست حالات كان يحل محل الفرعون والكاهن العظيم «حريحور» هو الذى يطلق البخور على القارب العظيم للإلـه «آمون». ومن منظر الوحى نجد الإلـه «خنسو» يوحى بأنه منح أو وعد بمنح الكاهن الأكبر «حريحور» المُلك وصدق على ذلك الإلـه «آمون» فى حين أن رعمسيس الحادى عشر كان لا يزال على عرش البلاد «الإلـه وعد «حريحور» بحكم عشرين عامًا » .

نهاية الأسرة العشرين

كان «حريحور» يعلم تمام العلم أن طائفة الكهنة فى طول البلاد وعرضها كانوا أصحاب الشوكة والسلطان وأن الأحوال كانت مهيئة له للقبض على زمام الأمور فى البلاد، وأراد أن يوطد سلطانه فيما بعد - فعين ابنه قائدًا للجيش، وكاهنا أكبر «لآمون» حتى يجمع بين السلطتين الدينية والإدارية بذلك فاز رجال الجندية على رجال الدين مع المحافظة ظاهريًا وسلبهم سلطتهم فعلاً.

أثر رجال الدين فى عهد الدولة الحديثة فى نظم الحكم

تمكن «حريحور» من جمع السلطات الدينية والحربية والسياسية والملاحظ أن الحروب ضد كهنة آمون بدأت منذ الأسرة الثامنة عشرة بسبب القوة التى كان يكتسبها باضطراد الكهنة الطيبيون، وكانت أعنف مواجهة هى تلك التى قام بها «إخناتون» وبعد تولى «حور محب» عرش الملك قد استعاد كهنة طيبة - مع ثروتهم التى كانت أعيدت لهم فعلاً - النفوذ التى كانوا يتمتعون به فى الأزمان السالفة، وبعد فترة عهد «رعمسيس الثالث» وقعت مصر فريسة للفوضى فكان الكهنة العظام قد أبعدوا عن الوظائف الاجتماعية مما أدى إلى عدم اكتراثهم بتوطيد عرش الملك وسلامة البلاد، وأنهم فى وقت تلك المحنة التى عمت البلاد لم يفكروا إلا فى المحافظة على ثروتهم.

وعندما اختفى من على عرش الفراعنة آخر ملوكها العظام لم تلبث البلاد أن عضها الفقر بنابه، وأناخ الذل عليها بكلكله، وأصبحت تحكم برماد من الفراعنة، عندئذ رأينا على كرسى كهانة «آمون» الأعظم أسرة بقى أفرادها يتوارثون هذه الوظيفة مدة تبلغ نحو الأربعين حولاً، ويلاحظ أن حريحور لم يكن من أسرة كهنة ولكنه أمكنه السيطرة على عواطف الشعب الدينية، ولأن رئيس الكهنة «لآمون» كان أكبر مناهض خطر «للفرعون» فاختار ابنه «بيعنخي» كاهنًا أكبر «لآمون» وبدأ بعد ظهور «الزوجات الإلـهيات» والحريم الجنوبى لآمون و«الحظيات المقدسات» والمتعبدة الإلـهية لآمون مما يعنى اشتراك المرأة فى السلك الكهنوتى.

نظام الحكم فى عهد الدولة الحديثة فى الوجهة السياسية

رأينا الصراعات فى عهد الفوضى بين أربعة طوائف:

(١) الموظفين المدنيين (٢) طائفة الكهنة.

(٣) رجال الجيش. (٤) الجنود المرتزقة.

وكان الموظفون المدنيون وهم الكُتّاب ورجال الإدارات الحكومية كانوا ينظرون نظرة احتقار إلى كل من رجال طائفة الجندية ورجال طائفة الكهنة، وهذا جعل رجال الجيش ورجال الكهنة يتبادلون الود فيما بينهم، واستغل حريحور إدراكه الصائب بأن الاستيلاء على عرش البلاد يجب أن ترتكز على قوة حربية لا قوة الكهنة، ومع ذلك جمع فى يديه القوتين وحقق أهدافه بأن أصبح الفرعون الذى كان يدرك بأن ما يقوله الفرعون هو «القانون»، والظاهر أن وضع القوانين كان من اختصاص الفرعون وحده. وكان ينوب عن الفرعون فى تنفيذ أحكامه القضائية والإدارية بين الوظائف الإدارية والوظائف القضائية، مما يلفت النظر أنه فى عهد الإمبراطورية لم يكن فى العادة يوجد موظف واحد بعينه تحت سلطة الفرعون يقبض على زمام الحكم فى كل أنحاء البلاد.

كان الوزير يمثل هذا الموظف الذى كان يقبض على كل السلطة، ولكن فى عهد الدولة الحديثة كان يوجد عادة وزيران: واحد منهما للوجه القبلى، والآخر للوجه البحرى، وحكومة الدولة المصرية كانت فردية بيروقراطية مركزية من حيث المبدأ، وكانت مركزية عمليًا، ولا نزاع فى وجود مشاحنات من أجل المنفعة بين العناصر المختلفة أما الرجل العادى فلم يكن لديه من القوة ما يهيئه للتعبير عن آرائه فى الحياة السياسية أو الاقتصادية وربما لأنه قد تربى على الخضوع لنظام الحكم.

وقد يثور على هذا النظام بسبب الجوع والفقر - مثلما حدث فى إضراب العمال فى عهد «رعمسيس الثالث» - وعندما قام العمال وحتى رجال الدين بنهب المقابر الملكية وغيرها إلى درجة تدعو إلى الدهشة والعجب من شعب وديع كالشعب المصرى ولكن الفقر كافر والجوع أشد منه كفرًا.

الأسرة الواحدة والعشرون

تاريخ الأسرة الواحدة والعشرين غامض حتى الآن على الرغم من الكشوف الحديثة التى عثر عليها فى «تانيس» «صان الحجر» .

«حريحور» و«بيعنخى»

تدل شواهد الأحوال على أنه على أثر وفاة «حريحور» لم يكن فى مقدور أسرته أن تحافظ على تاج الملك، ويظهر أن «سمندس» الذى كان يحكم فى الدلتا قد أصبح ملكًا على البلاد جميعها، غير أن وظيفة الكاهن الأكبر «لآمون» كانت فى يد ابنه «بيعنخى» وأكبر أولاد «بيعنخي» هو «بينوزم» الذى تولى رياسة الكهانة أولا ثم عرش الملك فيما بعد.

الكاهن الأكبر «بينوزم»

كان فى بادئ الأمر يحمل لقب الكاهن «لآمون» فى «طيبة» ثم تزوج من بنت الملك «بسوسنس الأول» وأصبح فيما بعد ملكًا على البلاد بعد وفاة حميه.

وقد قام «بينوزم» ببعض إصلاحات فى معبد الأسرة الثامنة عشرة القائم بمدينة هابو وفى معبد خنسو فقد استمر فى تكملة الأجزاء التى لم تكن قد تمت بعد، وبخاصة البوابة التى أقامها جده «حريحور» .

كما وجه الكاهن الأكبر «بينوزم» عناية خاصة لإصلاح ما لحق بالمومياوات الملكية من تهشيم وتنكيل وعبث.

خبيئة «الدير البحري» :

تم الكشف عن هذه الخبيئة بعد أن تم القبض على أبطال السرقات الحديثة وهم أفراد أسرة «عبد الرسول» الذين يقطنون قرية «القرنة» الحالية وعلى رأسهم «محمود عبد الرسول» وأخواه عبد الرسول وسليمان وقد حافظت أسرة عبد الرسول على السر حتى عام ١٨٧١ واستولت الدهشة على سكان الأقصر وأهل قرية «شيخ عبد القرئة» كما استولت على نفس الأوروبيين عندما سمعوا

بعدد المومياوات وأهميتها البالغة فى تاريخ العالم أجمع، وقد كان خيال العامة بدأ يعلو ويقوى، إذ أخذوا يتحدثون عن وجود صناديق مملوءة بالذهب وعقود من الماس والياقوت والتعاويذ النفيسة، ولذلك كان لابد من العمل بسرعة لنقل هذه الآثار خوفًا من القيام بمحاولات لسرقتها بأية طريقة، أو حتى مهاجمتها والاستيلاء عليها بحد السلاح، وقد علم فيما بعد فعلاً أن أحد مشايخ القرى المجاورة قد عقد مجلسًا مع عصابة من العبابدة اتفق فيه على عبور النيل فى أثناء الليل ومهاجمة عمال الآثار، ولكن يقظه «بركش» و«محمد بك» وكيل المديرية و«أحمد أفندى كمال» الأمين المساعد قد ضيعت على المتآمرين مؤامراتهم.

المحافظة على المومياوات:

فى إبريل ١٨٨٦ كانت المومياوات محفوظة فى صناديق من الزجاج فحفظت بذلك من تقلبات الجو ومن أيدى الزائرين، وقد أرجأ رجال المتحف فك لفائف هذه المومياوات حتى هذا التاريخ.

نقوش «بينوزم» الأول فى مدينة هابو

كذلك توجد نقوش فى معبد خنسو، ووجد نقش على تمثال «بولهول» لأمنحتب الثالث. كما وجد اسمه فى معبد «أوزير» بالكرنك.

مومية الملك «بينوزم الأول»:

وجدت مومية هذا الفرعون فى تابوت الملك تحتمس الأول فى خبيئة «الدير البحري» وأهم الآثار التى دَوّن عليها اسمه: معبد الأقصر - معبد «الكرنك» - معبد «خنسو» .

كاهن «آمون الأكبر» «ماساهرتا»

والوقاع أنه خلف «بينوزم» فى وظيفة الكاهن الأكبر «لآمون» وقد عثر على تابوت الكاهن الأعظم «ماساهرتا» وفيه مومية فى خبيئة «الدير البحري» .

الكاهن الأكبر والملك «منخبر رع»

خلف «منخبر رع» أخاه الأكبر «ماساهرتا» كاهنًا أكبر «لآمون» فى تاريخ غير مؤكد حتى الآن. وتنقسم الآثار التى خلفها لنا ثلاثة أقسام:

(١) آثار «منخبر رع» بوصفه كاهنًا أكبر.

(٢) آثار «منخبر رع» التى لم تؤرخ.

(٣) آثار «منخبر رع» فى أثناء جلوسه على العرش باسم الملك «بسوسنس الثان» والأثر الهام الذى تركه من الوجهة التاريخية هو تجديد لفائف الفرعون سيتى الأول.

لوحة النفى أو لوحة «مونيه» :

هذه اللوحة التى تشير إلى عهد هذا الكاهن محفوظة بمتحف «اللوفر» وهى منحوتة فى الجرانيت الأسود وفيها نص أنه ذهب إلى الإلـه العظيم «آمون» قائلا: يا سيدى العظيم ستصور مرسومًا باسمك على أن لا ينفى أحد من أهل البلاد لإقليم الواحة النائب ولا .. منذ هذا اليوم وعندئذ هز الإلـه رأسه بعنف. ثم تحدث ثانية قائلاً: «عليك أن تقول ذلك: سيصدر فى مرسوم على لوحة .. فى باقية وثابتة سرمديًا» .

أسرة «منخبر رع» :

زوجة «استمخب» الثانية وقد وجدت فى تابوت مزدوج فى خبيئة «الدير البحري» وترك ذرية كبيرة.

الكاهن الأكبر «بينوزم الثاني»

خلف أخاه الأكبر «سمندس» فى هذه الوظيفة.

مرسوم «بينوزم» :

الواقع أن هذا المرسوم هو أحد المراسيم المهمة التى وصلت إلينا فى خبيئة الدير البحرى الملكى، وبخاصة لأن الذى أصدره هو الإلـه آمون فى صالح أعضاء أسرة الكهنة العظام فى عهد الأسرة الحادية والعشرين.

أول ظهور أجداد اللوبيين الذين أسسوا الأسرة الثانية والعشرين

تدل اللوحة التى وجدها «ماريت» بالعرابة المدفونة على أنها أول لمحة عن اللوبيين أجداد الأسرة العظيمة التى قامت فى مصر على أنقاض أسرة «تانيس» وهى الأسرة الثانية والعشرين، وذلك أن «شيشنق» جد «شيشنق الأول» مؤسس الأسرة الثانية والعشرين كان زعيمًا قويًا لقبيلة «المشوش» ولدينا لوحة نجد فيها الإلـه «آمون» قد فصل فيها بواسطة الوحى بخصوص بعض الموظفين الخونة الذين حكم عليهم بالإعدام لما ارتكبوه من اختلاسات فى حسابات المعبد.

ومن النقوش الخاصة بالفرعون والكاهن «بينوزم الثاني» نفهم منها ما كانت عليه الوثائق الرسمية فى مصر القديمة من طول وتكرار. ومما لا جدال فيه أن المعابد والمقابر فى هذا الوقت لم تكن فى مأمن من أيدى الموظفين العابثين حتى الذين يشغلون منهم وظائف عالية، ومن ثم نفهم السبب الذى من أجله خبأ ملوك الأسرة الحادية والعشرين مومياوات الفراعنة فى خبيئة الدير البحرى.

إن تدهور السلطة فى أيدى ملوك الأسرة الحادية والعشرين الضعفاء وكذلك الاغتصابات التى كان يقوم بها بعض الكهنة، ويحتمل كذلك الكثير من ملوك هذه الأسرة الذين اتخذوا «تانيس» عاصمة لملكهم كل هذه الأشياء كان من نتائجها أن أصبح سهل «طيبة» والمعابد والجبانات مأوى للناهبين واللصوص من كل الطبقات.

والواقع أن كل ظواهر الأحوال تدل على ذلك، ولأنه لابد أنه كانت توجد فى هذا العهد أزمة سياسية.

ومن نص لوحة اللوبيين نجد إشارة إلى رئيس الرؤساء «شيشنق» المنتصر،

وفى الصلاة النهائية «لآمون» وقد قبل جلالته أمامه، وقال جلالته: اجعل شيشنق المنتصر يظفر – رئيس «مي» العظيم ورئيس الرؤساء العظيم.

الكشف عن خبيئة «الدير البحرى الثانية»

فى شهر يناير ١٨٩١ جاء «محمد أحمد عبد الرسول» الذى أنبأ عن خبيئة الدير البحرى الأولى التى كانت تحتوى على مومياوات الملوك والكهنة العظام إلى «المسيو جريبو» مدير مصلحة الآثار وقتئذ وأخبره أنه يوجد بالقرب من مقبرة الملكة «نفرو» الواقعة فى محيط معبد «الدير البحري» فى سطح الجبل مكان بِكْر، وأنه لابد من وجود مقبرة فى هذه المنطقة، وقد بدأ إخراج الآثار فى الخامس من فبراير، وقد دون الكاشف هذه التوابيت بأرقام استعملها المؤرخون مراعاة للاختصار عند التحدث عن هذه المومياوات ومحتوياتها فمنها ١٥٣ تابوتًا وعشرة ومائة صندوق من التماثيل الجنائزية وسبعة وسبعون تمثالاً «أوز يري» الشكل من الخشب وأشياء أخرى.

أسرة الكاهن الأكبر «بينوزم الثاني»

أمر الكاهن الأكبر «بينوزم الثاني» بكتابة بردية لزوجة «نسخنسو» وينقسم منها قسمين: الأول «أنشودة للإلـه آمون» والثانى اعتراف للإلـه «آمون» خاص بالمتوفاة، ونلاحظ أن الأنشودة توضح وحدانية الخالق.

نص الأنشودة:

الإلـه المؤله الذى صاغ نفسه بنفسه، والذى خلق السموات والأرض على حسب لبه .. الإلـه العظيم منذ بداية الخلق ... رب الحياة والذى يعطى من يحب، ومحيط الأرض تحت نظره، والآمر والمنفذ دون معارض .. وعندما تضىء الأرض فإن جميع الأرض على ذلك تتعبد له، وهو المضيء الذى يشرق بين التاسوع ... وأنه يمنح الحياة ويضاعف السنين والأبدية ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «آمون رع» ملك الإلـهة، ورب السماء والأرض والماء والجبال وبارئ الأرض بوجوده، والعظيم القوى، وهو الذى رفع نفسه فوق كل آلـهة التاسوع الأول.

تابوت «تسنخسو» :

وقد عثر على تابوتين فى خبيئة الدير البحرى لهذه الأميرة، غير أن الفحص قد دل على أنهما قد جهزا فى بادئ الأمر للأميرة «استمخب» ثم غطى اسم هذه الأميرة الأخيرة بطلاء أحمر كتب عليه اسم «نسنخنسو» باللون، وقد تزوج الكاهن الأكبر «بينوزم الثاني» من أختين له، الواحدة بعد الآخرى وهما «نسنخسو» وقد قامت فى السنة الخامسة من عهد الفرعون، ثم تزوج «ستمخب الثانية» ومما يلفت النظر بخصوص «نسخنسو» بأنها المرة الأولى التى نجد فيها أميرة من بيت الكهان العظام تحمل لقب «نائب بلاد كوش» «ومدير البلاد الأجنبية الجنوبية» .

الكاهن الأكبر والملك «بسوسنس الثالث»

كان «بسوسنس» هذا ابن «بينوزم الثاني» آخر كاهن أكبر «لآمون» معاصرًا لأسرة ملوك «تانيس» الحادية والعشرين. وترك آثارًا له بالعرابة المدفونة وبأم العقاب وبالكرنك.

وخلاصة القول إننا نعلم مما سبق على الرغم من أن كهنة «آمون» العظام كانوا أصحاب السلطان فى مصر العليا وملوك «تانيس» كانوا أصحاب النفوذ والقوة فى الدلتا أن ملوك «تانيس» كانوا هم الفراعنة الحقيقيين فى البلاد كلها وأنهم هم الذين يعينون الكاهن الأكبر فى معظم الأحيان.

الملاحق

الملاحق من إعداد

عريان لبيب حنا



ملحق (١)

ما جاء فى كتاب كنوز الفراعنة عن الخرافات والأساطير «**ص ١٤٤**» :

كان كل إلـه من الآلـهة المصرية القديمة تنسج حوله حكايات كثيرة، ولكنها كانت تختلف من مكان إلى مكان ومن زمن لآخر. والنتيجة أن أصبحت الأساطير فى الديانة المصرية معقدة للغاية، ورغم ذلك كان لدى المصريين معتقدات معينة ظلت ثابتة بصفة عامة على مدى التاريخ، وهذه يمكن اعتبارها الأساطير الأساسية فى النظام الدينى فى مصر القديمة، ومن هذه الأساطير أساطير الخلق وأسطورة الصراع بين حورس وست، وأسطورة المرحلة الأوزيرية.

الخلق والنشأة

وجه المصريون القدماء اهتمامهم باستمرار نحو موضوعى أصل الكون وطبيعة الآلـهة التى كان لها دور فى الخلق والنشأة، ووضعت ثلاث نظريات مختلفة لتفسير نشأة الكون تعتمد على المعتقدات التى كانت سائدة فى كل من هليوبوليس وهرمو بوليس ومنف، وفى آخر الأمر تغلبت وجهة نظر مدرسة هليوبوليس بعد تطعيمها بعناصر من نظريتى هرمو بوليس ومنف.

وتتلخص النظرية فى أن الكون قد نشأ من هيولى مائى «ماء غير مشكل» تسمى نون NUN أنبثق منه الإلـه آتوم الذى ظهر فوق ربوة «ربوة الخلق أو الربوة الأولى» وفيما بعد أصبح الإلـه آتوم يضاهى ويساوى الإلـه رع وقام الإلـه آتوم بقدرته بإيجاد التوءمين شو «إلـه الهواء» وتفنوت «ربة الرطوبة»، اللذين أوجدا بدورهما الإلـه جب «إلـه الأرض» والربة نوت NUT «ربة السماء» ونتج عن جب ونوت الآلـهة أوزيريس وإيزيس وست ونفتيس. وتكون من هذه الآلـهة التسعة، بعد أن وُجدت. ما سمى بالتاسوع الإلـهى «أى مجمع الآلـهة التسعة». واعتبر هذا التاسوع فيما بعد – كما ورد فى النصوص المتأخرة – كيانًا

إلـهيًا واحدًا، وقد اشتق من هذا النظام النظرية الكونية التى لاقت قبولاً عامًا وتتلخص فى تمثيل الكون على هيئة ثالوث يتكون من إلـه الهواء «شو» وهو واقف ويسند بيديه الجسد الممدد لربة السماء نوت بينما يرقد الابن جب عند قدميه.

النظرية الثانية

ظهرت النظرية الثانية فى هرموبوليس، عاصمة الإقليم الخامس عشر بالوجه القبلى وقد ظهرت هذه النظرية فى وقت ما كما يبدو، كرد فعل مضاد لسيطرة مدرسة هليوبوليس وحسب هذه النظرية كان الهيولى «المادة غير المشكلة» هى الموجودة قبل خالق الكون، هذا الهيولى كان له أربع صفات تضاهى ثمانية من الآلـهة فى أزواج: نون ونونيت إلـه وربة الماء الأزلى اللانهائى، كوك وكوكيت إلـه وربة الظلام وآمون وآمونيت إلـه وربة الخفاء، هذه الآلـهة فى وقت الخلق لم تكن آلـهة للأرض بقدر ما كانت تجسيدًا للعناصر التى تميز الهيولى الذى انبثقت الأرض منه، هذه الآلـهة تُكوّن –حسب هذه النظرية – ما أسموه ثامون هرموبوليس (مجمع الآلـهة الثمانية). من مادة الهيولى ظهرت الربوة الأزلية (الأولى) فى هرموبوليس وكان على الربوة بيضة هى التى أنتجت إلـه الشمس، وبعد أن وُجْد أخذ إلـه الشمس فى تنظيم العالم، ومن الواضح أن الهيولى (المادة غير المشكلة) حسب مفهوم مدرسة هرموبوليس كان يحتوى فى عنصر نشط غير موجود فى نظرية هليوبوليس إلا أنه بعد الانتصار الحاسم لنظرية هليوبوليس طرأ عليها تعديل حاسم «لا شك أنه أدخل عليها لأسباب سياسية» يجعل نون هو خالق آتوم وأباه فى نفس الوقت.

النظرية الثالثة

النظرية الثالثة فى نشأة الكون ظهرت فى منف، بعد أن أصبحت هذه المدينة عاصمة مصر ومقر الفراعنة لذلك عملت مدرسة منف على إظهار الإلـه بتاح إله المدينة - فى صورة الإلـه الأكبر خالق الكون فكان لابد من صياغة هذه الفكرة

فى نظرية مناسبة تتجنب فى نفس الوقت الاحتكاك المباشر مع كهنة هليوبوليس. فوضعوا نظرية ملخصها أن بتاح هو الإلـه الخالق الأكبر، ولكنه فى داخله قد أحتوى على ثمانية آلـهة أخرى، بعضها من تاسوع هليوبوليس وباقيها من ثامون هرمو بوليس، وفى هذه النظرية احتل آتوم مكانة خاصة، وأدخل الثنائى نون ونونيت فى المجموعة، كما أدخل فيها تاتنن أحد آلـهة منف، ويعتبر تجسيدًا للأرض التى برزت من المادة الأزلية الأولى (الهيولي) وأضافوا إلى هؤلاء أربعة آلـهة أخرى لم تحدد بدقة، يظن أنها حورس وتحوت ونفرتم وإلـه ثعبانى، وتعتبر النظرية أن الإلـه آتوم هو الذى يحمل صفات النشاط والحيوية للإلـه بتاح، والتى عن طريقها تحقق الخلق، وحصروا هذه الصفات فى صفتين أساسيتين هما الفطنة «الفكرة» والتى ساووها بالقلب، ويجسدونها بالإلـه حورس ثم الإرادة وساووها باللسان ويجسدها الإلـه تحوت، وتقول الخرافة الدينية أن بتاح قد كون عن العالم صورة عقلية قبل أن يخلقه بالكلمة «كن فيكون» ومن الواضح أن نظرية منف من النظريات العقلية أساسًا، وظلت طوال التاريخ المصرى ذات جاذبية خاصة بين النظريات الدينية.

أسطورة حورس وست

أسطورة حورس وست والصراع بينهما مبنية على الحكايات التى تناقلتها الأجيال عنها منذ القدم «أى ما جرى العرف على تصديقه» وهى من أكثر الأساطير المصرية اضطرابًا وتخليطًا، وقد تعقدت الأسطورة الأصلية لهذا الصراع بشكل غير عادى بسبب إتمام الأوزيرية على الفكر اللاهوتى بهليو بوليس. عندئذ بدأ حورس يكتسب أهمية من نوع جديد باعتباره ابن أوزيريس. ويبدو أن الأسطورة فى مبناها الأصلى كانت قصة بسيطة تدور حول شخصيتين إلهيتين فحورس لدى مذهب هليوبوليس هو الإلـه المحارب والإلـه الملك، وإلـه السماء فى نفس الوقت، عيناه تضاهيان الشمس والقمر فى الأصل، وعندما أصبح رع هو إلـه الشمس نسبت إليه العين الشمسية، وبذلك تعدل وضع حورس فأصبح العين القمرية.

وأما ست فكان يعتبر هو إلـه الصحراء والخطط الشريرة، ولذلك انتزع عين

حورس التى لم يستطع الأخير أن يستردها إلا بعد كفاح مرير. وكان ست قد ألقى العين – وتسمى أوجات – قبل استردادها، فعثر عليها تحوت ملقاة وهى مفتتة، وتمكن تحوت من وصل أجزاء العين وإصلاحها حتى عادت إلى طبيعتها، ويظهر أن اسم أوجات قد أطلق على العين بسبب عملية الإصلاح هذه لأن الكلمة معناها الشيء المعقول.

والأسطورة تحتوى على فصل مهم هو المحاكمة التى عقدت للفصل بين الخصمين حورس وست. والنسيج الأساسى للمحاكمة يدور حول موضوع السيادة، وكان يجب أن يتقرر أولاً من هو صاحب الحق فى تاجى الوجهين القبلى والبحرى إذ سوف يترتب على ذلك تحديد خليفة أوزيريس فى الملك وإنصاف حورس فى مطلبه هو النموذج الكلاسيكى الأصلى لمحاكمة الموتى أمام أوزيريس فى الحياة الأخروية.

وفى صياغة حديثة أدبية تنسب للدولة الحديثة سميت صور الصراع بين الإلهين باسم «الصراع بين حورس وست»، وبنى الصراع على أساس التنازع على امتلاك العين الشمسية للإلـه رع. كما صورت المحاكمة فى سلسلة من الجلسات أمام محكمة مجمع الآلـهة.

أسطورة أزيريس

قصة أوزيريس فى صورتها الأولى البسيطة اعتمدت على حوادث تاريخية واقعية حدثت فى الدلتا فى فترة مبكرة، والأسطورة لم تسرد فى أى نص مصرى قديم سرداً متتابعًا، وقد سرد المؤرخ اليونانى بلوتارخ الأسطورة فى سياق مقبول ومجموع النصوص المصرية القديمة التى وصلتنا عن الأسطورة يؤكد صحة هذا السياق.

تقول الأسطورة إن أوزيريس كان ملكًا عادلاً محبًا للخير يحكم مصر من مقره بالوجه البحرى، لكن أخاه ست وثب عليه فقتله بدافع الحسد. وحسب رواية بلوتارخ نفذ ست مخططه بإعداد صندوق فاخر ثم دعا أخاه إلى وليمة

فاخرة حضرها مع المتآمرين على قتله وأوهموا أوزيريس أن الذى يلائمه الصندوق يحصل عليه، فقام كل المتآمرين بتجربته ففشلوا طبعًا، وعندما حل الدور على أوزيريس وتمدد فى الصندوق أغلق الصندوق بسرعة بوضع الغطاء عليه وإحكام غلقة ثم ألقوه فى النيل.

وتستطرد الأسطورة فتقول إن ست أفلح فى سرقة الجثة وتقطيعها إلى أربعة عشر جزءًا ثم قام بتفريقها على أماكن مختلفة من أرض مصر. وقد تمكنت إيزيس بمساعدة أختها نفتيس من استعادة أشلائه كلها فيما عدا عضو تذكيره (هكذا قال بلوتارخ وهو هنا يعارض معظم الروايات القديمة)، وقد استخدمت إيزيس السحر حتى أمكنها إعادة تركيب جسد أوزيريس. ثم إنها حملت منه وولدت ولداً هو حورس (بالسحر أيضًا) وقامت إيزيس بتربية حورس سرًا فى الدلتا حتى بلغ أشده، فأخذ فى الصراع مع ست انتقامًا لمقتل أبيه، وبعد عدة معارك ظهر حورس على ست وهزمه.

ويرجع الفضل فى انتشار عبادة أوزيريس إلى كون العناصر التى بنيت عليها الأسطورة حقيقية، على الأقل فيما يتعلق بمعاناته، كما يرجع أيضًا إلى الأمل الذى يسببه التصديق بإمكان البعث بعد الموت.

وفى كتاب الفن وعالم الرمز صفحة «٣٧» يقول العالِم النفسى «يونج» الأساطير ليست إلا تعبيرات رمزية تصور مجريات الأمور فى أعمال النفس البشرية فى مقابل أحداث الطبيعة الخارجية ومن هنا يتخذ يونج من الرموز والأحلام مادة ثرية لدراسة الفن، ففيها تتجسد الأنماط الأولية للشعور الجمعى. فلما كان الحلم مشحون بالطاقة الانفعالية، فإن صورة الرمزية تعبر بواسطة المجاز عن القصد من الواقع بطريقة غير مباشرة، وبهذه الطريقة يتحدد ظهور محتويات اللاشعور عبر الأجيال، فتترك آثارها على شكل ومحتوى العقل البشرى ولما كان الفنان يطلع على مادة اللاشعور الجمعى بالحدس، فإنه يسقطها فى هيئة رموز، كصبغة للتعبير عن الحقيقة المجهولة، لذا فالرموز دائمًا تتميز بطاقة نفسية أكثر من معناها المباشر.

وفى صفحة (٤٣) من المرجع نفسه يقول المؤلف «أما «سيجموند فرويد» فقد نظر إلى الأساطير على أنها نتاج تفاعلات اللاوعى، وهكذا فسر قصة «نارسيسوس» على أنها ترمز إلى عقد «النرجسية»، أما «ميدوزا» التى لها شعر من الأفاعى، ونظرة تحيل الناظر إلى حجر فهى تمثل المرأة التى تخمد بمنظرها كل رغبة فى التقارب، والأسطورة من وجهة نظر عالم النفس، كارال يونج تكشف عن توافق إيقاعات النفس مع إيقاعات الطبيعة، وعن الصراع بين «النور والظلام» أو بين «الحق والباطل» وكان يونج قد اعتبر الأنماط الأولية «النماذج البدائية» التى هى مضمون اللاوعى الجمعى، إنها المسئولة عن صنع «الصور النمطية» المألوفة فى الأساطير، وفى الأحلام، وفى الفن، والتى وُجِدت منذ عصور سحيقة .. ولما بدت الأسطورة كموسوعة للأنماط النفسية، والانفعالات العامة، فذلك ما دفع الفنانين الحديثين إلى إحاطة الأساطير القديمة باهتمام جديد» .

«وعندما ينطلق الفنان إلى عالم الكشف، والأساطير، والرؤية الكونية الشاملة، فذلك يعنى أنه قد تعامل مع القيم والتقاليد على مستوى الحلم» .

وتعرض «إدوار بيرنت تايلور» فى دراساته الأنثروبولوجية للعديد من أنساق الرموز ومن رأيه أن الشعوب البدائية تتمتع بقدرة خاصة على صنع الأساطير، ويرجع ذلك إلى نظرتهم الشمولية إلى الكون، وإلى إيمانهم بحيوية الطبيعة لدرجة تصل إلى إمكانية تجسيد كل مظاهرها وفى ضوء ذلك توصل إلى أن الجوانب الرمزية فى الممارسات أو الشعائر السحرية، فى ثقافات القبائل البدائية بما تتضمنه من رموز لآلهة مجسدة، ليس إلا تجسيدًا لأفكار غامضة، عن الكائنات العليا التى تملأ الكون، والإنسان البدائى لا يدرك ما هيتها، لأنه كان لا يزال لا يميز بين الرمز (الإله المجسد) والفكرة التى يرمز إليها، فهما يختلفان معًا فى ذهنه».

الأساطير الفرعونية والرمز «صفحة ٤٥»

كان المصريون القدماء يستخدمون صور الكائنات كرموز تدل على أمور معنوية، ومن هذه الرموز الحية التى تمثل رمز الحكمة، والتى تصور على صولجان «أوزيريس» وتكلل تاج «إيزيس» وكانت كائنات «العالم الإلهي» بالنسبة للعقلية المصرية القديمة تدرك بـ «الرمز» الذى يحول عناصر ذلك العالم إلى مظهر ملموس، يدرك بالحواس، هكذا استخْدمت التصورات الأسطورية فى العقيدة الفرعونية، التى ظهرت فى هيئة رمزية، مثال البقرة السماوية وتمثل المرأة «نوت» وكذلك «المحيط السماوي»»، إنها تلد كل يوم عجلاً (هو الشمس)، حيث ينمو فحلاً، لكى ينجب عجل الغد، وقد اشتملت النصوص المنقوشة على جدران هرم آخر ملوك الأسرة الخامسة (الملك أوناس) على تعاويذ وأساطير، الغرض منها توكيد صعود الملك إلى السماء، الذى يصور على أنه قد حدث على أجنحة الصقر، وبقيت فكرة (العجل السماوي) ومضمونها أن من صور الملوك، فى هيئة «العجل» القوى المنتصر على أعدائه «رمز الملك» يهدم حصنًا، ويظهر الملك، على الوجه الآخر من الصلابة، وقد تزين رداؤه بذيل ثور.

المحيط البدائي

تحكى الأساطير المصرية القديمة عن «المحيط البدائي» أن التل البدائى قد برز فوق سطح الماء يحمل أول كائن حى وقد تمثل فى صورة «الثعبان» «الذى كان يعتبر الجسم الأول لأى إلـه» أو «العجل» أما فى بداية العصور التاريخية فقد صارت «الضفدعة رمز للبعث». إن الأساطير القديمة تشهد بأن الأعمال الفنية

الرائعة الخالدة قد اكتسبت الصفة الإنسانية لأنها قد نبعت من خلال اللاشعور الجمعى، وظهرت الأساطير كتعبير رمزى يصور ما يجرى فى أعماق النفس البشرية فى مقابل أحداث الطبيعة الخارجية، إن الأسطورة تعبير عن العالمين الداخلى والخارجى كما تفهم الأسطورة أحيانًا كمحاولة للتفسير ولذلك يطلق عليها البعض «علوم ما قبل عصر العلوم» ويتناول إرمان الأساطير فأشار إليها فى النقاط التالية:

ففى ص«١٠٢» قال: «الأساطير التى تعتبر فى مجموعها ذات طابع إنسانى قريبة إلى الفهم» .

وفى ص«٧٢» «الأساطير جعلت من الآلهة كائنات حية لكل منها صفاته الخاصة، بل هى التى دفعت الناس إلى الشعور نحو البعض منها بالحب ونحو البعض الآخر بالكره والبغضاء فالأساطير هى التى جعلت من «إيزيس: إلـه طيبة ومن ست إلـها مكروهًا» .

وفى ص «٧١» «القصص الخرافية .. قد حبكت وتداولها الناس كأساطير محببة إلى قلوبهم؛ لأن آلـهة فيها تشبهوا ببنى الإنسان فهم يتعاملون ويحبون ويكرهون، ومن ثم فقد خلعوا عنهم فى ذلك الرداء الذى يجعلهم بعيدين عن متناول يد الإنسان» .

وفى ص «٧٤» قال «الحقائق: الهواء يفصل بين السماء والأرض والأساطير: «شو» الذى يمثل الهواء يحمل نوت» السماء .

وفى ص«٧٥» «الشمس تختفى فى الغرب وتظهر اليوم التالى فى الشرق وتخيل رجل اللاهوت يوم الحساب هناك «تحت الأرض» وصراع الشر مع الخير ولكن تعد الشمس للإشراق «أى تنتصر» .

الخلط فى القصص

فى ص «٧٦» «حتحور إلـهة الحب والجمال تصبح سعيدة لأنها أهلكت البشر فى أسطورة هلاك الجنس البشرى وبهذا يخلط المؤلف الشخصية الممثلة للحب والجمال بالشخصية المفترسة فى الأسطورة» .

وفى ص«٩١» «نجد للآلـهة إحساس بشر «استياء- حزن – غضب – سخرية – ضحك – كشف فى عورة» .

كما نجد فى ص«٩٢» «ألاعيب بشرية يلعبها الإلـه من ذلك إيزيس تعطى رشوة – وتستعمل السحر وتقوم بالإغراء وتأخذ اعترافًا وتقوم بالخداع» .

الأساطير ومدلولها

(١) أسطورة فرس النهر الأحمر:

يبدأ صراع مرير بين حورس بن إيزيس والإلـه ست فإذا بالإلـه ست يتحول إلى فرس نهر أحمر اللون ويصعد النهر نحو مصر العليا، ويقتفى حورس أثره مبحرًا فى النهر نحو مدينة إدفو، ويفر ست هاربًا وقد تحول أنصاره إلى تماسيح تسبح فى نهر النيل، وحينئذ يقتفى حورس الإدفوى أثره ويلاحقه فى النيل ويبدأ صراع مرير عبر نهر النيل، ينتهى بانتصار حورس البحدتى، الذى يصل إلى مدينة «بوتو» وسلم منصب أوزيريس إلى ولده حورس بن إيزيس ويرتل الإلـه جحوتى أنشودة انتصار حورس الإدفوى الإلـه العظيم سيد السماء ورب مسن وسيد مصر العليا ومصر السفلى.

أما ولادة الطفل حورس كان فى بلدة «خميس» فى شمال الدلتا بجوار «بوتو».

(٢) أسطورة قرص الشمس المجنح «عبى - ور»

وفيها تقمص حورس الإدفوى شكل القرص المجنح، ووقف فى مقدمة مركب الإله رع وأخذ معه نخبت إلهة الصعيد وأوتو إلهة الدلتا، اللتين تأخذان هيئة الصل كى تدخلا الرعب فى أوصال التماسيح وأفراس النهر حيثما حلوا فى مصر العليا أو السفلى.

وحدث مشاهد قتال مروعة وفيها هاجم حورس ومعه أنصاره أعدائه وهزمهم وجلب ٣٨١ أسيرًا منهم وذبحهم أمام مركب رع.

ومن ضمن الأسطورة قال «رع – حور - اختي» لـ «جحوتي» وهو النطق الصحيح لإله الحكمة «وينطقه بعض الناس توت أو تحوت» «لتضعن وهو القرص المجنح فى كل مكان قد استرحت أنا فيه، وفى أماكن آلهة مصر العليا والسفلى أيضاً «يلاحظ أن شكل القرص المجنح ينقش على كل مدخل أو بوابه أو محراب فى كل معابد مصر» .

(٣) أسطورة انتصار حورس على أعدائه «مسرحية مقدسة»

نص المسرحية مصور على السور الخارجى لمعبد إدفو أو بالسطح الداخلى للجدار الغربى.

وتتكون المسرحية من ثلاث فصول، وتحكى انتصار حورس بن أوزيريس وإيزيس على عدوه الذى اغتال أباه.

(٤) أسطورة التكوين فى معبد إدفو:

«تحتم الأسطور بعد أن تم خلق الحراس وهزيمة الثعبان وانتصار الإله وبالمثل سوف ينتصر الفرعون» .

مكان الأسطورة فى السور المحيط بالمعبد/ الجدار الشرقي/ السطح الداخلي/ الصف العلوي/ الصورة الثانية عشرة.

الإلـه يخلق الأشياء بمجرد نطق اسم الشيء.

طقوس تأسيس المعبد المصري

المعبد المصرى كما هو معروف هو بيت الإلـه بر – نتر وقد جدد الإلـه بنفسه أوصاف منزله «المعبد»، ومساحته وعناصره تحديدًا دقيقًا، وقد استطاع إمحوتب المهندس والوزير – الذى أصبح إلـها فى العصر المتأخر – أن يجمع كل الطقوس الخاصة بتأسيس المعبد المصرى فى كتاب اسمه كتاب تأسيس المعبد الخاصة بآلهة التاسوع، والكتاب يحدد التصميم المعمارى للمعبد «سنتى –ور» ومعناه الرسم العظيم.

وتبدأ الطقوس ليلاً حتى يتمكن الملك ومساعدوه من الفلكيين من تحديد جهة الشمال بدقة شديدة وذلك بالاتجاه نحو النجم القطبى. ويكون محور المعبد فى العبادة شرقيًا غربيًا متفقًا مع مسار الشمس مثل معبد الكرنك، وقد يكون المحور شماليًا جنوبيًا كما هو شأن معبد إدفو.

ثم يقول الملك تساعده الإلـهة «ستشات – سفخت – عابو» أى ذات القرون السبعة، بتحديد الزوايا لأركان المعبد. وذلك بواسطة حبل «شى» وتقسم إلى اثنى عشر قسمًا متساويًا، ويعد الملك ثلاثة أقسام ويدق الوتد الثانى، والوتدان يثبتان فى الأرض جزءًا من الجبل به أربعة أقسام، ثم يمسك الملك بالطرفين ويضمهما إلى بعضهما ويجذب الطرفين نحوه فيكون مثلثًا قائم الزاوية، وذلك دون الحاجة إلى استخدام أية آلة هندسية.

الضلع القائم الرأسى من المثلث وطوله ٣ مساحات يمثل أوزيريس، والضلع الأفقى وطوله ٤ مساحات يمثل إيزيس، والضلع المائل الوتر من المثلث يمثل حورس.

ولقد درس الرياضى اليونانى فيثاغورث فى مصر وتثقف بعلومها ثم رحل إلى بلاده ونسب إلى نفسه هذه العلوم، وصور المثلث الملكى الذى شرحناه على أنه نظرية هندسية من اكتشافه، ومن المؤسف بل الأمر المهين للحضارة المصرية العريقة أن المدارس المصرية – بل الجامعات – تدرس هذه النظرية باسم نظرية فيثاغورس بدلا من أن تنسبها إلى أصلها العريق.

إن الملك ومعه «ستشات» يقدمان بمد الحبل لصنع الزوايا القائمة لأركان المعبد، وهذا الطقس يسمى بالمصرية القديمة «بجح - شس» ومعناه حرفيًا «مد الحبل» كما سبق ذكره.

بعد ذلك يقوم الملك بحفر الأساسات بواسطة آلة تسمى «با» وطقس حفر الأساس اسمه بالمصرية «با - تا» ويحرص الملك على أن يصل حفر الأساس إلى مستوى الماء الجوفى.

ثم يقوم الملك بصب الرمل فى خنادق الأساس لكى يتم البناء فوق أرض صلبة والمعروف أن الرمل يصفى الماء الجوفى ويبقى الأساس يابسًا. ويسمى طقس صب الرمل بالمصرية«ويسن - شع» .

بعد ذلك يقوم الملك بصنع قالب من الطوب المصنوع من الطين والماء ويضعه فى أركان المعبد الأربعة.

ثم يضيف الملك إلى القوالب مجموعة من السبائك النفيسة من الذهب والفضة وبعض الأحجار النفيسة مثل اللازورد والفيروز، وذلك فى أركان الأساسات الأربعة ويسمى وضع قالب الطوب اللين بالمصرية «سخت - جبت» بعد ذلك يضع الملك بيده حجر الأساس.

ملحق رقم ٢

١ – تمثالا الأمير «رع – حتب» وزوجته الجميلة «نفرت» (اسمها يعنى بالعربية : «جميلة» أو «صبية») من مصطبتهما شمالى هرم ميدوم – حجر جيرى ملون – حوالى ١٢٠ سم – أداء فنى كله البساطة فى دقة ومقدرة والطبيعية فى جمال وجلال الزوجة لقبت بالنبيلة (حرفيًا: «المعروفة لدى الملك»)، أما «رع – حتب» فإن تتابع ألقابه وتكرار اسمه لمرتين عن يمين ويسار المشاهد لتمثاله قد جاء على النحو التالى (كبير كهنة الشمس فى أونو «هليوبوليس» الأوحد والأعظم بالنسبة لقاعة الطعام الملكية – رئيس شئون الصولجان الأكبر فى جبهة العمل – الأوحد والأعظم (بين) مجموعة الشبنتيو (= سقاة الملك) – ابن الملك من صلبه «رع – حتب» – «عظيم مدينة «ب» (بوتو – وهى إبطو الحالية بمحافظة كفر الشيخ » المشرف على أعمال القطع والنقل – قائد الجيش – قائد فريق (القافلة الملكية) ابن الملك من صلبه «رع – حتب» – الأسرة الرابعة «عهد الملك سنفرو».

٢ – التمثال العاجى الصغير حوالى ٧.٥ سم للملك خوفو – المذبة فى يده اليمنى – التاج الأحمر فوق رأسه – الاسم الحورى: «حور مجدو» وتعنى بالعربية «حورس القناص» أى «حورس الذى يصيب الهدف» بجوار ساقه اليمنى على عرشه البسيط – من معبد خنتى إمنتيو/ أوزير بأبيدوس – الأسرة الرابعة. ونظرًا لدقة تنفيذ ملامح الوجه فى هذا التمثال الصغيره، فإنه يعتبر وسيلتنا الأساسية فى تأريخ بعض الرءوس الملكية «الرأس الجرانيتى ببروكلين مثلا» ونسبتها إلى عهد هذا الملك. كما وأن R. stdelmann يرى شبهًا وتطابقًا بين ملامح أبى الهول بربوة الجيزة وبين هذا التمثال، الأمر الذى جعله يربط بين خوفو وأبى الهول، ونرى أن أبا الهول (بسبب وجود معبد الشمس من أمامه، والذى بنى فى عهد خفرع) قصد به أن يكون هيئة لخوفو الذى أراد أن يكون

تجسيدًا حقيقيًا لرب الشمس أمام أعين الناس، وأن مشروع نحت هذا التمثال الخالد قد ارتبط بعهد صاحب الهرم الأكبر، ولكنه اكتمل فى عهد خفرع.

٣ - التمثال الأشهر للملك «خفرع» «رابع ملوك الأسرة الرابعة وصاحب الهرم الثانى بربوة الجيزة» - الصقر حورس يلتحم بخلفية النمس «غطاء الرأس الملكي» العرش الحيوانى المميز - روعة التنفيذ فى كل شيء «الدقة فى النسب والملامح والتفاصيل وكذلك الصقل بالرغم من شدة صلابة الحجر» ديوريت توشكى «ديوريت خفرع» -١٦٨ سم - من معبد الوادى للملك بربوة الجيزة.

٤ - الملك «منكاورع» «ابن الملك خفرع وصاحب الهرم الثالث على ربوة الجيزة» يتوسط كل من الربة «حتحور» ورب إقليم «واست» «طيبة أو الأقصر الحالية » الملك يضع تاج الصعيد الأبيض ويرتدى النقبة الملكية القصيرة المعروفة باسم «شنديت» «أو شندوت» الملك والمعبود يضمان القبضتين على شيء أسطوانى قصير - الربة تبسط الكفين بحذاء الساقين وتاجها الحتحورى يميزها - علامة «واس» فوق حامل «إيات» على رأس رب إقليم طيبة - شست - ٩٥.٥ سم - من معبد الوادى للملك منكاورع.

٥- تمثال «كا - عبر» «شيخ البلد» الذى يظهر فى هيئة طبيعية «بدون الباروكة» - استدارة الوجه والرأس مع بريق العينين المطعمتين وامتلاءة الجسم - تثبيت الذراعين فى منطقة الكتفين بواسطة المسامير الخشبية الذراع الأيمن « من قطعة واحدة» كان يمسك فى الأصل بالصولجان - الذراع الأيسر «من قطعتين» يمسك الآن بعصاة طويلة حديثة بدلاً من التى ضاعت - خشب الجميز - حوالى ١١٢ سم - من مصبطة فى شمالى سقارة بالقرب من هرم الملك أو سركاف (الهرم المخربش) بداية الأسرة الخامسة.



١



٢



٣

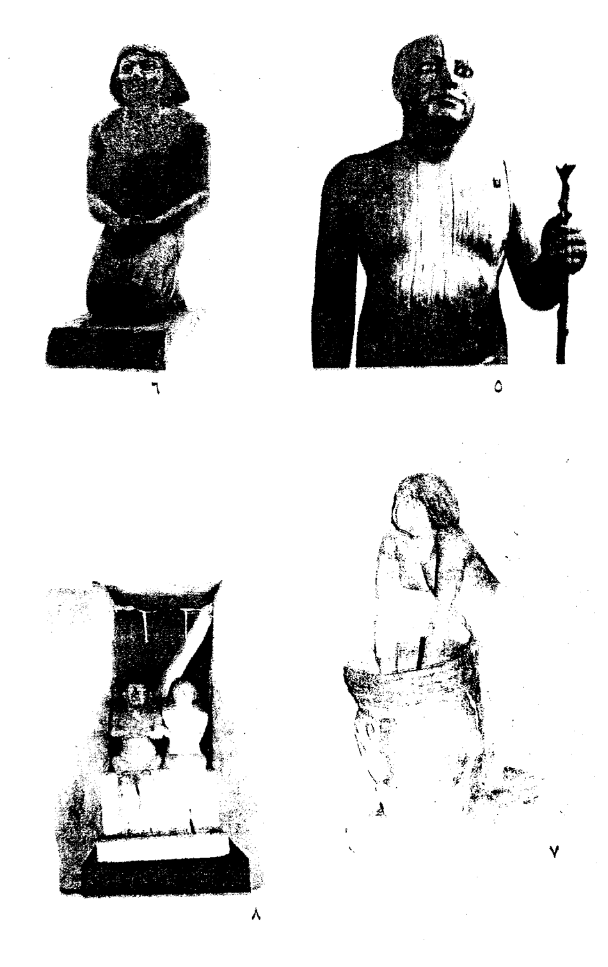


٤

٦ – كاهن الروح «كا – إم – قد»، الذى يظهر فى هيئة رسمية «الباروكة – الجسد المتناسق – النقبة القصيرة» راكعًا متعبدًا «قارن وضع الكفين المتداخلتين فى تقاطع» ملامح الوجه توحى بالسماحة والرضا – نقش القاعدة يذكر اسم سيده «ور – إر – ني» الذى كان مقدرًا أن يقوم «كام إم قد» على خدمته فى العالم الآخر حيث عثر على هذا التمثال فى قبر هذا العظيم بسقارة – حجر جيرى ملون – حوالى ٤٣ سم – الأسرة الخامسة.

٧ – خادمة تقوم بعصر الجعة فى مصفاة على شكل سلة موضوعة فوق فوهة قدر كبير «له صنبور صغير» وقد وضع بدوره فى داخل وعاء يبدو أنه من نفس مادة المصفاة – الخادمة يميزها قوة البنيان واكتناز الوجنتين بملامح تتناسب مع رقة حالها، وظهور بعض من شعرها الطبيعى عند الجبين أسفل الباروكة، وأخيرًا نقبتها الطويلة وصدريتها التى بهتت ألوانها – حجر جيرى ملون – حوالى ٢٨ سم – من مصطبة سيدها «مرسوعنخ» بربوة الجيزة – أواخر الأسرة الخامسة – يلاحظ أن الفنان قد تغاضى عن جعل لون بشرتها يميل إلى اللون الأصفر الفاتح، والذى كان يعطى عادة للنساء وجعلها بلون بشرة أقرب للون الرجال.

٨ – المجموعة الصغيرة للقزم «سنب» وعائلته – من مصطبته «سرداب إلى الشمال من الباب الوهمى للزوجة» بربوة الجيزة – حجر جيرى ملون – حوالى ٣٤ سم – على مقعد كتلى بسيط يجلس فى هيئته الطبيعية «بدون باروكة» وتركيبته الجسمانية القزمية صاحب المصطبة، والذى كان أحد وجهاء زمانه بإشرافه على قرنائه العاملين بالقصر الملكى وعلى إعداد الثياب الملكية، وقيامه بأعمال الطقوس الجنائزية على روح كل من الملكين «خوفو» و«جدف رع» وإلى جواره تجلس زوجته « سنت – ايت – اس» «كاهنة حتحور ونيت» وهى تضفى لمسات الحنان والمودة باحتضانه ذراعها الأيمن ولمسة يدها اليسرى لزوجها المستكين فى شموخ – الابن والابنة يكملان الفراغ أسفل هيئة الأب الذى يضم ساقيه القصيرتين إلى بعضهما البعض فى جلسته – تفريغ كامل لهيئة كل من سنب وزوجته فوق المقعد – صندوق من الحجر الجيرى كان بمثابة المقصورة التى حوت التمثال داخل السرداب – نهاية الأسرة الخامسة أو بداية السادسة.



٦

٥

٨

٧

٩- تمثال صغير من النحاس (حوالى ٧٥ شم) يفترض أنه لصاحب السمو الملكى وولى العهد الأمير «مرى - إن - رع» «يلاحظ مكان تثبيت حية الكوبرا uraeus» على جبينه وأنه لا يضع تاجًا أو «نمس» فوق رأسه» . والذى سوف يصبح الملك «مرى إن رع» الأول من بعد موت أبيه الملك «ببي» الأول صاحب التمثال الآخر والأكبر من النحاس «حوالى ١٧٧ سم» بالمتحف المصرى بالقاهرة - التمثالان لعلهما كانا يقفان على قاعدة واحدة وقد عثر عليهما فى معبد حورس فى هيرا كونبوليس - الأسرة السادسة.

١٠- التمثال الصغير «حوالى ١٦ سم» للملك ببى الثانى من المرمر المصرى «البستر» - من معبده الجنائزى بسقارة القبلية «بالقرب من حجرة المشكاوات الخمس» - القاعدة عليها كتابة تؤكد أن صاحب التمثال هو «ملك الصعيد والدلتا «نفر - كا - رع» اسم العرش للملك ببى الثانى لعله يعيش أبدًا » الملك يظهر عاريًا فى الهيئة المصرية القديمة التقليدية لطفل صغير «يضع إصبعه السبابة على فمه» وقد جلس أرضًا بركبتين مرفوعتين ثعبان الكوبرا المثبت على قلنسوة أو طاقية حابكة على رأسه هو الإشارة الوحيدة «إلى جانب نص القاعدة» الدالة على أننا أمام ملك يظهر فى وضع وهيئة حورس الطفل (hr p٣ hrd) الأمر الذى يرفعه إلى مكانة الآلهة - البعض يرى أن الهيئة هنا جاءت بسبب أن ببى الثانى كان قد ارتقى العرش صبيا - ونرى أن الطفل الذى يجسد شمس الصباح بداخل قرص الشمس يكون عادة بمثل هذه الهيئة - الأسرة السادسة.

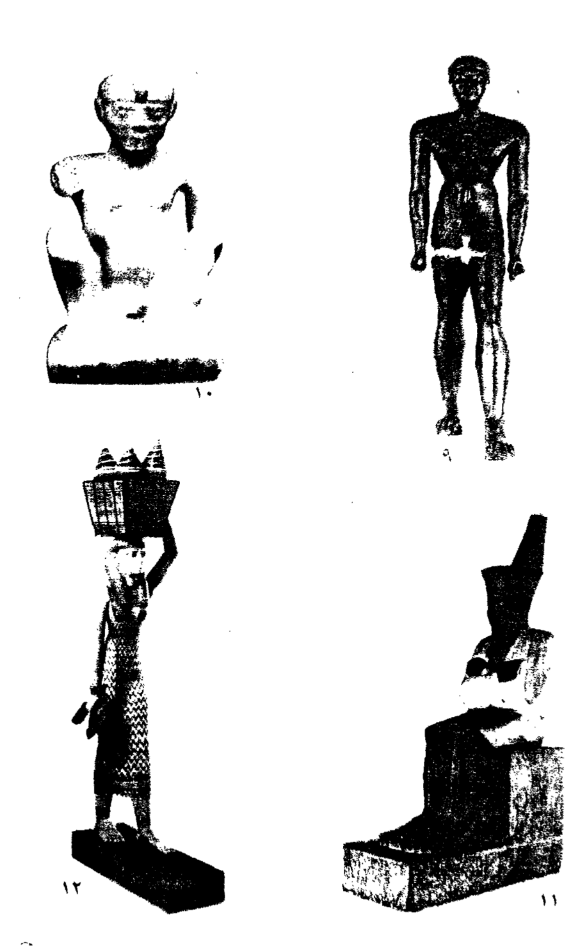
١١- تمثال الملك «منتوحتب - نب حبت رع» الموحد الثانى للأرض المصرية بعد «حور - عحا» (منى أو مينا) - من الدفنة الرمزية « باب الحصان» بالدير البحرى أسفل مجموعة الملك الجنائزية هناك وكان H. CARTER قد عثر عليه فى حجرة دفن عليها أختام غلقها INTACT وكان بجوار تابوت فارغ يظهر كمومياء غطيت بلفائف التحنيط الملك يجلس على عرش بسيط فى الهيئة الأوزيرية بلون داكن «لون الخصب والبعث»، وقد وضع تاج الشمال الأحمر، واتخذ لحية الأرباب المعقوفة، واتشح بعباءة «عيد السد» أملاً ورغبة فى أن يكون فى الآخرة هو أوزيريس صاحب الحياة الأبدية والملك الذى لا يفنى التاج الأحمر

لعله يرمز إلى أرض الشمال التى فيها ولد حورس فى خميس عند بوتو حجر رملى ملون – ١٣٨ سم – الأسرة الحادية عشرة.

١٢- حاملة القربان – خشب ملون – ١٢٣ سم – من مقبرة الموظف «مكت – رع» الدير البحرى – تجسيد رائع لفتاة رشيقة القد، مزخرفة (مزركشة) الثوب والحلى «لاحظ التطابق والتناسق بين ألوان الصدرية وإسورة المعصم وسوار القدم «الخلخال» مع ألوان الثوب » تخطو فى تؤدة على قاعدة مستطيلة وهى تسند بيدها اليسرى سلة صغيرة على رأسها حوت أربعة آوان عليها سداداتها، وتقبض باليمنى على جناحى بطة صغيرة، التمثال يعبر عن الخير والقربان الذى لا ينقطع عن المتوفى فى العالم الآخر، وبمثل ما تجسده مناظر رموز الضياع فى مقابر الأشراف اعتبارًا من نهاية الأسرة الرابعة – الأسرة الحادية عشرة – عهد الملك منتوحتب الثالث – سعنخ كارع.

١٣- التمثال المزدوج لأمنمحات الثالث فى هيئة «حعبي» «إلـه النيل» الذى يجلب الخيرات (أسماك وطيور ونباتات مائية تعبر عن البيئة النيلية) – جرانيت أشهب – ١٦٠ سم – تانيس «صان الحجر» عمل فنى فريد فيه الدقة والتكامل والتناسق فى كل شيء – الباروكة واللحية قصد بهما أن يتحول الملك عن هيئته الملكية المعتادة إلى أخرى تتناسب مع فكرة التشبه برب الخيرات «حعبي»، والذى نراه على قواعد التماثيل الملكية «لسنوسرت الأول من اللشت مثلا» فى هيئتين متقابلتين «نيل الصعيد ونيل الدلتا» الطريف أن الفنان قد جعل أمنمحات الثالث فى واحدة من الهيئتين يحرك ساقه اليمنى لكى تتقابل مع حركة اليسرى فى الهيئة الأخرى – الأسرة الثانية عشرة «وجود اسم الملك «بسوسينس» الأول «الأسرة الحادية والعشرون» لا يعنى أنه كان صاحب التمثال» .

١٤- تمثال الكا للملك «حور» اسم العرش: « أوت إب رع» أحد الملوك الضعاف فى النصف الأول للأسرة الثالثة عشرة – خشب كان ملونًا تغطيه رقائق من الذهب فى بعض المواضع – ١٧٠ سم – من قبره المتواضع شمالى هرم الملك أمنمحات الثالث بدهشور – الملك يخطو على قاعدة خشبية واضعًا علامـة «كـا»


١٠
٩
١٢
١١

فوق رأسه إشارة إلى أن التمثال هنا يجسد القرين بالنسبة للملك المتوفى، ويتخذ اللحية المعقوفة للأرباب، وكان فى الأصل ممسكًا بريشة العدالة «ماعت» فى يده اليمنى وفى اليسرى صولجان طويل – التمثال عثر عليه داخل ناووسه الخشبى «٢٠٧ سم» ، والذى لعله كان بديلاً عن سرداب أو مقصورة لقبر الملك المتوفى – يفترض أن منطقة العورة كانت مغطاة برقائق ذهبية كانت مثبتة ومتصلة بحزام حول الخصر.

١٥– التمثال المرمرى للملك تحتمس الثالث – حوالى ٢٦ سم – عثر عليه بالقرب من أسوار معبد «حتحور» فى دير المدينة «طيبة الغربية» الملك بغطاء الرأس الملكى «نمس» وحية الكوبرا، يرتدى النقبة الملكية «شنديت» ويخر راكعًا فوق قاعدة مربعة مقدمًا إنائى «نو» المخصصة لتقدمة الشراب «لبن أو خمر» إلى ربه «آمون – رع»، بحسب ما هو مسجل على عمود الظهر – كان الملك خعفرع فى الأسرة الرابعة هو أول من ظهر فى تمثال فى الوضع راكعًا ومقدمًا القربان وتبعه بعد ذلك الملوك الفراعنة – التمثال هنا لعله كان مكرسًا لأحد المعابد أو الهياكل التى بناها تحتمس الثالث فى طيبة الغربية، وخصوصًا فى منطقة الدير البحرى.

١٦– تمثال البقرة «حتحور» التى تحمى وترضع الملك ومقصورتها التى يظهر على جداريها الطويلين نفس الموضوع «البقرة والملك» فى حين يصور آمون رع «سيد عروش الأرضين ورب السماء» على عرشه على الجدار الخلفى وتحتمس الثالث يقدم له القربان – من منطقة الدير البحرى، ومن المنطقة الضيقة الواقعة بين معبد تحتمس الثالث ومجموعة الملك «منتوحتب – نب حبت رع» التمثال يعتبر عملاً فنيًا متميزًا من أعمال فنون النحت – ليس فقط فى الدولة الحديثة، بل أيضًا بالنسبة لمصر القديمة بصفة عامة – حجر رملى ملون – ارتفاع : حوالى ٢٢٥ سم ، طول: حوالى ٢٢٧ سم، البقرة المتواجدة فى منطقة أحراج «إحاطة سيقان البردى بمنطقة العنق» يظهر الملك أمنحتب الثانى «بحسب اسمه المسجل فى خرطوش على رقبة البقرة» واقفًا تحت رأسها فى وضع تعبدى ثم مرة أخرى ناحية اليمين فى نقش بارز وهو يرضع لبنها المقدس – المعروف أن حتحور التى كانت ربة السماء وأم «حورس» بالرضاعة هى سيدة عالم الموتى فى طيبة الغربية ، وفى منطقة الدير البحرى على وجه الخصوص – الأسرة الثامنة عشرة.



١٣



١٤



١٥



١٦

١٧- رأس تمثال كبير للملك أمنحتب الرابع «إخناتون» من بداية حكمه - معبد «آتون» بالكرنك - حجر رملى - ارتفاع: حوالى ١٥٠ سم - الملك بملامحه المميزة التى صار معروفًا بها فى كل أعماله الفنية «الوجه طويل باستطالة ملحوظة فى الأنف والذقن - العينان ضيقتان بجفون بارزة محددة - الفم واسع بشفتين غليظتين» - الجزء العلوى من غطاء الرأس الملكى «نمس» تزينه، بالإضافة إلى حية الكوبرا، أربع ريشات كإشارة واضحة إلى أن الملك يجسد هنا «شو» ، رب الضياء والفضاء والذى كان ابنًا لآتوم / رع رب الشمس وسيد التاسوع فى هليوبوليس، وكان لقبه الرئيسى «ابن رع» الأمر الذى يتوافق ويتطابق مع توجهات الملك الداعية إخناتون، والذى أراد أن يكون الابن الأوحد لرب الشمس «آتون».

١٨ - رأس الملكة «نفرتيتي» «زوجة إخناتون» - حجر رملى صلد «=كوارتزيت» - ٣٥.٥ سم - تل العمارنة «من ورشة أحد الفنانين » - أداء فنى رائع برغم عدم انتهاء الفنان من عمله «يلاحظ وجود بعض الخطوط الإرشادية على الرأس» كما وأنه كان مقدرًا أن يتم تثبيت هذا الرأس على تمثال بعينه للملكة - ملامح فيها جمال الأنوثة ورقتها، وتوحى بشخصية كلها الذكاء والثقة فى النفس، وبمثل ما تشير به الشواهد الأثرية بالفعل - تحديد منطقة تثبيت غطاء الرأس - والذى لعله كان على شكل باروكة ضخمة سوف تغطى منطقة الأذنين، وبما يفسر عدم إبرازهما.

١٩- الملك «توت عنخ آمون» فى قاربه يهم بتوجيه طعنة بالحربة التى فى يمينه إلى العدو الأزلى «المتخيل» «ست» ، والذى كان يتجسد عادة فى هيئة فرس النهر أو التمساح - من قبر الملك بوادى الملوك «طيبة الغربية» - ارتفاع: ٦٩.٥ سم - خشب مذهب مع تلوين القارب وتذهيبه عند المقدمة والمؤخرة فقط - الحربة والنصل وحية الكوبرا من برونز مذهب - الحبل باليد اليسرى من البرونز، ويكون فى المناظر المصورة مربوطًا بالحربة لتسهيل عملية الطعن والسحب أكثر من مرة - شكل القارب يوحى أنه كان من سيقان البردى - تطعيم عينى الملك من مادة زجاجية وأوبسيديان داخل إطار من البرونز - الموضوع هنا «الملك بتاج

الشمال الأحمر فى قاربه يطعن بالحربة فرس النهر!» يتكرر منذ الأسرة الأولى «عهد الملك دون» وإلى آخر العصور البطلمية والرومانية – المعنى ببساطة هو تجسيد لانتصار حورس على عدوه، والذى هو انتصار الخير على الشر.

٢٠- طفل الشمس «رع – مسى – سو» «=رمسيس الثاني» فى كنف الرب «حورون» «فى هيئة الصقر» – من تانيس «صان الحجر بشرق الدلتا» – جرانيت أشهب «منطقة العينين والمنقار فى هيئة الصقر نحتت من قطعة منفصلة من الحجر الجيري» – ارتفاع حوالى ٢٣٠ سم – المعبود «حورون» كان يعبد فى بلاد الشام، ولعله كان المعبود الأكبر بالنسبة لمجموعات السوريين الذين عاشوا فى أحياء خاصة بهم فى رحاب منطقة «منف» «خصوصًا عند الجيزة» فى عصر الدولة الحديثة، والذين ربطوا بينه وبين المعبود المصرى الأشهر «حور – إم – آخت» «=أبو الهول بربوة الجيزة» . الأمر الذى دفع R.STADELMANN إلى افتراض أن تمثال رمسيس الثانى وحورون كان قائمًا يومًا عند أبى الهول بالجيزة قبل أن يتم نقله فى عهد الملوك التانيسيين، اعتبارًا من الأسرة الحادية والعشرين، إلى حيث عثر عليه – الملك فى هيئة طفل «يقارن تمثال الملك ببى الثانى «رقم ١٠» من سقارة» يضع قرص الشمس فوق رأسه، ويمسك بعلامة «سو» الهيروغليفية فى يساره، وبها يكون فى النهاية الاسم الملكى: «رع «=قرص الشمس» مسى «الطفل» –سو «نبات الحلفاء»»، ويحقق فى ذات الوقت هيئة فيها القداسة والتأليه لملك كان مغرمًا برفع نفسه إلى مصاف الأرباب – الأسرة التاسعة عشرة.

٢١- القناع الذهبى للملك التانيسى «بسوسينس» الأول «الأسرة الحادية والعشرون» – من مقبرته برحاب معبد آمون بتانيس – ذهب وعجائن باللونين الأسود والأبيض لتطعيم العينين والحاجبين، مع جعل ما يشبه الخيط «مطعم باللازورد» على جانبى الوجه ليتصل باللحية المعقوفة «لحية الأرباب» – ارتفاع: حوالى ٤٨ سم – الملك يرتدى غطاء الرأس الملكى «نمس» بحية الكوبرا عند الجبين، ويتزين بصدرية «وسخ» المتنوعة الزخرف – القناع الذهبى على وجه المومياء الملكية «أو غير الملكية» كان لكى يضمن للمتوفى سطوع نور الشمس «=تجدد الحياة» فوق وجهه إلى الأبد، وذلك للربط بين هـذا المعدن النفيس الـذى



١٨ ١٧

٢٠ ١٩

لا ينقطع بريقه وبين أشعة الشمس الذهبية، الأمر الذى يفسر لنا كيف أن بشرة وجسد الأرباب فى مصر القديمة كان من الذهب الخالص.

٢٢- مجموعة من الأوانى الذهبية التى عثر عليها فى مقبرة الملك «بسوسينس» الأول بتانيس وتدل على المقدرة الفائقة صنعة والذوق الرفيع شكلاً - الإبريق الذى يطول عنقه لينتهى بشكل زهرة اللوتس «٣٨ سم» - إناء «قبح» كبير لسكب الماء له صنبور صغير وعليه اسم ابن وخليفة «بسوسينس» الأول الملك «آمون - إم - أوبت» - إناء «قبح» صغير عليه اسم الملك الخالد «إعحمس» الأول طارد الهكسوس ومؤسس الأسرة الثامنة عشرة «حوالى ١٤.٥ سم» - وعاء صغير له رقبة قصيرة وبدن تزينه حزوز طولية متتابعة وعليه اسم كل من «بسوسينس» الأول وأمه حوالى ٧.٥سم- مغرفة لها مقبض طويل ينتهى برأس بطة ملوى وعليه اسم كل من «سبوسينس» الأول وزوجته «الطول: ٣٠ سم» - الأسرة الحادية والعشرون.

٢٣- تمثال زوجة آمون الإلهية «آمون - إر - دى - إس» الأولى «ابنة الملك الكوشى «كاشتا» وشقيقة خليفته «بعنخي» «=بيي» فى الأسرة الخامسة والعشرين» - مرمر مصرى «ألبستر» - ١٧٠ سم - من مقصورتها فى معبد «مونتو» برحاب معابد الكرنك - طيبة الشرقية - على قاعدة التمثال المنخفضة، التى وضعت فوق أخرى عالية من البازلت، تقف الأميرة الكوشية ذات الملامح المصرية، والتى كانت صاحبة الكلمة العليا فى بيت آمون - رع «الكرنك» وقد قبضت بيدها اليمنى على طرف قلادة «منيت» «نوع من الصلاصل الحتحورية الطابع ذات المعنى التمائمى والاستخدام الطقسى الواسع»، وأمسكت باليسرى، التى تضعها أسفل صدرها المذبة التى صارت، اعتبارًا من الأسرة الثامنة عشرة واحدة من أهم شارات الملكات - الباروكة يزينها الغطاء الريشى للربة «نخبت» وحيتان للكوبرا على الجبين، والأذنان مثبت بهما قرط بسيط على شكل خرزة، وفوق الرأس قلنسوة من حيات الكوبرا كانت لوضع التاج الحتحورى ذى الريشتين «من ذهب وأحجار كريمة» من فوقها - المعروف أن تمثال الأميرة الرقيقة كان ملهما للعالم الفرنسى A.MARIETTE الذى أقبل - من بعد

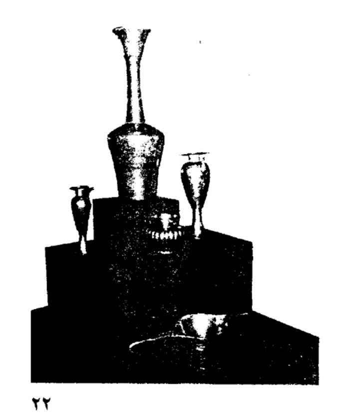
العثور عليه – على كتابة أوبرا «عايدة» .

٢٤– تمثال ربة الأمومة والولادة «تا – ورت» – شست أخضر –٩٦ سم – عثر عليه فى موضع شمال معبد الكرنك، وكان بداخل ناووس من الحجر الجيرى عليه منظر زوجة آمون الإلـهية «نيتوكريس» الأولى ابنة الملك الصاوى «بسمتيك» الأول «مؤسس الأسرة السادسة والعشرين» ، وهى تقدم «أو تهز» الصلاصل «SISTRUMS» أمام هيئة مماثلة لنفس الربة ومعها الحتحورات السبع «من ربات الولادة والحماية وتقدير حظ وقدر المولود» – التمثال – كما هو وارد على قاعدته المرتفعة – كان مكرسًا من قبل «باباسا» المشرف العام على بيت زوجة آمون الإلـهية «نيتوكريس» الأولى - «تا - ورت» تظهر هنا بهيئتها التقليدية المركبة من رأس وجسد فرس النهر ومخالب الأسد وذراعى البشر وذيل التمساح المتصل بظهرها، وهى تستند بمخلبى الذراعين على علامتى «سا» الهيروغليفيتين، وبها يعنى أنها التى تمنح «الحماية» – القلنسوة فوق رأسها كانت لتثبيت التاج الحتحورى الذى عادة ما تظهر به – الطريف أن «تا – ورت» تقف على ساقيها القصيرتين محركة – حسب تقاليد الفن المصرى القديم – الساق اليسرى إلى الأمام.

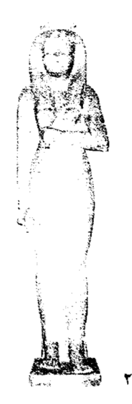
٢٥– تمثال رجل البلاط الموظف الكبير «بسمتيك» والبقرة «حتحور» من قبره بسقارة – شست – حوالى ٩٦ سم – عمل فنى فى غاية الدقة والكمال – الفكرة ذاتها شهدناها فى حالة بقرة الدير البحرى من عهد الملكين «تحتمس» الثالث وابنه «أمنحتب» الثانى «انظر رقم ١٦ فى هذا الملحق» – الحماية تسبغها هنا أيضًا «حتحور» وبمثل ما كان عليه الحال فى الهيئات الملكية، غير أن «بسمتيك» لم يسمح لنفسه أن يظهر فى وضع الملك الذى يرضع لبن أمه الربة «حتحور» إلا أنه يقف تحت رأس البقرة المقدسة فى نفس الوضع التعبدى للملك «أمنحتب » الثانى، وذلك ببسط الكفين على النقبة «غير الملكية» – نهاية الحكم الصاوى، أى الفترة فى أواخر الأسرة السادسة والعشرين.



٢١



٢٢



٢٣

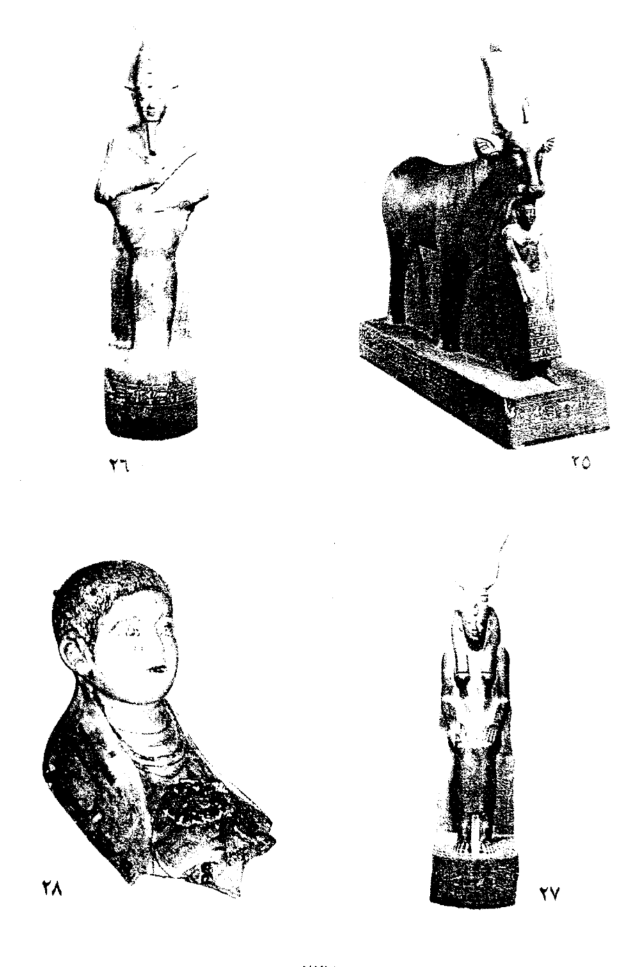


٢٤

٢٦- تمثال رب الأبدية وسيد عالم الموتى «أوزير» «أوزيريس» جالسًا على عرش بسيط، وقد غُطى جسده بالكامل كالمومياء، وهو يمسك بشارتى الملك (صولجان «حقا» والمذبة «نخاخا») ويضع تاج «آتف» «بحية الكوبرا» فوق رأسه، وقد تدلت لحية الأرباب المعقوفة من ذقنه - شست - حوالى ٩٠ سم - من قبر ذات الموظف السابق الذكر «بسمتيك» بسقارة.

٢٧- تمثال زوجة «أوزير» و«أم المعبود» «حورس» و «عظيمة السحر» الربة «إيزه» «إيزيس» وقد جلست على عرش بسيط بردائها الحابك والتاج الحتحورى فوق القلنسوة المثبتة على باروكتها - قبضة اليد اليمنى موضوعة على الفخذ الأيمن وقد أمسكت بعلامة «عنخ» «الحياة» فى حين تظهر اليسرى مبسوطة على الفخذ الأيسر - شست - ٩٠ سم - من مقبرة «بسمتيك» بسقارة، صاحب التمثالين السابقين، والذى أراد بعمله هذا أن يحظى فى الآخرة بحماية وشفاعة ورعاية كل من حتحور وأوزوريس وإيزيس.

٢٨- قناع جصى ملون لمومياء صبى كان يدعى HERAKLEON- ملامح الوجه المستدير كلها الطفولة فى صفاء وبراءة - اليد اليمنى تقبض على عنقود عنب يظهر موضوعًا على منطقة الصدر، فى حين تأتى اليسرى بطائر «حمامة؟» يتجه منقاره ناحية حبات العنب الداكنة - فكرة الرأس الناهض فى مثل هذه الحالات لعلها أن تقارن ببعض هيئات لأوزير الذى يحرك الرأس والجذع إلى أعلى وهو مسجى على سرير الموت، وبها يشير إلى بعث ونهوض من بعد رقدة الموت المقدرة - الطول: ٣٥ سم - من بلنصورة (شمالى تونا الجبل - فى مواجهة بنى حسن بمحافظة المنيا) - القرن الثانى الميلادى.



٢٦ ٢٥

٢٨ ٢٧

الدفعة الأولى من المؤرخين والعلماء والباحثين والأثريين

من «موسوعة مصر القديمة»

الجزء الأول

بداية وضع علم ما قبل التاريخ:

«بعد مجهود نصف قرن تمكن العالمان «بوشيه» و «بيرن» من وضع مؤلف يبحث فى عصر ما قبل التاريخ» .

• العالم الفرنسى أرسلان الذى حضر إلى مصر عام ١٨٦٨ كان أول من أثبت وجود علم ما قبل التاريخ فى مصر.

• عثر العالمان «لنرمان» و «هنري» على بعض آلات لها أهمية عظمى بالقرب من جبانة طيبة وقد كان نتيجة هذا الكشف أن اعترفت جمعية درس أصل الإنسان فى عام ١٨٧٠ بإمكان وجود عصر ما قبل التأريخ فى مصر.

• وفى عام ١٨٩٧ وضع العالم «دى مرجان» نتائج أبحاثه أمام العالم ومنذ ذلك العهد اعترف فعلاً بوجود عصر ما قبل التاريخ فى مصر.

العالم «بتري»: أجرى بحوثه وحفائره فى منطقة أبيدوس «العرابة المدفونة» وفى عام ١٨٨٩ قام بحفائر فى اللاهون وغيرها عند مدخل الفيوم ثم تابع أعماله فى ميدوم، فطوخ فالبلاص.

العالم «كويبل» أجرى بحوثه وحفائره فى منطقة الكاب فى عام ١٨٩٤ عثر على رأس الصولجان الخاص بالملك العقرب «سلك» كما عثر على لوح الأردواز الشهير الخاص بالملك «نعرمر» وكشف النقاب عن «خع سخم» و«خع سخموي» من ملوك الأسرة الثانية، وفى منطقة نقادة عثر على مقبرة الملكة «نيت حتب» أم الملك «حوعي» .

فقد مهدت لنا أبحاث الأستاذ «فلندرز بتري» و«دى مرجان» السبيل لإيجاد صلة بين عصر ما قبل التاريخ وعصر الدولة القديمة وقد أطلق على هذه الفترة

عصر ما قبل الأسرات وعثر الأثرى «لجران» بعد ذلك على محطات جديدة وعثر كذلك العالمان «ستون» و«كار» وغيرهما فى منطقة الصحراء على حافة النيل على مواقع من هذا العصر، وقد أشار الأستاذ «شفيفورت» العالم الألمانى إلى وجود عدة محطات فيها آلات يرجع عهدها إلى عصر ما قبل التاريخ.

وينحصر عصر ما قبل التاريخ فى المدة التى بدأ الإنسان يظهر فيها فى وادى النيل إلى بداية الأسرة الأولى حوالى ٣٢٠٠ ق. م.

كان «فلندرز بترى» أول من درس فخار ما قبل التاريخ، وقام بترتيب أنواع الفخار وقد رقمها من واحد إلى ثمانين فرقم ٨٠ يعادل العصر التاريخى الحقيقى أى العصر الذى ظهرت فيه الكتابة.

وأول عمل قام به «فلندرز بتري» فى ترتيبه التاريخى المتتابع أن أخذ رقم ٣٠ وخصصه لأقدم ما عرف من أنواع الفخار واحتفظ بالرقم من ١- ٣٠ إلى ما عسى أن يكشف عنه من فخار أقدم عهدًا مما عرف.

جهود العلماء فى تقدم الآثار المصرية

«انظر الجزء الأول من الموسوعة صفحة ١٣٥»

أولاً: الفرنسيون:

ظهر بعد «شمبليون» العالم «أمانويل دى روجيه» وقد نقل الكثير من النقوش، العالم «ماريت» الذى يرجع إليه الفضل فى تأسيس المتحف المصرى سنة ١٨٥٧ بالإضافة إلى اكتشافه مقابر العجل «آبيس» بسقارة المعروفة بـ «السرابيوم» ومقابر الدولة القديمة، والعالم «جان ماسبرو» الذى تولى إدارة مصلحة الآثار المصرية مرتين، وفتح بعض أهرام ملوك الأسرتين الخامسة والسادسة واكتشف «متون الأهرام» وجاء بعده «لوريه» و«دى مرجان» و«لاكو» و«موريه» و«شاسينا» .

(٢) العالم «دى مورجان»

أجرى بحوثه وحفائره فى منطقة نقاده واكتشف عام ١٨٩٦ مقبرة الملكة «نيت حتب» أم الملك «حور عحا» وقام بحفائر فى نقاده والعرابة والكاب وغيرها من المواقع الأثرية.

ثانياً: الألمان:

«ريتشارد لبسيوس» قام بعمل الكثير من الحفائر فى مصر والنوبة وطبع مؤلفه فى اثنى عشر جزءًا عام ١٨٤٩ ولا يزال إلى الآن مرجع كل مشتغل بالآثار، وتلاه «هنرى بروكسن» الذى نجح عام ١٨٤٩ فى قراءة الكتابة الديموطيقية ووضع قاموسًا فى اللغة المصرية القديمة وقاموسًا آخر لجغرافية مصر وأجرومية للديموطيقية، ثم جاء بعده سنة ١٨٧٨ العالم «أدولف إرمان» وكان أكبر عمل له أن وضع أجرومية للغة المصرية القديمة، ووضع الأستاذ «شتيندورف» الذى وضع أجرومية اللغة القبطية، والأستاذ «زيته» الذى جمع متون الأهرام وترجمها، وأصبح بذلك العمدة الوحيد فى كل العالم فى تفسيرها والأستاذ «ينكر» الذى يمتاز بمعرفة المتون المصرية فى كل عصورها معرفة لا يضارعه فيها أحد، واختص فى عصر البطالمة حتى أصبح المرجع الوحيد فيه، والأستاذ «شيسجلبرج» الذى اختص بالديموطيقية والأستاذ «شيفر» وهو من أحسن العلماء فى علم الآثار والفن المصرى.

ثالثاً: الإنجليز:

«برش» قام بالنهوض باللغة المصرية القديمة وآثارها و«ولكنسون» صاحب كتاب العادات والأخلاق فى مصر القديمة، ثم الأستاذ «جرفث» صاحب التآليف العدة فى الديموطيقية وترجم المتون المصرية القديمة، والأستاذ «جاردنر» الذى وضع كتاب فى أجرومية اللغة المصرية والأستاذ «جن» الذى وضع كتابًا فى إعراب اللغة المصرية وأخيرًا «نيوبري» وله أبحاث دقيقة فى علم الآثار.

ومن الجنسيات الأخرى الأستاذ «جولنشيف» الروسى صاحب الأبحاث

العدة فى اللغة وقد ترجم كثيرًا من المتون المصرية و«ريزنر» الأمريكى الذى قام بحفائر منظمة فى مصر وبلاد النوبة منذ عام ١٩٠٣ ومن أهم مؤلفاته كتابه عن «منكاورع» بانى الهرم الثالث.

أما أكبر عامل خدم التاريخ المصرى القديم هو الأستاذ «برستد» الذى جمع كل المتون التاريخية واستخلص منها تاريخًا لمصر يعتبر رغم قدمه من أكبر المراجع فى التاريخ المصرى القديم إلى الفتح الفارسى.

أما المصريون فعلى رأسهم أحمد كمال باشا وقد أسس معهدًا لدراسة الآثار المصرية بالجامعة.

عصر بداية استعمال المعادن

«انظر الجزء الأول من الموسوعة صفحة ١٨»

وهو عصر الانتقال إذ فى خلاله بدأ الإنسان يستعمل المعادن وقد توالى فيه استعمال النحاس والذهب ثم البرنز فالحديد.

يعد العصر الحجرى القديم العهد الذى وجد فيه أول أثر لبقايا الإنسان، إذ عثر فيه فعلاً على بعض عظام بشرية.

مدنية إفريقية الشمالية مماثلة للمدنية المصرية

« انظر الجزء الأول من الموسوعة صفحة ١٢»

فى هذا العصر:

المصانع التى عثر عليها «أرسلان» فى تلال أبواب الملوك وفى جهات مصر لصنع الظران فى هذا العصر تبين هذا ... وقد كشف فى أماكن أخرى العالم «دى مرجان» فى:

الوجه القبلى: مثل طوخ والعرابة وإسنا، وكذلك عُثر على مصانع فى الفيوم

وفى منطقة الأهرام بمنف، وبالقرب من نجع حمادى فى المنطقة المعروفة بأبى النور ومصنعًا فى الجبل الأحمر الواقع فى الشمال الشرقى من القاهرة.

عثرت الحملة التى قام بها الأمير كمال الدين حسين على آلات على الهضاب التى تمتد غرب الواحات ويمكن رؤيتها حتى على مرتفعات «العوينات» فى قلب الصحراء.

كان «دى مرجان» أول من كشف طبقات مرتبة ترتيبًا تاريخيًا.

كلفت جامعة شيكاغو كل من الأثرى «سند فوود» و«اركل» بالقيام ببحوث فى مرتفعات جهات «قاو» و«أرمنت» ومنخفض الفيوم وفى «وادى قنا».

«آثار مرمدة أبو غالب على ساحل الدلتا الغربى تمثل العصر الحجرى المتوسط» .

والوقاع أن العصر الحجرى الحديث هو العصر الحقيقى الذى أُهلت مصر فيه بالسكان، وقرى هذا العصر مدفونة تحت غرين النيل، وقد سميت قرية «العمري» وهى «رأس حوف» القريبة من القاهرة نسبة إلى الأستاذ العمرى الذى عثر عليها حديثًا، وتم العصور على «مرمدة بنى سلامة» الواقعة على حافة الدلتا الغربية، ثم ديمة، وكوم أوشيم، وقصر الصاغة، والمواقع الأربعة الأخيرة فى مديرية الفيوم، أما فى الوجه القبلى فقد عثر على مدينة جديدة فى بلدة «دير طاسا» وفى طوخ والقطارة والجبلين.

تميز الفأس المصقولة صناعة هذا العصر، كما استعمل العظام فى صناعة هذا العصر، بالإضافة إلى صناعة الفخار وقد ظهر الفخار الأسود فى دير طاسا.

«انظر الجزء الأول من الموسوعة صفحة ٦٢»

مدنية الوجه البحرى كانت أقدم من مدنية الوجة القبلى، لذلك يمكننا القول إن المدنية المرمدية «نسبة إلى مرمدة بنى سلامة» كانت أقدم من المدنية الطاسية «نسبة إلى دير طاسا» وبين هاتين المدنيتين كانت هناك مدنية أخرى فى الفيوم.

تبتدئ مدنية الوجه البحرى بالمعادى «بعد مرمدة بنى سلامة» ثم طرخان وطره.

تبتدئ مدينة الوجه القبلى بعصر البدارى بأسيوط «بعد دير طاسا»، ثم عصر نقادة القريبة من قوص التى قام الأستاذ بترى والمستر «كوبيل» عام ١٨٩٥ بحفائر فيها وأهم مواقع ما قبل الأسرات فى الوجه القبلى طوخ، وبلاص شمالى الأقصر ثم «دير سبوليس برفا» بالقرب من نجع حمادى والعامرة ونجع الدير والمحاسنة وبيت خلاف، وجرزة، وأبو صير الملق عند مدخل الفيوم.

عرف المصريون الزجاج فى العهد الفرعونى، تماثيل الدمى المختصرة الصنع هى طلائع التماثيل الجنائزية فى العهد التاريخى كما ظهرت نهضة فنية فى عصر ما قبل الأسرات الحديث وظهر النحت فى العاج والنحت فى الأحجار وغيرها من المواد الصلبة.

«انظر الجزء الأول من الموسوعة صفحة ١٢٨ و صفحة ١٣٤»

كشف صدفة أحد ضباط المدفعية الفرنسية المسمى «بوشار» فى أغسطس ١٧٩٩ أثناء الحفر فى قلعة رشيد قطعة من حجر البازلت منقوشة بثلاث كتابات مختلفة كانت ثالثتها وهى السفلية بالنسبة للحجر مكتوبة باللغة الإغريقية وعبارة الكتابة مرسوم ملكى أصدره بطليموس الخامس عام ١٩٦ ق. م وقد ذكر فى النص الإغريقى أنه نفس المتن المكتوب بالكتابتين الأخريين وهما الهيروغليفية «الكتابة المقدسة» والديموطيقية «كتابة الشعب» .

لم تكن اللغة الهيروغليفية حروفًا أبجدية محصنة بل كانت تحتوى على:

١ – إشارات رمزية أو تصويرية مثل «رع» و«تحوت» .

٢ – وإشارات صوتية قد تكون أحيانًا مركبة من مقطع مثل «مس» وأحيانًا من حروف أبجدية مثل حرف «سي» .

ملحق ٤:

هذا الملحق أخذت مادته من كتاب «ديانة مصر القديمة» تأليف: «أدولف إرمان» وتفاديًا للارتباطات فى تحديد الحواش فإننى فى هذا الملحق سأذكر فى

نفس النصوص الصفحات المأخوذة من هذا الكتاب بدلاً من كتابة أرقام حواشى قد تتداخل مع أخرى.

(أ) إخناتون «ولماذا فشلت ديانته؟»

إن أى إنسان يهتم (١) ببدء الحياة «الخليقة» (٢) ومصير الناس بعد الموت ولكن إخناتون اعتبر نفسه ابن آتون ورسوله فبموته لم يوجد بديل له مما أضعف هذه العقيدة الجديدة، كما أن إخناتون أظهر إشراق آتون فى العالم ولم يتطرق للمقطع الثانى من اهتمام الناس ألا وهو مصير الموتى، وقد حدد أدولف أرمان هذا فى الفقرات التالية:

«إن شيئًا واحدًا لم يذكر قط ولو أن المصريين يعطونه أكبر الأهمية وهو مملكة الموتى» .. وثمة شيء آخر يدهشنا فى نقوش تل العمارنة هذه إذ أنها لا تذكر أبدًا فى أى مكان منها شيئًا عما كان يشغل بال المصريين فى اعتقادهم فى أوزوريس ومملكته، فنحن لا نجد أثرًا للمحاكمة التى يتعرض لها الناس بعد موتهم والتى يأملون الخروج منها مبررين ...«ولم يعد يوجد أوزوريس وليست هناك محاكمة أموات» .

وبالرغم من جهود الملك فإن غالبية الشعب قد رفضت العقيدة الجديدة وظلت تعبد آلهتها القديمة سرًا.

عودة عبادة آمون بعد موت إخناتون

والمعروف أن ديانة آمون رع هى العقيدة التى تلت عبادة آتون حتى أن «توت عنخ آتون» هجر تل العمارنة وعاد إلى طيبة حيث النفوذ القوى وغير اسمه إلى «توت عنخ آمون» .

«ولم يسم آمون «الخفي» لغير ما سبب، فهو كائن بالأسرار ... تجهل – حتى الآلهة – مظهره الحقيقي» وكذلك «لكل ما نستطيع فهمه من هذا اللاهوت الشعرى قد يلخص ما يلى:

«إن آمون هو أصل كل شيء إنه ولد فى البدء وليس هناك إله آخر ظهر قبله .. والآلهة جميعًا كانوا متصلين بجسده حين خلق الآلهة الأولين فى صورته كبتاح تاتن .. وعلى ذلك فليس هناك فى الواقع سوى كائن إلهى واحد هو آمون .. ويمكننا اعتبار العقيدة – كما يعبر عنها هذا النشيد – كنوع من ديانة آمون رع .. وفى الواقع لا يجب أن نتمثل آمون تحت صورة واحدة بل تحت صورة ثالوث إلهى .. لأن رع نفسه متحد بجسده، كما أن آمون يسمى كذلك بتاح تاتن .. اسمه كآمون مخفى، رع يخصه كوجه وبتاح كجسد.

ومن الطبيعى جدًا أن يكون رع متصلاً اتصالاً وثيقًا بآمون فى مظهره الشمس ولكن من غير شك كان دخول بتاح كعضو فى هذه الألوهية العظمى نتيجة تأثير خارجى: فى منف مدينة بتاح. ولذا فإن هؤلاء الآلهة الثلاثة «آمون ورع وبتاح هم الآلهة الذين كانوا يعبدون فى الفترة اللاحقة مباشرة لفترة الهرطقة وهم الآلهة الرسميون فى البلاد جميعًا ومدنهم هى الأماكن المقدسة ومعابدهم هى هياكل الدولة .. وهكذا عادت الحياة إلى جمهرة الآلهة المصريين واهتم الملوك بعاطفة الشعب هذه» .

الملك رعمسيس الرابع يقص علينا أنه قام بأبحاث مضيئة فى كتب دار الحياة، وأنه استطاع أن يصل إلى أن أوزوريس هو أكثر الآلهة غموضًا وخفاء .. وهو ذلك الذى يحكم فى العالم الآخر.

(ب) لماذا اختار المصرى الحيوانات كرمز للآلهة

«الإشارة إلى نوع الحيوان الذى حرص المصرى فى كثير من الأحوال أن يرمز به لبعض آلهتهم، وكثيرًا ما اختار بعض **الحيوانات المفزعة** مثل التمساح والثعبان، كما اختار أحيانًا بعض **الحيوانات النافعة** مثل التيس والثور والبقر من قطعانه، وكثيرًا ما اختار أنواعًا أخرى من الحيوانات شغلت تفكير الرجل الساذج بحركاتها وأعمالها كابن آوى الذى يتسلل ليلاً من الصحراء متجهًا نحو الأماكن التى اختارها المصرى لدفن موتاه، واعتقد عباد هذه الحيوانات أنها تحوى شيئًا

إلهيًا فى نفسها، بمعنى أنه إذا أراد أحد الآلهة أن يجسد نفسه للبشر فإنه يختار حيوانًا ترمز بعض صفاته إلى ما لهذا الإلـه من صفات» .

«وعمومًا أعطوا الإلـه جسمًا آدميًا حتى يستطيع التقبيل والإعطاء والحماية واحتفظوا له برأس الحيوان» .

«أكسب هذه العقائد القديمة قدسيتها دون أن يستعمل المنطق فى مناقشتها».

«إذا أراد رجل من عامة الشعب أن يفكر فى شيء لا يدركه ولا يستطيع فهم عناصره فهو لا يستعين فى تفكيره بالمنطق بل يعتمد على الخيال» .

واعتقد المصرى أن هناك ثعبانًا يلتف حول قرص الشمس الذى يحمله الإلـه على رأسه، هذا الثعبان هو الخادم الخطر الذى يحرق أعداءه بأنفاسه النارية، وهو بعينه الثعبان الذى يزين جبين الملك الأرضى والذى يُعرف باسم الصل والذى اعتبر كرمز لأسمى ما وصلت إليه القوة.

«وامتاز الثعبان «أبو فيس» بأنه أشد أعداء الشمس قوة وخطرًا، ومن أجل ذلك اعتبر رمزًا لكل مكروه دنىء، وبطبيعة الحال لن تستطيع هذه الأعداء أن تمس الإلـه بمكروه، فالآلـهة الأخرى تدافع عنه كما تصاحب القارب تلك السمكة التى تتنبأ بما سيحدث والمسماة «إيدو» فتسارع بتبليغ أصحاب القارب بدنو أحد الأعداء منه» .

«لم يكن الدين المصرى فى يوم من الأيام ذا صبغة موحدة ولم يتصف هذا الدين بصفته العقيدة ذات الأصول الثابتة، كما أنه لم يحاول فى يوم من الأيام أحد الحكماء أو الرسل أن يرجع إلى هذه الديانة أو أن يتفهم أصولها» .

(جـ) الخلط والتناقصات وتوارث العقائد

لقد عاشت المعتقدات جميعًا جنبًا إلى جنب رغم وجود بعض التناقضات واستقرت مختلف المعتقدات بجانب العقائد المحلية المتوارثة دون أن يشعر أهل هذا المكان بأى تناقض بينها، وفى آخر الأمر تكونت فى البلاد عقيدة واحدة يمكن أن نسميها العقيدة المصرية رغم أنها حوت خلطًا غير متناسق بين كل ما أنتجه العقل المصرى من صور مختلفة لمجموعة مخلوقاته.

(د) الإله الأعظم

رغم تعدد الآلـهة فكان هناك الإجماع على وجود الإلـه الأعظم – نترعا – وهو الإلـه الخالق فى كافة مدارس اللاهوت المختلفة سواء فى منف أو هليوبوليس أو الأشمونين أو طيبة أو الفنتيين أو أى مدرسة لاهوتية أخرى وقد أشار المصرى فى كتب الأدب والحكم والأمثال عن «إلـه عام» دون ذكر الاسم.

«إن الله خفى ولذلك وجب على الناس تقديس صورته كبديل له» .

وكان يعتقد الناس بأن هذا الإلـه العام هو القوة التى تتحكم فى مصائر الناس وتعددت الفقرات العامة التى تذكر الله وقدراته ومن ذلك «ما تزرعه وما ينبت فى الحقل هو عطية من الله» و«ما يحدث هو أمر الله» و«الله يعرف أهل السوء» و«من أحبه الله وجبت عليه الطاعة» و«صائد الطيور يسعى ويكافح ولكن الله لا يجعل النجاح من نصيبه» و«إذا جاءتكم السعادة، حق عليكم شكر الله» .

«ولا بد أن الفلاحين وهم السواد الأعظم من أفراد الشعب لابد أن كانت لهم آلهتهم التى تحميهم وترعاهم، وهؤلاء القوم الذين كان هذا هو شعورهم وحديثهم لم يكونوا بمنأ عن العقيدة» .

(هـ) دور السيدات فى خدمة المعبد

«لم تبعد السيدات فى أى عصر من العصور عن خدمة المعبد. ففى الدولة القديمة نراهن يتباهين بأنهن كاهنات «خادمات الإلـه» لتوت وحاتحور .. واحدة تمجد حاتحور كل يوم» .

«وإلى جانب الكهنة كانت للإلـهة فى الدولة الحديثة هيئة من الكاهنات لم يشتغلن سوى دور ثانوى فى العبادة وهى مغنيات الإلـه .. وكان عددهن كبيرًا فى خدمة آمون ولقد كانت سيدات العائلات الكريمة يتشرفن بالانتهاء إلى هذه المجموعة، ولما كانت الفنون التى يدخلن بها السرور إلى قلب الإلـه هى نفس

المتع التى تمارسها فتيات الحريم أمام مولاهن، فإن هؤلاء السيدات كن يعتبرن كأنها هن حريم الإلـه، ولقد رأينا منذ نهاية الدولة الوسطى هذا الاصطلاح فيما يختص بالإلـه مونتو، ولقد انتصرت وجهة النظر هذه خلال الدولة الحديثة فيما يتصل بآمون».

«وكانت أول سيدة عرفناها ارتفعت إلى هذه المرتبة هى «أيمحوزه – نفر – إيري» والدة الملك أمنوفيس الأول التى اختيرت فيما بعد حامية لمدينة طيبة».



المدينة المرمدية «مرمدة بنى سلامة» بالوجه البحرى وهى أقدم من المدنية الطاسية «دير طاسا» بالوجه القبلى وبعدها مباشرة عصر البدارى ويليه عصر نقادة وبينهما مدنية عثر عليها فى الفيوم.

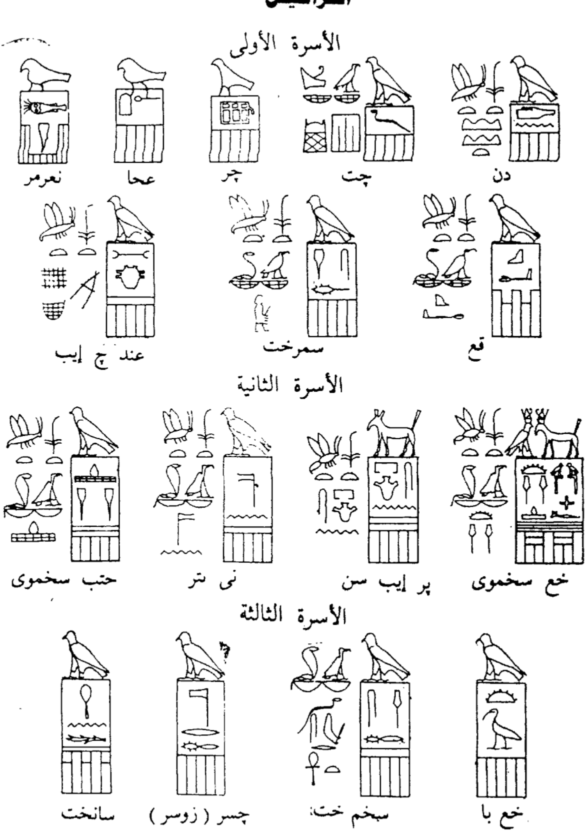
ملحوظة: تماثيل الدمى المختصرة الصنع هى طلائع التماثيل الجنائزية فى العهد التاريخى.

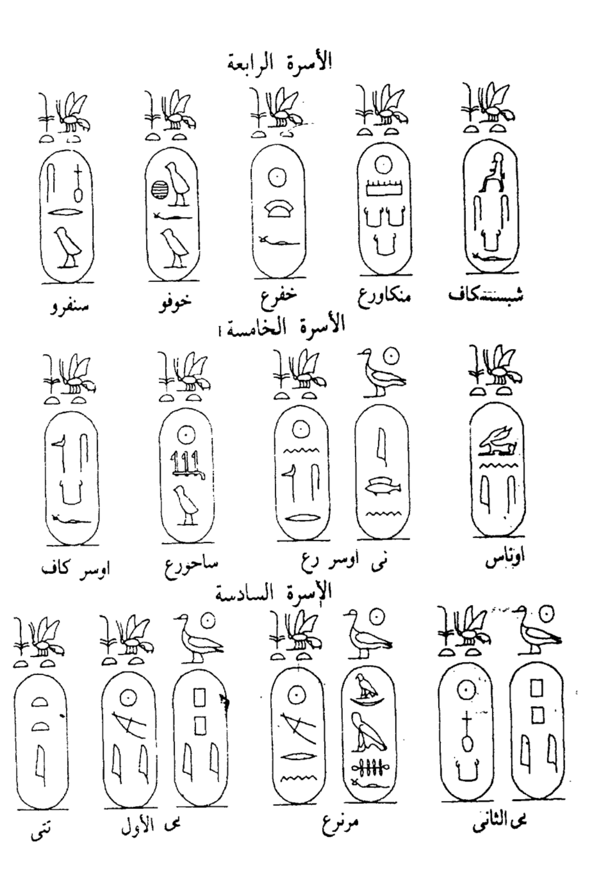
أول عمل قام به «شمبليون» «١٧٩٠- ١٨٣٢» بخصوص حل رموز اللغة المصرية القديمة أنه بحث موضوع اختلاف الكتابات المصرية القديمة وبرهن أن الكتابة الهيروطيقية هى اختصار للكتابة الهيروغليفية، وعلى ذلك تكون الكتابة المصرية القديمة واحدة غير أنها تكتب بثلاث أشكال كاللغة العربية مثلاً فهى تكتب بالرقعة والنسخ والثلث، وعلى ذلك لابد أن يوجد فى الكتابة الهيروغليفية كما فى الديموطيقية إشارات لها قيمة صوتية وأبجدية واللغة المصرية القديمة هى عبارة عن أربعة خطوط الخط الهيروغليفى – الخط الهيراطيقى – الخط الديمقراطى – الخط القبطي» وعناصر الهيروغليفية هى (١) إشارات رمزية أو تصويرية مثل «رع» «تحوت» (٢) وإشارات صوتية قد تكون أحيانًا مركبة من مقطع مثل «مي» وأحيانًا من حروف أبجدية مثل حرف «س» .

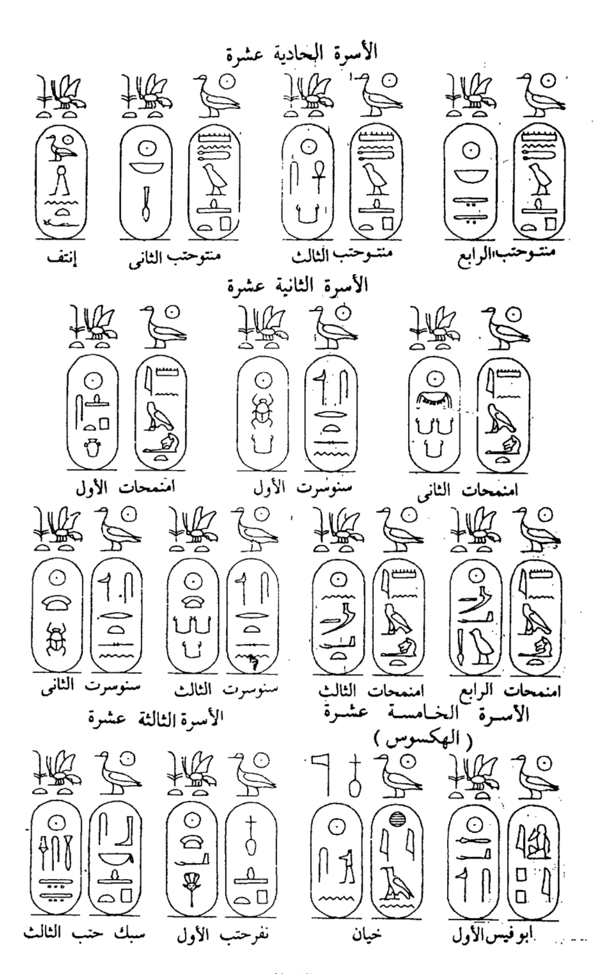
«انظر صورة الصفحة ١٤٤ من كتاب الدكتور عبد المحسن بكير المرفقة بهذه الحواشي»، أما اللغة القبطية فهى الخط الرابع وفيها اتخذوا الحروف اليونانية بدلاً من الحروف الديموطيقية وأضافوا سبعة حروف تماثل سبعة أصوات غير موجودة فى اللغة اليونانية القديمة، واستمر المصريون يستخدمون اللغة القبطية حتى بعد الفتح العربى بأربع قرون ولكن الكنيسة القبطية لا تزال تستخدم اللغة القبطية فى القداس وفى الكتب الدينية.

ملحق (٥)

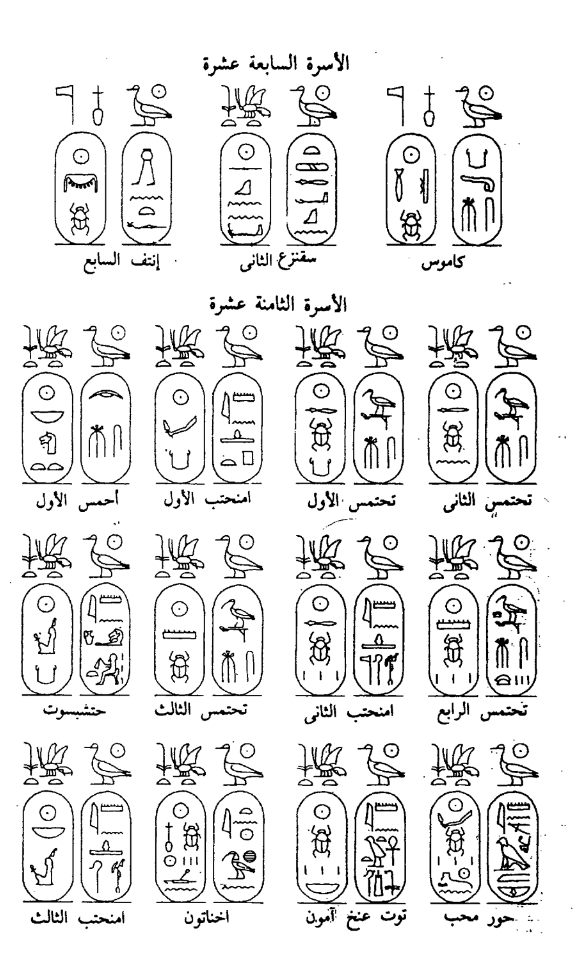
الخراطيش




الأسرة الرابعة
سنفرو
خوفو
خفرع
منكاورع
شبسسكاف
الأسرة الخامسة
اوسر كاف
ساحورع
نى اوسر رع
اوناس
الأسرة السادسة
تتى
بى الأول
مرنرع
بى الثانى



الأسرة الحادية عشرة
إنتف
منتوحتب الثانى
منتوحتب الثالث
منتوحتب الرابع
الأسرة الثانية عشرة
امنمحات الأول
سنوسرت الأول
امنمحات الثانى
سنوسرت الثانى
سنوسرت الثالث
امنمحات الثالث
امنمحات الرابع
الأسرة الثالثة عشرة
الأسرة الخامسة عشرة
(الهكسوس)
سبك حتب الثالث
نفرحتب الأول
خيان
ابو فيس الأول


الأسرة السابعة عشرة
كاموس
سقنزع الثانى
إنتف السابع
الأسرة الثامنة عشرة
تحتمس الثانى
تحتمس الأول
امنحتب الأول
أحمس الأول
تحتمس الرابع
امنحتب الثانى
تحتمس الثالث
حتشبسوت
حور محب
توت عنخ آمون
اخناتون
امنحتب الثالث


الأسرة التاسعة عشرة
مرنبتاح
رمسيس الثانى
سيتى الأول
رمسيس الأول
الأسرة العشرون
رمسيس التاسع
رمسيس الرابع
رمسيس الثالث
الأسرة الثانية والعشرون
الأسرة الحادية والعشرون
أوسركون الثانى
شاشانق
بسوسنس الأول
سمندس
الأسرة الخامسة والعشرون
طهارقا
شاباكا
بعنخى



(شكل ٥٢) قائمة بأسماء أهم فراعنة الدولة الحديثة


الأسرة السادسة والعشرون
بسمتك الأول
نكاو
بسمتك الثانى
أبريس
أحمس الثانى
بسمتك الثالث
الأسرة السابعة والعشرون
قمبيز
دارا
كسركيس
ارتحركسيس
الأسرة التاسعة والعشرون
الأسرة الثلاثون
أكوريس
نختنبو الأول
نختنبو الثانى

الملـوك المقدونيون

فيليب أرهيديوس الاسكندر الأكبر

الأسـرة البطلمية

سوتر الأول بطليموس الأول فيلادلفيوس بطليموس الثانى

كليوباترة السابعة إبيفانيس بطليموس الخامس

أباطرة الـرومـان

دقلديانوس تراجان تيبريوس أغسطس

يبدأ الجزء الثانى من المختصر بالجزء الخامس من موسوعة مصر القديمة تأليف الدكتور العلامة سليم حسن ويتضمن الأجزاء الأربعة من الجزء الخامس والسادس والسابع والثامن.

فهرس

الإهداء ٣

شكر ٥

تقديم الجزء الثانى من المختصر ٩

الجزء الخامس ٥١

- تحتمس الرابع ٥٥

- حروب تحتمس الرابع ٥٥

- أثاره ٥٥

- بناته ٥٦

- وفاة تحتمس الرابع ٥٩

- علاقات مصر بالدول المجاورة ٥٩

- المصاهرة ٦٠

- الموظفون والحياة الاجتماعية فى عهده ٦٠

- عمل رجال الشرطة ٦١

- «أمنحتب الثالث» ٦٥

- حروبه فى السودان ٦٦

- «أمنحتب الثالث» وملاهيه ٦٦

- أمنحتب والصيد والقنص ٦٧

- مبانى «أمنحتب الثالث» ٦٧

- عبادة «أمنحتب الثالث» ٦٨

- نهاية حكمه ٦٨
- الحياة الاجتماعية فى عصره ٦٩
- المدنية فى الأسرة ١٨ .... ٧٠
- مهام الوزير.. ٧٠
- الحياة الاقتصادية ٧١
- المدارس والتعليم ٧١
- سلطة الفرعون ٧١
- إدارة السودان ٧٣
- مكانة نائب كوش ٧٣
- الإمبراطورية المصرية فى آسيا ٧٦
- الحياة الدينية ٧٨
- المعابد فى عهد الأسرة ١٨ .... ٧٨
- الحساب فى الأخرة.. ٧٩
- تأثير السحر ٨٠
- انحلال الإمبراطورية وعهد إخناتون ٨٠
- عرش مصر بين أخيه وزوجته ٨١
- التدرج فى عبادة «آتون» ٨١
- أفق آتون ٨١
- مدينة تل العمارنة ٨٢
- موقع مدينة «إخناتون» ٨٢
- أسرة إخناتون ٨٣
- أقدم عقيدة للتوحيد ٨٣
- الفن فى عهد إخناتون ٨٤
- الصناعات فى عهده ٨٤

- تدهور سلطان مصر فى سوريا ٨٥
- آثار إخناتون الباقية ٨٦
- الحياة الاجتماعية فى عهده ٨٧
- توت عنخ آمون ٨٨
- حور محب الوصى على العرش ٨٩
- سلطان مصر على بلاد كوش ٩٠
- أعمال «توت عنخ آمون» السلمية ٩٠
- حياته وآثاره ٩٠
- الموظفون فى عهد «سمنخكارع» ٩١
- الموظفون فى عهد توت عنخ آمون ٩١
- كاتب المجندين ٩٢
- قائد الجيش ٩٣
- المدير العظيم لبيت الفرعون ٩٤
- الإدارة الحربية ٩٤
- الجنود الفرسان ٩٤
- وظائف القصر ٩٥
- الملك «آي» ٩٥
- حور محب على عرش الملك ٩٦
- حالة البلاد عند تولى حور محب ٩٦
- الفرعون المنقذ للبلاد ٩٧
- عدالة حور محب ٩٨
- أهم الآثار التى خلفها ٩٨
- الموظفون فى عهد حور محب ٩٩
- لمحة عن ممالك الشرق ١٠٠

- **الجزء السادس**.. ١٠١
- تمهيد ١٠٣
- طريق الإصلاح ١٠٣
- معاهدة الصلح ١٠٤
الاختلاط بالدم الأجنبي... ١٠٥
- بداية الأسرة ١٩ .... ١٠٥
- أعمال «رعمسيس الأول» ١٠٦
- عبادة «رعمسيس الأول» ١٠٦
- سيتى الأول ١٠٧
- حروب «سيتى الأول» ١٠٧
- حالة البلاد قبل حروبه ١٠٧
- الحرب مع لوبيا ١٠٨
- الحرب مع خيتا ١٠٨
- سيتى الأول وبلاد النوبة ١٠٨
- مكانة «سيتي» فى التاريخ ١٠٨
- نشاطه داخل البلاد ١٠٨
- قاعة العمد العظمى بالكرنك ١٠٨
- معبد العرابة الكبير ١٠٨
- ضريحه بالعرابة المدفونة ١٠٩
- مرسوم «توري» ١٠٩
- استخراج الذهب ١٠٩
- معبد القرنة ١١٠
- مقبرة سيتى الأول ١١٠
- آثاره فى أنحاء الإمبراطورية ١١٠

- إصلاحاته البنائية ١١١
- الأسرة المالكة ١١٢
- الملكة «تويا» ١١٢
- الموظفون والحياة الاجتماعية فى عهده ١١٢
- آمال المتوفى فى الحياة الآخرة ١١٣
- «رمسيس الثاني» ١١٤
- وثيقة الإهداء الكبرى ١١٥
- لوحة «كوبام» و«باكي» ١١٥
- حروب «رعمسيس الثاني» ١١٦
- حروبه مع اللوبيين ١١٦
- حروبه فى بلاد النوبة ١١٦
- حروبه فى آسيا ١١٧
- موقعة «قادش» ١١٧
- الثورة فى فلسطين ١١٨
- المعاهدة مع «خيتا» ١١٩
- العلاقات بعد المعاهدة ١١٩
- زواجه من بنت رئيس «بختان» ١٢٠
- آثار «رعمسيس» الخالدة ١٢٠
- مبانيه فى بلاد النوبة ١٢٠
- المعابد الضخمة ١٢١
- أعمال «رعمسيس» فى معبد الكرنك ١٢٢
- مقبرة «رعمسيس الثاني» ١٢٢
- معبد الرمسيوم ١٢٢
- معبد «رعمسيس الثاني» بالعرابة ١٢٢

- أسرة «رعمسيس الثاني» ١٢٣
- الحياة الاجتماعية فى عصره ١٢٣
- الكهنة فى عصره ١٢٤
- موظفو معبد «الرمسيوم» ١٢٥
- كهنة معابد الفراعنة ١٢٥
- مقبرة «تحوتى محب» ١٢٦
- الفن وإظهار جسم السيدات ١٢٧
- المدنية ١٢٧
- العناصر الأجنبية فى مصر ١٢٨
- التجارة فى آسيا الصغرى ١٢٩
- الإدارة الحكومية فى عهده ١٢٩
- بداية ذكر انتصارات رب مصر ١٢٩
- الفكرة الدينية فى أصل المعبد ١٢٩
- نقوش «رعمسيس» ١٣٠
- المعابد المنحوتة فى الصخر ١٣٠
- تصوير المواقع الحربية ١٣٠
- الفن ١٣٠
- معبد «عنتا» ١٣١
- الفنان واستعمال الألوان ١٣١
- الجعارين ١٣٢
- الأدب فى عهد الأسرة ١٩ .... ١٣٢
الجزء السابع ١٣٥
- تمهيد الجزء السابع من الموسوعة ١٣٧
- عهد «مرنبتاح» ونهاية الأسرة ١٩ .... ١٣٩

- «مرنبتاح» وحروبه فى لوبيا ١٣٩
- قوم «تمحو» ١٤٠
- اللوبيون البيض ١٤١
- اختلاف الملابس فى لوبيا ١٤١
- أصل قوم المشوش وملابسهم ١٤٠
- هجرة أقوام البحر ١٤٢
- حروب «مرنبتاح» مع لوبيا ١٤٣
- قصة خروج بنى إسرائيل ١٤٣
- آثار «مرنبتاح» ١٤٤
- الحياة الاجتماعية فى عهده ١٤٥
- موضوع المشاعل ١٤٦
- أخلاق مرنبتاح ١٤٧
- «سيتى مرنبتاح» ١٤٨
- أسرته ١٤٨
- قبر «سيتى مرنبتاح» ١٤٨
- الموظفون والحياة الاجتماعية فى عهد «سيتى الثاني» ١٤٨
- الفرعون «أمنمس» ١٤٩
- الملكة «توسرت» ١٤٩
- الأسرة العشرون ١٥١
- الملك «ستنخت» ١٥١
- الفوضى السابقة ١٥٢
- حكم «ستنخت» ١٥٢
- قبر «ستنخت» ١٥٣
- «رعمسيس الثالث» ١٥٣

- حالة البلاد الداخلية ١٥٤
- حروب رعمسيس الثالث.. ١٥٤
- الحرب الأولى على اللوبيين ١٥٤
- هزيمة «الآموريين» ١٥٥
- الحرب ضد الفلسطينيين ١٥٥
- الموقعة البرية ١٥٦
- الموقعة البحرية ١٥٦
- الحرب اللوبية الثانية ١٥٦
- الحروب فى بلاد الآموريين ١٥٧
- أعمال «رعمسيس» ١٥٧
- ورقة «هاريس» وقيمتها ١٥٧
- آثار «رعمسيس الثالث» ١٥٩
- مقبرة «رعمسيس الثالث» ١٥٩
- نهاية عهد «رعمسيس الثالث» ١٦٠
- المؤامرة ضده ١٦٠
- خاتمة حياته ١٦١
- أسرة «رعمسيس الثالث» ١٦٢
- الحياة الاجتماعية فى عهده ١٦٢
- إضراب العمال ١٦٢
- صناعة الكتابة ١٦٢
- الصور الهزلية ١٦٢
- *الحياة الدينية* ١٦٣
- عبادة الثور ١٦٤
- العجل آبيس ١٦٤

- العجل منفيس ١٦٤
- العجل بوخيس ١٦٥
- عبادة الكبش ١٦٥
- السحر والحياة المصرية ١٦٦
- **الجزء الثامن** ١٦٩
- تمهيد ١٧١
- عهد «رعمسيس الرابع» ١٧٤
- آثار «رعمسيس الرابع» ١٨٥
- بعوثه إلى وادى الحمامات ١٧٦
- معبد «خنسو» ١٧٦
- الأوراق البردية من عصره ١٧٧
- ورقة «مالت» ١٧٧
- بردية واستراكون ١٧٧
- مقبرة «رعمسيس الرابع » ١٧٨
- معبد «رعمسيس الرابع» الجنائزى ١٧٨
- الحياة الإجتماعية فى عهده ١٧٨
- الرسام «حوي» ١٧٩
- **عهد «رعمسيس الخامس»** ١٨٠
- ضرائب الأطيان ١٨٠
- ورقة «قلبور» ١٨٠
- أهمية الورقة ١٨٠
- المقاييس والمكاييل ١٨١
- التقديرات الضريبية ١٨٢
- الفقرات ذات التقسيم ١٨٢

- أصحاب الحرف ١٨٢
- الأرض الملكية «خاتو» ١٨٣
- المؤسسات فى أرض «خاتو» ١٨٣
- مقبرة «رعمسيس الخامس» ١٨٤
- آثاره الباقية ١٨٤
- «رعمسيس السادس» ١٨٤
- آثاره ١٨٥
- «رعمسيس السابع» ١٨٦
- «رعمسيس الثامن» ١٨٦
- «رعمسيس التاسع» ١٨٦
- ورقة «أمهرست» ١٨٧
- ورقة «إبوت» ١٨٧
- ورقة «هاريس» ١٨٨
- الورقة رقم ١٠٠٥٣ .... ١٨٨
- حقائق مدهشة ١٨٨
- ورقة أمبراس ١٨٩
- المحاكمات الجنائية ١٩٠
- طريقة المحاكمة ١٩٠
- آثار «رعمسيس التاسع» ١٩١
- «رعمسيس العاشر» ١٩١
- «رعمسيس الحادى عشر» ١٩٢
- عصر النهضة ١٩٢
- قبل حرب الأنجاس ١٩٣
- حرب الأنجاس ١٩٤

- علاقة مصر بجيرانها ١٩٦
- قصة «ونامون» ١٩٦
- آثار «رعمسيس الحادى عشر» ١٩٦
- ورقة «تورين» للضرائب ١٩٧
- الآثار ١٩٧
- مومياء «رعمسيس» ١٩٧
- قبر «رعمسيس الحادى عشر» ١٩٧
- حريحور والعرش ١٩٧
- نهاية الأسرة العشرين ١٩٩
- أثر رجال الدين فى عهدها ١٩٩
- نظام الحكم فى عهدها ٢٠٠
- الأسرة الواحدة والعشرون ٢٠١
- «حريحور» و«بيعنخى» ٢٠١
- الكاهن الأكبر «بينوزم» ٢٠١
- خبيئة الدير البحرى ٢٠١
- المحافظة على الموميات ٢٠٢
- نقوش «بينوزم» ٢٠٢
- الكاهن «ماساهرتا» ٢٠٢
- الكاهن والملك «منخبر رع» ٢٠٣
- لوحة «مونيه» ٢٠٣
- أسرة «منخبر رع» ٢٠٣
- «بينوزم الثاني» ٢٠٣
- مرسوم «بيتوزم» ٢٠٤
- أجداد الأسرة ٢٢ .... ٢٠٤

- خبيئة الدير البحرى الثانية ٢٠٥
- أسرة «بينوزم الثاني» ٢٠٥
- نص أنشودة وحدانية الخالق ٢٠٥
- تابوت «تسنخو» ٢٠٦
- الملك «بسنس الثالث» ٢٠٦
- الملاحق ٢٠٧

المراجع

١ - ديانة مصر القديمة: تأليف أدولف إرمان
ترجمة د. عبد المنعم أبو بكر.
ود. محمد أنور شكرى.

٢ - الديانة المصرية القديمة: تأليف ياروسلاف تشرنى.
ترجمة: د. أحمد قدرى.

٣- حكمة المصريين: تأليف عشرة أساتذة (مركز القاهرة لدارسة حقوق الإنسان)
تقديم وتحرير: د. محمد السيد السعيد.

٤ - الفن وعالم الرمز: تأليف: دكتور محسن محمد عطية.

٥ - معالم وتاريخ حضارة مصر الفرعونية: تأليف دكتور سيد توفيق.

٦ - الآثار المصرية فى وادى النيل (خمسة أجزاء): تأليف جيمس بيكى.
ترجمة: لبيب حبشى، وشفيق فريد.
مراجعة: الدكتور محمد جمال الدين مختار.

٧- العمارة فى مصر القديمة: تأليف د. محمد أنور شكرى.

٨- موسوعة حكام مصر من الفراعنة إلى اليوم: تأليف د. ناصر الأنصارى.

٩ - آثار وحضارة مصر القديمة: تأليف أ. د عبد الحليم نور الدين.

١٠ - تاريخ وحضارة مصر القديمة: تأليف: أ. د عبد الحليم نور الدين.

السيرة الذاتية

الاسم : عريان لبيب حنا

تاريخ الميلاد : ٧ مارس ١٩٣٦

المؤهلات : ليسانس إنجليزى آداب القاهرة ١٩٥٧ .

دبلوم مهنى – مركز تطوير اللغة الإنجليزية – جامعة عين شمس ١٩٨٠.

العمـــل: التربية والتعليم من ١٩٥٧ حتى ١٩٨٢ .

شركة أرامكو بالسعودية ١٩٨٢ – ١٩٨٧ .

التربية والتعليم ١٩٨٧ – ١٩٩٠ .

الإرشاد السياحى ١٩٩٠ وحتى الآن

النشاط : عضو اتحاد الكتاب .

مؤلف ومتحدث إذاعى منذ ١٩٦٣ .

الجوائز :

(١) الجائزة الثالثة ١٩٦٢ عن تمثيلية «**انتصار الحق**» مسابقة مسرحيات عيد الثورة العاشر التى أعلنت عنها المؤسسة المصرية العامة لفنون المسرح.

(٢) الجائزة الثالثة ١٩٨٩ (المجلس الأعلى للثقافة).

مسابقة لجنة التاريخ والآثار وموضوعها «**الشخصية المصرية فى ضوء مختارات من الفنون والآداب والعقائد المصرية القديمة**» دراسة تاريخية وأثرية.

المؤلفات المنشورة:

(١) مسرحيتان باللغة الإنجليزية نشرتا بنيويورك عام ١٩٨٤ ، Uncle Viua – the last equililriun.

(٢) رواية شروخ فى المعبد عام ٢٠٠١ .

(٣) كتاب «**الشخصية ا لمصرية فى مصر القديمة**» . هيئة الكتاب عام ٢٠٠٣.

(٤) سلسلة مقالات باللغة الإنجليزية حتى تاريخ الشعب المصرى منشورة فى جريدة وطنى منذ ٢٠٠٣ وحتى الآن .

(٥) مقالات باللغة العربية فى الوفد ووطنى والأيام الجديدة.



كم من شعوب أضمحلت و فنت، ولكن الشعب المصرى ظل مترابطاً رغم أنه تعرض لفترة طويلة من الاحتلال تربو على خمسة وعشرين قرناً. ويرجع الفضل فى هذا الترابط إلى الأسرة المصرية وهى الخلية الأولى للمجتمع. وتمثل المرأة المصرية «تتى شرى» ، جدة أحمس الأول الذى طرد الهكسوس من أرض الوطن وأعاد لها العزة والكرامة، واستمرت المرأة المصرية تمثل الأم الرءوم والزوجة المخلصة ومربية الأجيال، والنبع الدائم للحب والحنان.

ويكفى أن نتأمل الفلاحة وهى تحمل طفلها وتضمه إلى صدرها وتهبه الحنان والحب والدفء العاطفى.

حتى المرأة الفقيرة تكافح داخل بيتها وخارجه لكى تكسب عيشها وتساهم مع زوجها فى رعاية أسرتها وتسهر على راحتهم.

ألم تكن إيزيس مثال الزوجة المخلصة التى أعدت ابنها حورس لكى ينتقم من قاتل أباه - ست - ويعيد العزة والكرامة لبلده الغالية؟ ألم يكن حورس رمز الملك الحامى للدولة وممثلاً للنظام والوحدة الوطنية.

ISBN# 9789774202123

الهيئة المصرية العامة للكتاب

السعر ١٢ جنيها

6 221149 006331